من تراث شبه جزيرة العرب

مُناظرة بين علماء مكّة وعلماء نجد

تصنيف

محمّد بن نصر الحازمي

تحقيق

زينهم محمّد عزب — محمّد سيّد عبد الغفّار

مكتبة مدبولي

من تراث شبه جزيرة العرب

مناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد

تصنيف

محمد بن نصر الحازمي

تحقيق

د. محمد زينهم محمد عزب ‏ ‏ ‏ ‏ محمد سيد عبد الغفار

مكتبة مدبولي - القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مكتبة مدبولي

MADBOULI BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٧٥٦٤٢١

6 Talat Harb SQ. Tel:756421

تقديـم

رسم الإسـلام للحيـاة منهـجاً واضح المعالم جلّى السُبل ، بيَّن الله فيه حدود والواجبات ، وحذر من الوقوع فى الضلالات والخرافات ، فكان قوامه مثل العليا وغايته تزكية النفس الإنسانية وتطهيرها ، وإعدادها لجوار الله ذى جلال .

وصفات هذا المنهج ، ومميزاته أنه مضمون النتائج محقق الثمرات لا بتعد عنه ثماره ولا تنأى كما لا يتخلف عن الشمس ضوؤها الساطع ، ولا عن لورد عبيره وشذاه .

وجماع هذا الدين واحتواؤه فى كلمتين « إيمان وعمل » وهما مترابطتان معاً ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يقوم أحدهما بدون الآخر .

والإيمان الذى يريده الإسلام هو الإيمان الذى يبدأ بالتصديق القلبى وينتهى بمحبة الله محبة تسمو على كل شىء ، ويتضاءل بجانبها كل شىء ، ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة « ١٦٥ » .

والإيمان والعمل بهذا المعنى يثمران ثمرهما وينتجان أثرهما من الحياة الطيبة والعيشة الراضية ، ومظهر هذه الحياة فى الدنيا الاستخلاف فى الأرض وتمكين الدين والأمن والسلام قال الله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ﴾ (١) .

وفى الآخرة الحصول على السعادة فى جوار الصالحين .

ومن مآثر السنة النبوية الشريفة قوله تعالى ﷺ : « إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فأستعن بالله » .

فأول مقصد من مقاصد الإسلام تجريد التوحيد ، وإخلاص الدين لله وحده ، قال الله تعالى : ﴿ فأعبد الله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص ﴾، وقال : ﴿ وما أمروا إلا لعيبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ .

وتجريد التوحيد لا يتم إلا بالتوجه الكلى لله من غير التفات إلى غيره ، ولهذا حرص الرسول ﷺ على أن يربط القلوب بالله وحده ، فكان يعلم أصحابه التوكل على الله والثقة به ، والالتجاء إليه فيقول : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فأستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك .. ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا

---

(١) سورة النور « ٥٥ » .

بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ويقول : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » .

كما كان يحذرهم أن ينهكوا حرمة التوحيد ويجنبهم كل ما هو ذريعة إلى الشرك .

فحظر عليهم الحلف بغير الله تعالى فقال : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .

وروى البغوى عنه ﷺ : « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

بل إنه صلوات الله وسلامه عليه يصحح ما كان يقع فى كلامهم من أغلاط ؛ حماية لجانب التوحيد .

روى الطبرانى فى معجمه : أنه كان فى زمن النبى –ﷺ – منافق يؤذى المؤمنين .

فقال الصدِّيقُ : قوموا بنا نستغيث برسول الله – ﷺ – من هذا المنافق .

فجاءوا إليه فقال : « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » .

وقال بعض الأعراب : « ما شاء الله وشئت » .

فقال ﷺ : « أجعلتنى لله نداً ؟! بل ما شاء الله وحده » .

وما دام التوحيد الخالص هو جوهر الإسلام ولبه كان كل ما اتصل به من صميم الإسلام ، وكل ما خالفه أو كل ذريعة إلى الشرك باطل دخيل فى دين الله .

والكتاب الذى اخترته للقراء « مناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد » مخطوط يعلمنا فيه مصنفه الإمام « محمد بن نصر الحازمى » كيف نوحد الله تبارك وتعالى عن طريق تلك المناظرة التى وقعت بين علماء مكة وعلماء نجد فى القرن الثانى عشر الهجرى حول بعض الأمور المتعلقة بتوحيد الله تعالى كالتقرب إلى الله بأحد الأولياء الصالحين ، أو العبادة عند قبر ، وغير ذلك من تلك الأمور الشركية ، وموقف كل فريق من الفريقين وترجيحه لعلماء نجد على علماء مكة بتلك الأدلة والبراهين والحجج التى ساقوها من الكتاب والسنة فى هذه المسائل وغيرها .. ثم انتقل إلى مسألة أخرى فى غاية الأهمية وهى ما حكم الناطق بكلمة التوحيد « لا إله إلا الله » مع تركه للصلاة والزكاة والصيام وغيرها ؟ .. كما سنوضح ذلك فى وصفنا للمخطوط والمنهج الذى سار عليه المصنف فى سرده لهذه الأبواب .

ملحوظة : وقد قام الدكتور محمد زينهم بتخريج الأحاديث التى وردت فى مفتاح كنوز السنة .

« وعلى الله قصد السبيل »

محمد سيد عبد الغفار

د/ محمد زينهم محمد عزب طولون السيدة زينب

فى ٢٩ من جمادى الأولى سنة ١٤١٤هـ

الموافق ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٩٣ م .

وصف المخطوط والمنهج الذى صار عليه المصنف

١- يقع المخطوط فى مائتين وخمسين ورقة من الحجم المتوسط .

٢- تحتوى كل صفحة فى الغالب على خمسة وعشرين سطراً كتبت بالخط المغربى ، وأحيانا تصل إلى ثلاثين .

٣- قسم المصنف المخطوط إلى ثلاث فصول .

* تكلم فى الفصل الأول عن وقائع تلك المناظرة التى حدثت بين أهل مكة وأهل نجد .

وفى الفصل الثانى تحدث عن أقوال العلماء من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين حول مسألتى الذات والصفات وما استشهدوا به من الكتاب والسنة حول ذات الله وصفاته .

وفى الفصل الاخير ساق أبواباً كاملة من كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب مستدلاً به على إثبات تلك الآراء التى ساقها فى الفصلين الأولين، وقسم هذا الفصل إلى عدة أبواب متبعاً بذلك كتاب التوحيد فى خطته ومنهجه.

٤- كتب المخطوط كما ذكرت آنفاً بالخط المغربى ، وقد وقع الناسخ فى أخطاء كثيرة منها عيوب الإعجام والتصحيف مع اختلاف الخط المغربى عن

غيره من الخطوط العربية ، ناهيك عن الأخطاء النحوية والصرفية ، فمنها ما نبهنا عليه فى موضعه ، ومنها ما تركناه لذيوعه وانتشاره فى صفحات كثيرة من صفحات المخطوط .

أما الظاهرة الغالبة على أسلوب المخطوط هى ظاهرة تخفيف الهمزة بقلبها ياء .. وذلك نحو مصائر كتبت مصاير ، ولكننا التزمنا بإثبات الهمزة فى كل الكلمات التي وردت فيها مخففة إلى ياء باستثناء بعض الألفاظ ، وقد نبهنا على ذلك فى موضعه .

ترجمة المصنف

الشيخ محمد بن نصر الحازمى من علماء نجد ، وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فهو عالم فقيه ، تتلمذ على يد الشيخ فى آخر أيام حياته ، ثم راح ينشر مذهبه عن طريق تلك السياسة التى كانت تتبعها الدولة السعودية فى نشأة حياتها ، وهناك بعض الآراء التى تقول أنه لم يلتق بالشيخ نظراً لعدم تحديد الفترة الزمنية لميلاده ونشأة الشيخ محمد بن نصر الحازمى.

والحقيقة أن المصادر لا تمدنا بشيء عن مولده ونشأته وأهم شيوخه وأساتذته ، ومذهبه ، وعن تلاميذه الذين تلقوا عنه ، ولكننا عن طريق الحديث يمكننا أن نقول أنه قد ولد فى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى ، وتوفى فى العقد الثانى أو الثالث من القرن الثالث عشر الهجرى .

ومخطوطه التى بين أيدينا هى الى اعتمدت عليها فى تعريف المصنف والفترة الزمنية التى وجد فيها – وهى النسخة الوحيدة التى عثرت عليها فى دار الكتب المصرية ، ولها نسخة أخرى فى الرباط بالمغرب .

[نص المخطوطة]

مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى نصر دينه وعزه ، وجعل له أعواناً (١) فى كل زمان ومكان ، يؤدون به ويحفظونه من شر أهل البدع والأهواء .

أما بعد هذه رسالة أذكرها لمن أراد الله به خيراً (٢) وفهم معناها وعمل بمقتضاها .

فأقول : لما كان فى السنة الحادية عشر بعد المائة وألف اجتمع بعض علماء نجد مع علماء مكة فى بطن الحرم ؛ وحصل بينهم مناظرة ؛ وكانت الحجة لعلماء نجد على علماء مكة : وذلك بما ورد من الكتاب والسنة وكلام العلماء رحمهم الله فكانت (٣) مناظرتهم فى ثلاث مسائل خلالها خالف علماء مكة حرسها الله لدى علماء نجد ، ما قولكم فيمن دعا ولياً (٤) واستغاث بهم

---

(١) فى المخطوطة أعوان ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) فى المخطوطة « خير » ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) فى المخطوط « فكان » .

(٤) هكذا فى المخطوطة .

فى تفريج الكربات كقوله : يارسول الله ، أو ياابن عباس أو يا محبوب ، وغيره من الصالحين ؛ فكان الجواب وبالله التوفيق من علماء نجد – الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يظلل فلا هادى له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد فإن الله قد كمَّل لنا دينه ، ورسوله ﷺ قد بلغ البلاغ المبين ، وأنزل عليه الكتاب هدى وذكرى للمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا عليك الكتابا تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاءً لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (٣) ، ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ (٤) ، قال ابن عباس

---

(١) سورة المائدة ، جزء الآية : ٣

(٢) سورة النحل جزء الآية ٨٩

(٣) ٥٧ ك يونس ١٠

(٤) ١٢٣ ك طه ٢٠

رضى الله عنهما (١) : تكفل الله بمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل فى الدنيا ، ولا يشقى فى الآخرة (٢) ، وقال تعالى : ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ (٣) ، وروى مالك (٤) فى الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ » (٥) وعن أبى الدرداء (٦) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو العباس الهاشمى الإمام البحر عالم العصر ابن عم رسول الله ﷺ ، دعا له النبى ﷺ أن يفقهه الله فى الدين ويعلمه التأويل. مات سنة ٦٨ هـ بالطائف .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة

(٣) ٣٦ ك الزخرف ٤٣

(٤) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى الحميرى أبو عبد الله المدنى شيخ الأئمة ، روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل مات سنة ١٧٩ هـ

(٥) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن ابن ماجة والترمذى

(٦) هو أبو الدرداء عوعر بن زيد الأنصارى الخزرجى ، وكان يقال هو حكيم هذه الأمة ، شهد احدا وأبلى يومئذ بلاء حسنا ، وكان عالم أهل الشام ومصرى أهل دمشق وفقيههم وقاضيهم ، مات سنة ٣٢ هـ .

« تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يــــزوغ عنها بعدى إلا هالك»[1] ، وقال ﷺ : « ما تركت من شيء يقرب إلى الله إلا وحدثتكم به ، ولا شيء يقرب إلى النار إلا وحدثتكم به » [2] ، وقال ﷺ : «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل بدعة ضلالة ، فمن أصغى إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وجد فيهما الهدى والشفاء ، وقد ذمَّ الله من أعرض عن كتابه وذى عند النازل إلى حكم عبده ، فقال : ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا ﴾ [3] ، وإذا عرفت هذا فنقول الذى شاهدتم رسول الله ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكير الآخرة والإحسان إلى الموتى بالدعاء والترحم والاستغفار ، وسؤال العافيه لهم كما فى صحيح مسلم عن أبى [4] قال كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا

---

(١) ورد فى سنن الترمذى وابن ماجه

(٣) ورد فى سنن البيهقى

(٣) ٦١ م النساء ٤

(٤) كلمة غير واضحة فى المخطوطة ، وهو أبى بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصارى الخزرجى ، أقرأ الصحابة وسيد القراء ، شهد بدرا والمشاهد ، قرأ القرآن على النبى ﷺ وكان أحد من سمع الكثير ، وجمع بين العلم والعمل حدث عنه أيوب الأنصارى وابن عباس وأبو هريرة وطائفة ، مات سنة ١٩ هـ.

خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : السلام على أهل الديار ، وفى لفظ السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » (١) ، وفى سنن أبى داود (٢) عن بريدة (٣) رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » (٤) ، وعن عائشة (٥) رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين ، يشفعون ما به كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » (٦)

---

(١) ورد أيضا فى سنن الترمذى.

(٢) هو أبو داود السجستانى سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو الأزدى صاحب كتاب السنن والناسخ والمنسوخ والقدر والمراسيل ، ولد سنة ٢٠٢ هـ ، روى عن القعنبى ومسلم بن إبراهيم وأبى الوليد الطيالسى وأحمد ويحيى وإسحاق وابن المدينى ، مات سنة ٢٧٥ هـ.

(٣) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمى أبو عبد الله ، أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد خيبر وفتح مكة ، ثقة مات سنة ٦٣ هـ.

(٤) وكذلك فى مفتاح كنوز السنة.

(٥) هى عائشة أم المؤمنين بنت أبى بكر الصديق ، كان فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ يرجعون إليها ، تفقه بها جماعة . ماتت سنة ٥٧ هـ .

(٦) ورد فى صحيح ابن حبان أيضا .

رواه مسلم (١) فإذا كان على جنازة ندعو له لا ندعوه ، ونشفع له لا نستشفع به فبعد هوذا من باب والأخرى أن لا نستشفع به ونحوه ولكن بدّل أهل البدع قولاً غير الذى قيل لهم ، بدلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به ، والزيارة التى شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت بسؤال له ، وتخصص له، وقال : تلك البقق بالدعاء بنص رسول الله ﷺ الدعاء مخ العبادة رواه الترمذى (٢) ، وعن النعمان بن بشير(٣) رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ (٤)

---

(١) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى أبو الحسن النيسابورى صاحب الصحيح ، روى عن قتيبة وعمرو الناقد وابن المثنى وابن يسار وأحمد ويحيى وإسحاق وخلق . وعنه الترمذى وأبو عوانة وابن صاعد وخلق ، مات سنة ٢٦١ هـ .

(٢) هو أبو عيسى الترمذى محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمى، صاحب الجامع والعلل ، روى عنه محمد بن المنذر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبونى وخلق . مات سنة ٢٧٩ هـ .

(٣) هو النعمان بن بشير بن مسعود بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى أبو عبد الله المدنى ، له ولأبويه صحبة ، روى عن النبى ﷺ وعن خاله عبد الله بن رواحة وعمر وعائشة ، تقلد عاملا على حمص مات سنة ٦٥ هـ .

(٤) كذلك فى سنن النسائى .

رواه أحمد (١) ، وأبو داود (٢) ، والنسائي (٣) ، وابن ماجه (٤) ، ومن المحال أن يكون دعاء الميت مشروعاً ، ويصرف عنه القرآن المفضل وبنص رسول الله ﷺ تحريف ، فقول الخلف من بعده ، والذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله ﷺ وهذه طريقة الصحابة ، والتابعين لهم بإحسان فأهل نقل عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن الفهم ؟ كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعو عندها ، وتمسحوا بها فضلاً عن أن يسألوا الحاجة بها وجلب الفوائد ، وكشف الشواهد ، ومعلوم أن مثل هذا مما توفرت

---

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي صاحب المسند والزهد ، روى إبراهيم بن سعد وإسماعيل بن عليه وبهز بن أسد وبشر بن المفضل وخلائق . مات سنة ٢٤١هـ .

(٢) سبق الترجمه له .

(٣) هو أبو عبد الرحمن بن شعيب بن علي بن سنان بن بحرين دينار الخراساني النسائي ، روى عنه ابن جوصا وابن السني وأبو سعيد بن الأعرابي والطماوي وابن عدي وابن يونس والعقيلي وابن الأحرم وأبو عوانة وآخرون . له السنن الكبرى والصغرى وخصائص علي ومسند علي ومسند مالك مات سنة ٣٠٣ هـ .

(٤) هو أبو عبدالله محمد بن يزيد الربعي مولاهم القزويني الحافظ صاحب كتاب السنن والتفسير ، روى عنه خلق منهم أبو الطيب البغدادي وإسحاق بن محمد القزويني وعلي بن سعيد العسكري وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان ، مات سنة ٢٨٣ هـ

به الأخبار ، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ كثير بالأمصار متوفرون ، فما سمعنا عن أحد منهم استغاث عند القبور ، ولا كانوا أى الصحابة يدعون عند قبر النبى ﷺ ، ولا يستغيثون به بعد موته ، ولا يستشفعون به بعد موته ، ولا يستنصرون به ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبى ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ولا ورد عنهم أثر صحيح ، ولا حسن فى جميع أهل العلم والدين ، ولما قحط الناس في زمن عمر ابن الخطاب ؛ استقى بالعباس ، وتوسل بدعائه، وقال: اللهم إنّا كنّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون !. ثبت ذلك فى صحيح البخارى [1]، ذكره فى كتاب الاستسقاء من الصحيح. وعن أبى الضراوة [2] أن النبىﷺ لم يشرع لأحد من أمته أن يدعوا أحداً من الأموات ولا الأنبياء ، ولا الصالحين ولا غيرهم لا بالاستغاثة ، ولا غيرها؛ بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الأكبر؛ الذى حرمه الله ورسوله، قال تعالى:﴿ وأن المساجد لله فلا تدع مع الله أحداً﴾ [3] ، وقال تعالى: ﴿ ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيره الجعفى مولاهم روى عن الإمام أحمد وإبراهيم بن المنذر وابن المدينى وآدم بن أبى إياس وقتيبة وخلق . وللبخارى من المؤلفات « الجامع الصحيح » و « التاريخ الكبير » و « الأدب المفرد » و « القرّاء خلف الإمام » ، مات سنة ٢٥٦ هـ .

(٢) ورد فى المخطوطة الضروة .

(٣) ١٨ ك الجن ٧٢ .

إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم عدو وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ [٢] . وقال : ﴿ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾ [٣] ، وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً ﴾ [٤] وقال مجاهد [٥]: هو: عزير، والمسيح، والشمس والقمر ، وفى السدى عن أبى هريرة [٦] عن بن عباس ، قال :

---

(١) ٥ ك الأحقاق ٤٦ .

(٢) ٥٠ ك غافر ٤٠ .

(٣) ١٠٦ ك يونس ١٠ .

(٤) ٥٦ ك الإسراء ٧ .

(٥) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكى المخزومى مولى السائب بن أبى السائب مات سنة ١٠٠ هـ وقيل سنة ١٠١ هـ

(٦) هو أبو هريرة عبد الرحمن صخر الدوسى اليمانى . حفظ عن النبى ﷺ الكثير وعن أبى بكر وعمر وأبى بن كعب ، وعنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك وخلق كثير ، وكان من أوعية العلم، ومن كبار أئمة الفتوى مع الجلالة والعبادة والتواضع . مات سنة ٥٨ هـ .

عيسى وأمه والعزير (١) .

وعن عبدالله بن مسعود (٢) قال : نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم الجنيون ، والإنس الذين يعبدونهم لم يشعروا بإسلامهم ؛ فنزلت هذه الآية . ثبت ذلك عنه فى صحيح البخارى ذكره فى كتاب التفسير، وهذه الأقوال فى معنى الآية كلها حق ، فإن الآية تعمم كل معبود غير الله سواء أكان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ، فالآية جعلها (٣) لكل من دون الله مدعواً وذلك المدعو ؛ يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه ، فلا من دعا ميتاً وغائباً من الأنبياء ، والصالحين فقد أنزل الله هذه الآية ومعلوم أن المشركين يتوسلون (٤) بالصالحين بمعنى أنهم وسائطهم إلى الله ، ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم ، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعى ولا تحويلا ، لا يدفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع فكل من دعا ميتاً من الصالحين وغيرهم من الملائكة أو الجن ؛ فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك عنه كشف الضر ولا تحويلا ، وأهل زماننا منهم

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) هو عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلى صاحب رسول الله ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين ومن كبار البدريين ومن نبلاء الفقهاء المقرئين . مات سنة ٣٢ هـ .

(٣) فى المخطوطة « خطها » .

(٤) هذه اللفظه من عندنا لأنها تناسب المعنى الذى جاءت به المخطوطة بدلاً من كلمة يسلمون .

من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه فيئن به كما يئن الصبى بذكر أمه ، وإذا تعبّدَ أحدهم قال : يا عباس ويا محجوب ، ويا عبد القادر ومنهم من يحلف بالله ويكذب ، ويحلف بابن عباس ويصدق ولا يكذب !! ونحو هذا كثير فيكون المخلوق فى حده أعظم من الله تعالى فإذا كان دعاء الميت يتضمن هذا الاستهزاء بالدين وهذه المحاده لرب العالمين فأى الفريقين أحق بالاستهزاء بالله والمحادة له من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم ، ويؤمن بذلك ونحوه ، أو من كان يدعو إلى الله وحده لا شريك له ، كما أمرت به رسله ، ويوجب طاعة الرسول ﷺ ، ومتابعته فى كل ما جاء به ، ونحن بحمد الله أعظم الناس إجابة لدعائه ، وجانب الرسول ﷺ تصديقاً له ، فيما أمر ، وطاعة له فيما أمرنا به ، وبمعرفة ما بعث به واتباعاً لذلك دون من خالف عمله بقوله تعالى : ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ﴾ (٢) ، ومعنى ولله الحمد : أصلان عظيمان أحدهما أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ندعو إلا هو ، ولا نذبح الذبح إلا لوجهه ، ولا نرجو إلا هو ، ولا نتوكل إلا عليه ، ولا نتذلل إلا له ، ولا نستعين إلا به، ولا نخاف إلا هو، ولا نتوب إلا إليه ، ولا نرغب ، ولا نرهب إلا منه.

---

(١) ٣ ك الأعراف ٧

(٢) ١٥٥ ك الأنعام ٦

والأصل الثانى أن لا نعبده إلا بما شرعه على لسان رسوله ﷺ لا نعبد بعبادة مبتدعة ، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة ألاَّ إله إلا الله تضمن إخلاص النية لله فلها ينقاد القلب واللسان ، والجوارح التى بدونها لا الحب ولا الخشية ولا الإجلال ولا الرغبة ولا الرهبة ونحوه ، وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ؛ تضمن تصديقه فى جميع ما أمر به وطاعته ، والابتعاد عن كل ما أمر به الكبر وجب إثباته ، وما نفا وجب نفيه ، وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أَبَى ، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » (١) إذا عرفت هذا فنقول الذى نعتقد ، وندين بدين الله بعد أن دعانا أليه نبينا أو أولياء أو غيرهم ، أو سئل منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ؛ إن هذا من أكبر الشرك .

الذى كفَّر اللهُ به أمم المشركين حيث اتخذوا أولياءً وشفعاءً يستجلبون بهم النفع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم، قال الله تعالى:﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هم لنا يشفعون – إلى قوله ـ يشركون ﴾(٢). فمن الأنبياء وغيرهم كابن عباس والمحجوب ، أو أبى طالب وسائط يدعوهم ويتوسلون بهم ويسألونهم جلب النفع أو دفع الضر بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسارعون إلى الملوك حوائجهم

(١) ورد فى صحيح البخارى ومسلم

(٢) ٥٥ ك الفرقان ٢٥

إلى الناس بقربهم منهم ، والناس يسألونهم طلباً منهم أن يشهد تساؤل الملوك ، ولكونهم أقرب إلى الملوك فمن جعلهم واسطة على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال المال والدم ، وقد نص العلماء على ذلك وهو إجماع عليه ، قال فى الإقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط بنو كل عليم ويدعوهم ويسألوهم كفر إجماع ، إن ذلك كفعل عبادة الأصنام قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . انتهى .

وقال الإمام أبو العموف بن عقيل الحنبلى : لما صعبت التنكيف على العمال وألطف ، وعدلوا عن أوضاع الشرع إلى القيامة أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهل عليهم إن لم يدخلوا بها فى حق أمر غيرهم وهم عنده كفار بهم ضالون مثل تعظيم القبور واحترامها والتزامها وما نهى عنه ﷺ من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج ، وكتب الرقاع فيها يا مولى افعل بوسعك وكذا أو أخذ تربتها ، وإضافة الطين على القبور ، وشد الرحال إليها وإلقاء الخوف على الشجر اقتداءً بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه، وقال : إلا قى شرك بلدى الشافى فى تفسيره عند قوله تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [1] ، وكانت الكفار إذا سألوا من خلق السموات والأرض ؟ قالوا : الله ! فإذا سألوا عن عبادة الأصنام ؟ قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ؛ لأجل طلب شفاعتهم عند الله ، وهذا أكفر منهم . انتهى .

---

(١) ٣ك الزمر ٣٩ .

فتأمل ما ذكره صاحب الإقناع ، وما ذكره بن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج ، فإن ذلك كفر ، وقال الحافظ العماد بن كثير في تفسيره عند قوله : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴾ (١) ، الآية ، إنما بتكلمهم بحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى الاهتمام واتخذوها على أهون وأكبر المقربين بزعمهم ؛ فعبدوا تلك الصور لتذيل بذلك منفذين عبادتهم الملائكة يشفعون لهم عند الله في نصرهم ورزقهم ومن ينوبهم من أمور الدنيا، فأما المعاد فكانوا كافرين به ، قال قتادة (٢)، والسرى (٣) ، ومالك : عن زيد بن أسلم (٤) الآية ليتقربون إلى الله زلفى كي يشفعوا لنا ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون : في تلبتهم : لبيك لا شريك إلا شريك تمكن وما ملك وهذه الشبه التي اعتادها البشر كانت في قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم بردها ونبهوا عنها ، والدعوة إلى الله إفراد الله

---

(١) ٣ك الزمر ٣٩ .

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه ، أحد الأعلام ، روى عن أنس وعبدالله بن سرجس وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين ، ولد سنة ٦٠ هـ ومات سنة ١١٧ هـ .

(٣) هو السرى السقطي ، ثقة .

(٤) زيد بن أسلم المدني الفقيه أبو أسامة ، روى عن أنس وجابر بن عبدالله وسلمة بن الأكوع وابن عمر وأبي هريرة وعائشة ، مات سنة ١٣٦هـ.

بالعبادة ، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله به ، ولا رضيه بل بغضه ونهى عنه كما قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) فاجتناب الملائكة التى فى نسماء مقربين وخبرهم كلهم عبيد له خاضعين له لايشفعون عنده بغير إذنه وليس عنده كل أمير عند الملوك يستبدون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك ويكره فلا تضربوا لله الأمثال ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – انتهى كلامه .

وقال الإمام البكر ، عند قوله تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض﴾ (٣) الآية. قال : قلت : إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام؟!. قلت : كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم للأصنام بعبادة الله، بل هى عندهم واسطة الفضيلة عبدناها لتقربنا إليه، وفرقة قالت: الملائكة ذوجاه ومنزلة عندالله ، فنحتوا أصناماً على هيئتهم أى على هيئة الملائكة حتى تقر بنا إليه زلفى وفرقة قالت: جعلنا أصناماً قبلت لنا فى العبادة كما فى الكعبة قبلت فى عبادته، وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطان موكل بأمر الله فمن انصم حق عبادته قضى الشيطان

(١) ٣٦ ك النحل ١٦ .

(٢) ٢٥ ك الأنبياء ٢١ .

(٣) ٣١ ك يونس ١٠ .

ما أمر الله مال رضا به الشيطان بنكبته بأمر الله . انتهى كلامه .

فانظر إلى كلام هؤلاء الثلاثة العمدة ، وتصريحهم بأن البشر حينما أرادوا ممن عبدوا إلى القربية إلى الله ، وطلبوا شفاعتهم عندهم . وتأمل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد بن أسلم ، ثم قال : وهذه الشبه التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه ، وجاءتهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لردها ، وأن ينتهوا عنها . وتأمل ما ذكره البكرى فى الآية التى مرت أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة ثم حكمه بأن هذا كفر ، فمن تأمل ما ذكره الله فى كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا إلا القربى مما عبدوا الله ، وطلب شفاعتهم عنده فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق ، وتنزل المطر، وتنبت النبات ، بل كانوا مقرين بأن الفاعل لذلك الله كما أخبروا عنهم بقوله: ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض ﴾ . الآية ، وقوله تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون – إلى قوله تعالى تسحرون ﴾ [٢] التى تبين ذلك من الآيات التى أخبر الله فيها أن المشركين مقرين أن الله هو الخالق الرازق ، وإنما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ، ويشفعوا لهم ، كما ذكر الله فى قوله ، ويقولون : ﴿ شفعاءنا عند الله ﴾ [٣] ، فبعث الله الأنبياء وأنزل الكتب

---

(١) ٢٤ ك سبأ ٣٤ .

(٢) ٨٤ ك المؤمنون ٢٣ .

(٣) ١٨ ك يونس ١٠ .

حتى يعبد الله لايجعل معه إلهاً آخر ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لايشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وأنه لا يقبل إلا من رضى قوله ، وعمله وأنه لا يرضى إلا التوحيد .

فالشفاعة مقيدة بهذه القيود . قال الله تعالى : ﴿ أم تخذوا من دونه شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ﴾ [1] الآية . وقال تعالى : ﴿مالكم من دونه من ولى ولا شفيع ﴾ [2] الآية . وقال تعالى : ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ يومئذ لا تشفعوا الشفاعةعنهد إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا ﴾ [4] . وقال تعالى : ﴿ وكم من ملك فى السماوات والأرض لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [6] الآية ، وقال تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [7] ، وفى الصحيحين من

---

(١) ٤٣ ك الزمر ٣٩.

(٢) ٤ ك السجدة ٣٢ .

(٣) ٢٥٥ م البقرة ٢ .

(٤) ١٠٩ ك طه ٢٠ .

(٥) ٢٦ ك النجم ٥٣ .

(٦) ٢٨ ك الأنبياء ٢١ .

(٧) ٢٣ ك سبأ ٣٤ .

غير وجه عن رسول الله ﷺ ، وهو سيد ولد آدم ، وأكرم الخلق على الله ، قال فى حديث الشفاعة الطويل : « ثم آتى تحت العرش فأخر ساجداً ويقسم على فيمد مداً لاقيها فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى يقابلها بوجهه ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، واشفع تشفع ، قال : فيمد جسرا فيدخلهم الجنة ثم أعود نؤكد أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين »(١)، وقال الإمام البكرى عند قوله تعالى : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه من لى ولا شفيع ﴾ (٢) فذكر التشفيع وإن كانت الشفاعة واقفة فى الآخرة إلا إنها من حيث لاتشفع إلا بإذنه ، فكأنها غير موجودة من غيره ، وهو كذلك ، ولكن جعل ذلك اتباعاً للدين وحملة النفى حال من ضمن محشور وهى محل الخوف والمراد ، ما المؤمنون الموصوفون. انتهى .

وقال أيضا عند قوله : ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولاً ﴾ (٣) . دلَّ على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط .

---

(١) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وابن حبان .

(٢) ٥١ ك الأنعام ٦ .

(٣) ٢٣ ك سبأ ٣٤ .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير [١] عند قوله : ﴿ قل من رب السماوات والأرض قل الله ﴾ [٢] . يقدر أن لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذى خلق السماوات والأرض ، وهو ربها ومدبرها ، وهم مع هذا قد اتخذاوا من دون الله أولياء يعبدونهم ، وإنما عبدوها أى المشركون بعد تأليهها وأنهم معترفون أنها مخلوقة [٣] كما كانوا يقولون : فى تلبيتهم لبيك لا شريك إلا شريك لا تملكه ، وما ملك كما أخبر عنهم بقوله : ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [٤] ، فأنكر ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك فهو لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا تشفع الشفاعة عنده إلا بإنه له ، ثم إنه تعالى أرسل الرسل من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك وتنهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم . انتهى كلامه .

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ، وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلا القربى ورضى الله وطلبوا بهم عند الله ، وبيان طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم فى الشدائد أنه من الشرك الذى كفر الله

---

(١) ورد فى كتابه التفسير .

(٢) ١٦ م الرعد ١٣ .

(٣) كلمة غير واضحة فى نسخة المخطوطة .

(٤) ٣ ك الزمر ٣٩ .

به المشركين ، وبيان الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شيء ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وأنه لا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله ، وأنه لا يرضى إلا التوحيد كما قدمت الأدلة الدامغة على ذلك ، ومعلوم أن على الخلق ، وأكثرهم على الله هم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يقولون شيئاً إلا بعد إذنه له ، وأمره لهم ، فمن أذن لمن شاء أن يشفع نبيه فصارت الشفاعة فالحقيق فها هى له ، والذى يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له وأمره له بعد إذنه له سبحانه إلى نفسه وهى إرادته إنه يرحم عبده ، وهو ضد أسماعه الشركية التى أثبتها المشركون، ومن وضعهم التى أبطلها سبحانه فى كتابه بقوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفسٍ شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ (٢) ، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص ، فقد روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « أسعد الناس شفاعة يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » (٣) ، وعن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة ، وبين

---

(١) ١٢٣ م البقرة ٢ .

(٢) ٢٥٤ م البقرة ٢ .

(٣) ورد فى صحيح مسلم .

الشفاعة ؛ فاخترت الشفاعة ، وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئاً ، [١] ، رواه الترمذى ، وابن ماجة . فأسعد الناس بشفاعة رسول الله ﷺ أهل التوحيد ، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من العلقات الشركية ، وهم الذين ارتضى بهم سبحانه ، قال تعالى : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ﴾ [٣] الآية .

فأخبر سبحانه أنه لا يحصل يومئذ شفاعة كى تشفعوا إلا بعد راضين قول المشفوع له ، وإذن الشافع وأن المشرك فإنه لا يرتضيه ، ولا يرضى قوله فلا يذنو شفاء أن يشفع فيه ، وانه بمحض عقلها بأمرين رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع مع ضمناً لم يوجد مجموع الأمرين ، ولم توجد الشفاعة ، وهذه الشفاعة فى الحقيقة هى منه ، فإنه الذى أذن والذى قبل ، والذى رضى عن المشفوع له ، والذى وفقاً لما يستحق به الشفاعة فمن اتخذ الشفيع مشركاً لا تستحق شفاعته ، ولا يشفعه فيه ومتخذاً رباً وحده إلهه ومعبوده ، هو الذى بإذنه سبحانه لشفيع أن يُشَفَّع فيه ، قال الله تعالى : ﴿ اتخذوا من دون الله شفعاء – إلى قوله – قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ [٤] ، وقوله : ﴿ ويعبدون من دون

---

(١) ورد فى صحيح البخارى وابن حبان .

(٢) ٢٨ ك الأنبياء ٢١ .

(٣) ١٠٩ ك طه ٢٠ .

(٤) ٤٣ ك الزمر ٣٩ .

الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (١)، وبين أن من اتخذ من شفعاء مشركين ، وأن الشفيع عدل لاتحصل باتخاذهم، وإنما تحصل بإذن ربهم الشفاعة ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه.

والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على من جعل الملائكة والأنبياء وابن عباس ، وأبا طالب ، أو المحجوب ، وغير من الأولياء والصالحين وسائطاً بينه وبين الله يشفعون له عنده ، لأجل قربهم إلى الله كما يفعل عند الملوك ؛ إنه كافر مشرك حلال المال والدم وإن قال أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وصام وصلى ، وزعم أنه مسلم ؛ بل هو من الذين قال الله فيهم: ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ (٢) . الآية ، ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحاً بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ معترفون بأن الله هو الخالق الرازق ، وأن السماوات السبع ، ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيهن كلهن عبيده ، وتحت تصرفه وقهره كما حكى عنهم فى سورة « المؤمنون » والعنكبوت ، وغيرها من السور كثير مصرحاً بأن المشركين يدعون الصالحين

(١) ١٨ ك يونس ١٠ .

(٢) ١٠٤ ك الكهف ١٨ .

كما ذكره الله عنهم فى سورة « سبحانه »[1]، و« المائدة » وغيرها من السور وكذلك ذكر عنهم أنهم كانوا يعبدون الملائكة ، كما ذكر عنهم ذلك فى سورة « سبأ » و « الأنبياء » و « النجم » بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا الشفاعة والقرب إلى الله كما ذكر الله ذلك عنهم فى سورة « يونس» و « الزمر » وغيرها من السور .

فإذا تبين لكم بأن القرآن صرح فيه بهذه المسائل الثلاثة عن اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية ، وأنهم يدعون الصالحين يريدون منهم الشفاعة والقربة إلى الله تبين لكم أن هذا الذى يفعل اليوم عند القبور من سؤالهم جلب النوافع والفوائد وكشف الشدائد ؛ أنه الشرك الأكبر الذى كفَّر الله به المشركين.

فهؤلاء المشركون يشبهون الخالق بالمخلوق ، وفى القرآن العزيز ورد ما يدفع من رد وهول مالا يتسع له هذا الموضع ، فإن الوسائط التى بين المشرك وبين الناس تكون على إحدى وجوه ثلاثة :

١- إما لإخباره عن أحوال الناس الذين لا يطلعون عليهم ، ومن قال : إن الله لا يطلع على أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء وغيرهم من الأولياء والصالحين فهو كافر .

بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ولا يخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

---

(١) يقصد سورة «الإسراء» لأنها هى التى تبدأ بقوله تعالى: ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً﴾ .

٢- الثانى أن يكون الملك عاجز عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلى [1] يعاونونه فلابد له من أعوان وأنصار له لعجزه .

والله سبحانه ليس له وكيل من كل ما سواه ، وكل ما سواه فغير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهور أنصار وعلم فى الحقيقة شركاؤهم ، والله ليس له شريك فى الملك بل لا إله إلا هو لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، ولهذا لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه فهو الشريك فى حصول المطلوب شفاعةً حتى يفعل ، والله سبحانه لا شريك له بوجه من الوجوه الثلاثة ، أن يكون له الملك ليس يريد النفع لرعيته ، والإحسان إليهم إلا عجزه بحركة من خارج ، فإذا خاطب الملك من يأتيه إلا بها حظ من حظوظ الدنيا وغيرها ، والله سبحانه وتعالى عن كل هذا ، ومن شبه الرب بالخلق فهو كافر ، والله رب كل شىء ، فإن الشافع عندهم يكون شريكاً لهم فى الملك ، وقد يكون مظاهراً لهم معاوناً على الملك ، وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك ، والملوك تقبل شفاعتهم تارة بحاجة اليوم ، وتارة بإحسانهم ومكافأتهم حتى أنه يقبل شفاعة ولده وزوجته بذلك فإنه محتاج إلى الزوجة والولد حتى أعرض عنه ولده ، وزوجته يتضرر بذلك ويقبل شفاعة مملوك فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف ألا يطيق ، ويقبل شفاعة أخيه مخافة أن يسعى فى ضره ، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو لأجلهن ، والله تعالى لا يرائى أحداً ، ولا يخاف ولا يحتاج إلى أحد ، بل هو

---

(١) كلمة غير واضحة فى المخطوطة .

الغنى سبحانه عما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه .

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند المخلوق ، قال الله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هم لنا شفعاء عند الله – إلى قوله – عما يشركون ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا* أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ (٢) . الآية ، فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دون الله لا يملك كشف الضر ولا تحويلا وأنهم يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ويتقربون إليه فقد نفى سبحانه ما أثبتوه له من توسط الملائكة والأنبياء ، وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله ، وأما من أراد الله فتنته فلا رجاء فيه . ومن يهدى الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

---

(١) ١٨ ك يونس ١٠ .

(٢) ٥٧ ك الإسراء ١٧ .

* وأما المسألة الثانية وهى

من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولم يصلّ ، ولم يزكّ ، هل يكون مؤمناً ؟

فنقول : أمّا من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهو مقيم على الشرك ويدعو الموتى ، ويسألهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، فهذا مشرك حلال المال والدم ، وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وصلى وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه .

وأما من وَحّدَ اللَّه تعالى ، ولم يشرك به ، ولكنه ترك الصلاة والزكاة ؛ فإن كان جاحداً للوجوب لهما ؛ فهو كافر إجماعاً .

وأما إن أقر بالوجوب ، ولكنه ترك الصلاة تكاسلاً عنها ، فهذا قد اختلف العلماء فى تقديره أو كفره ، والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة ، وإذا تنازعوا فى شىء ردّوا ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ، ويترك إلا رسول الله ﷺ .

قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ (١) .

---

(١) ٥٩ م النساء ٤ .

قال العلماء : الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته ، وقال تعالى : ﴿ وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ (١) . وقد ذم الله من أعرض وتركه عند التنازع إلى غيره ، فقال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم تعالوْا إلى ما أنزل وإلى الرسول رأيت المنافقن يصدون عنك صدودا ﴾ (٢) . إذا عرف هذا فنقول : اختلف العلماء في ترك الصلاة كسلاً من غير جحود لوجوبها . فذكر الإمام أبو حنيفة والشافعي في أحد رواياته لعله مذهب (٣) لايحكم بكفره ، واحتجوا لما رواه عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « خمس صلوات كتبهن الله على العبد من اتقى الله بهن كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنه ، ومن لم يأت بهن لم يكن له عند الله عهداً ؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له » (٤). ونهى إمامنا أحمد بن حنبل (٥)

---

(١) ١٠ ك الشورى ٤٢ .

(٢) ٦١ م النساء ٤ .

(٣) كلمة غير واضحة من المخطوطة ربما تكون الحنابلة .

(٤) ورد في صحيح البخارى .

(٥) يستدل من هذه المقالة على مذهب المصنف .

والشافعي [١] في أحد قوليهما ، وإسحاق ابن راهوية [٢] ، وعبدالله بن المبارك[٣] ، والحاكم [٤] ، وأيوب السجستاني [٥] ، وأبو داود الطيالسي [٦] ، وغيرهم

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي المكي نزيل مصر ولد بغزة سنة ١٥٤ هـ ومات سنة ٢٠٤هـ ، روى عن عمه محمد بن علي وأبي أسامة وسعيد بن سالم القداح وابن عيينه ومالك وابن عليه وابن أبي فديك وخلق .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم بن مطر الحنظلي أبو يعقوب المروزي نزيل نيسابور ، روى عن ابن عليه وروح بن عبادة وسليمان بن حرب وابن عيينه وزكريا بن عدى وابن مهدى وعبد الرازق ، ولد سنة ١٦٦هـ ، ومات سنة ٢٣٨هـ .

(٣) هو عبدالله بن المبارك الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي ، أحد الأئمة الأعلام ، روى عن حميد الطويل وحسين المعلم وسليمان التيمي وخلق .

(٤) هو الحاكم الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبدالله محمد بن عبدالله محمد بن حمدويه بن نعيم النيسابوري يعرف بابن البيع ، صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم الحديث والمدخل والإكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك . ولد سنة ٣٢١هـ ومات سنة ٤٠٥هـ.

(٥) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السجستاني أبو بكر البصري، رأى أنسا وروى عن سالم بن عبدالله وسعيد بن جبير والأعرج وعطاء بن أبي رياح ونافع مولى ابن عمر، ولد سنة ٦٨هـ ومات سنة ١٣١هـ.

(٦) هو أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود البصري ، روى عن ابن عوف وأيمن ابن نابل وهشام الدستوائي والثوري والحمادين وشعبة وابن المبارك وخلق . مات سنة ٢٠٣هـ.

من الأئمة والتابعين إلى أنه كافر ، وحكاه : إسحاق بن راهوية إجماعاً ، ذكره عنه الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي [1] في شرح الأربعين ، وذكره في كتاب «الزواجر عن اقتراف الكبائر» عن جمهور الصحابة ، وقال الإمام أبو محمد ابن حزم [2] : سائر الصحابة ، ومن بعدهم من التابعين يكفرون تارك الصلاة مطلقاً ، ويحكمون عليه بالارتداد من أبى بكر وعمر وابنه عبدالله ، وعبدالله ابن عباس ، وعبدالله بن مسعود، ومعاذ ابن جبل [3]، وجابر بن عبدالله [4]، وعبد الرحمن بن عوف [5] ، وأبى الدرداء ، وأبى هريرة ، وغيرهم من الصحابة – رضى الله عنهم أجمعين – ولا نعلم لهؤلاء العلماء مخالف من الصحابة ، وأجابوا عن قوله ﷺ : « من لم يأت بهن فليس له عند الله عهد

---

(١) وهو صاحب كتاب « القول المختصر فى علامات المهدى المنتظر » و« المولد الشريف » ويعرف بابن حجر المكى .

(٢) هو الحافظ الفقيه أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم اليزيدى الأموى كان أولا شافعياً ثم تحول ظاهريا ، له المحلى وشرحه المحلى والملل والنحل والإيصال فى فقه الحديث مات سنة ٤٥٧هـ .

(٣) هو معاذ بن جبل أبو عبد الرحمن الأنصارى الخزرجى شهد العقبة وشهد بدرا والمشاهد ، مات سنة ١٨هـ .

(٤) هو جابر بن عبدالله أبو عبدالله الأنصارى الفقيه مفتى المدينة فى زمنه حمل عن النبى ﷺ علماً كثيراً نافعا ، مات سنة ٧٨ هـ .

(٥) له ترجمة فى الاستيعاب لابن عبد البر ، والإصابة لابن حجر العسقلانى .

إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»[١]. المراد عدم المحافظة عليهن في وقتهن[٢]. بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها وأجمعوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: « بين الرجل وبين الشرك والكفر تركه الصلاة » [٣]. وعن بريدة ابن الحصيب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » [٤] رواه الإمام أحمد، وأهل السنن، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح إسناده على شرط مسلم وعن [٥] ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بين العبد والكفر قال: إيمان الصلاة فإذا تركها أشرك » [٦]

---

(١) سبق تخريجه . وانظر مفتاح كنوز السنه .

(٢) المقصود الصلوات الخمس ، فالضمير وهو نون النسوة عائد على الصلوات الخمس .

(٣) ورد في صحيح مسلم .

(٤) ورد في صحيح البخاري ومسلم .

(٥) كلمة غير واضحة أراد بها .

(٦) ورد في صحيح البخاري وابن حبان .

وإسناده على شرط مسلم ، وعن عبدالله بن عمر [١] ، وابن العاص[٢] رضى الله عنهم ، عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون ، وهامان ، وأبى بن خلف » [٣] . رواه الإمام أحمد وأبو حاتم ، وابن حبان فى صحيحهم وعن عبادة بن الصامت قال : وصانا رسول الله ﷺ ، فقال : « لا تشركو بالله شيئاً ، ولا تتركوا الصلاة عمداً ، فمن تركها خرج من الملة » [٤] . رواه عبد الرحمن ابن أبى حاتم فى سننه ، وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : « من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برأ من ذمة الله » [٥] رواه الإمام أحمد ، وعن

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن العدوى المدنى الفقيه أحد الأعلام فى العلم والعمل ، شهد الخندق . مات سنة ٧٤ هـ .

(٢) هو عبد الله بن عمرو بن العاص العالم الربانى أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشى أحد من هاجر هو وأبوه قبل الفتح ، كتب عن النبى ﷺ كثيرا ، وكان يعترف له أبو هريرة بالإكثار من العلم . مات سنة ٦٥ هـ .

(٣) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

(٤) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٥) ورد فى سنن الترمذى والبيهقى والنسائى .

أبى الدرداء قال : « من تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة » [1] رواه ابن أبى حاتم ، وعن معاذ بن جبل عن النبى ﷺ أنه قال : « رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة » [2] الحديث – وعن عبد الله بن شفيق العقيلى قال : كان أصحاب محمد ﷺ يردون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » رواه الترمذى ، فهذه الأحاديث كما ترى صريحة فى كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من إجماع الصحابة كما حكا إسحاق ابن راهويه ، وابن حزم ، وعبد الله ابن شفيق ، وهو من جمهور العلماء من التابعين ومن بعدهم ، ثم العلماء كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلاً إلا أبا حنيفة ، ومحمد بن شهاب ، والزهرى [3]، وداود ، فإنهم قالوا : يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب . ومن احتج لهذا القول : بقوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ؛ عصمت منى دماؤهم وأموالهم إلا بحقها»[4] فقد أبصر النجعة فإن الحديث فيه بل هو حجة لمن يقول بمثله كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ، واجتمع العلماء على قتله بالكتاب والسنة :

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وابن حبان .

(٣) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب المدنى أحد الأعلام روى عن سهل بن سعد وابن عمرو وجابر وأنس ، ثقة مات سنة ١٢٤ هـ .

(٤) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

أما الكتاب : فقوله تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ (١) . فشرط الكف التوبة من الشرك وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فإن لم توجد هذه الثلاثة لم يكف عن قتالهم . قال ابن ماجة : حدثنا نصر بن علي (٢) ثنا أبو أحمد بن الربيع بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا شريك له، وأقام الصلاة وآتى الزكاة مات والله عنه راض » (٣) قال أنس : وهو دين الله الذى جاءت به الرسل ، وبلغوه عن ربهم قبل هوج الأحاديث واختلاف الأهواء ، وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما نقول فإن تابوا فإن خلع الأوثان وعبادتها ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ؛ فخلوا سبيلهم ، وقال فى آية أخرى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ (٤) .

وأما السنة فثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا

---

(١) ٥ م التوبة ٩ .

(٢) هو نصر بن على بن نصر بن على أبو عمرو البصرى الصغير . روى عن أبيه وابن عيينة ويزيد بن زريع ، مات سنة ٢٥٠ هـ .

(٣) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

(٤) ١١ م التوبة ٩ .

منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » [1] ، فعلق العصمة على الشهادتين ، والصلاة والزكاة ، وقد بعث النبى كتابا فيه من محمد رسول الله إلى أمير عمان . أما بعد : فأقروا شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، وأدوا الزكاة واخطوا إلى المساجد وإلا غزوناكم » [2] أخرجه الطبرانى والبزار وغيرهما وذكره الحافظ بن رجب الحنبلى [3] فى شرح الأربعين ، ورواه بن شهاب عن حنظلة عن على بن الأشجع أن أبا بكر الصديق بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يقاتل الناس على خمس ، فمن ترك واحدة منهن ؛ فقاتله عليها كما تقاتله على الخمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، وقال سعيد ابن جبير : قال عمر بن الخطاب : لو أن الناس تركوا الحج لقاتلتهم على تركه ، كما قاتلتهم على ترك الصلاة والزكاة ، وبالجملة الكتاب والسنة يدلان على أن القتال عدوه إلا الشهادتين والصلاة والزكاة وقد أجمع العلماء على ذلك ، قال فى شرح الإقناع : أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعه عن شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها ؛ حتى يكون الدين كله لله كالمحاربين ، وأولى النعمى ، وأما حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله

(١) ورد فى صحيح البخارى وابن حبان .

(٢) ورد فى صحيح مسلم .

(٣) صاحب كتاب طبقات الحنابلة .

إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماؤهم ، وأموالهم إلا بحقها» [1]، فهذا لإشكال فيه بحد الله ، وليس لكم فيه حجة بل هو حجة عليكم ولو لم يكن إلا قوله : « إلا بحقها » لكان كافياً فى إبطال قولكم ، وقد قال العلماء إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع ، والعاصم بدمه وماله فيمن الكف عنه فإن تمم ذلك تحققت العصمة ، وإلا بطلت ، ويكون النبى ﷺ قد قال كل حديث فى وقت ، فقال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ليعلمها المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه ، وصار دمه ، وماله معصوماً بها ، ثم بين ﷺ فى الحديث الآخر ؛ القتال محدود إلى الشهادتين والعبادتين ، فقال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدو أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة [2] ، فبين أن تمام العصمة ، وكمالها إنما يحصل بذلك وبكل تقع الشبه ، فإن مجرد الإقرار يعصم الدماء كما وقعت لبعض الصحابة حتى حابوها لأبى بكر الصديق ، ثم وافقوه ، ومما بين فساد قولكم وخطلكم فى معنى حديث أبى هريرة أن الصحابة أجمعوا على قتال مانع الزكاة بعد مناظرة حصلت بين أبى بكر ، وعمر رضى الله عنهما ، واستدل عمر رضى الله عنه على أبى بكر رضى الله عنه بحديث أبى هريرة فبين صدِّيق الأمة ؛ أن الحديث حجة على قتال مانع الزكاة ؛ فوافقه عمر وسائر الصحابة ؛ فقاتلوا مانع الزكاة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ،

---

(١) متفق عليه ، فانظر البخارى ومسلم ، وأصحاب السنن .

(٢) متفق عليه انظر مفتاح كنوز السنة .

وأن محمداً رسول الله ويصلون ، ونحن نسوق الحديث ثم نذكر ما قاله العلماء من شرحه وتبيِّنه لكم أن فهمكم الفاسد لم يقل به أحد من العلماء ، وأنه فهم مشوم مذموم مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع الأئمة ، فنقول : ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : لما توفى رسول الله ﷺ وكفر من كفر من العرب ، قال عمر لأبى بكر : كيف تقاتل الناس ، وقد قال رسول الله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها [1] » ؟!

فقال أبو بكر : لأقاتلن من فرق بين الصلاة ، والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ ؛ قاتلتهم على منعه .

فقال عمر : فوالله ما أقول : لأنى رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت [2] أنه الحق ، [3] . وهذا الحديث أخرجه البخارى فى الزكاة ومسلم فى كتاب الإيمان وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم ، فإن الصديق

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) كلمة من عندنا نظراً لعدم وضوح كلمة المخطوطة .

(٣) متفق عليه .

رضى الله عنه جعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحود الواجب .

تكلم (١) النووى رحمه الله على هذا الحديث فى شرح صحيح مسلم ، فقال : الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبى ﷺ ، وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ، ووكلت سريرته إلى الله تعالى ، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام ، واهتمام الإمام بشرائع الإسلام ، ثم ساق الحديث، ثم قال الخطابى فى شرح هذا الكلام : كلاهما حسنٌ لابد من ذكره لما فيه من الفوائد (٢) .

قال رحمه الله مما يجب أن تقتدى به فى هذا أن تعلم أن أهل الردة كانوا صنفين – المرتدون عن الدين ، ونابذوا الملة ، وعادوا لكفرهم وهم الذين على أبو هريرة بقوله : « وكفر من كفر من العرب » .

والصنف الآخر فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا الصلاة وأنكروا فرضية الزكاة ، ووجوب أدائها إلى الإمام ، وقد كان فى ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ، ولا يمنعها لأن رؤساءهم صدورهم عن ذلك الرأى ، وقبضوا على أيديهم فى ذلك كبنى يربوع ، ومنهم جمعوا صدقاتهم ، وأرادوا

---

(١) هكذا فى المخطوط .

(٢) كلمة أسقطناها من الجملة لأنها لا تقدم جديداً .

أن يبعثوا بها إلى أبى بكر فمنهم مالك ابن سريرة من ذلك ، وفرقها فيهم ، وفى أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبه لعمر رضى الله عنه فراجع أبا بكر رضى الله عنه ، وناظره واحتج عليه بقول النبى ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله ؛ فقد عصم نفسه وماله ، وكان هذا من عمر رضى الله عنه تعلقه بظاهر الكلام قبل أن ينظر فى آخره ، ويتأمل لشرائطه ، فقال له أبو بكر : الزكاة حق المال – يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بأشراطها – والحكم المعلوم بشرطين لا يحصل بأحدهما ، والآخر معدوم ، ثم قاسه بالصلاة ولها والزكاة إليها وكان فى ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماع من الصحابة رضى الله عنهم ، وبذلك رد المختلف فيه إلى المتفق عليه ، فلما استقر عندهم رأى أبى بكر ، وبان لعمر صوابه تابعه على قتال القوم ، وهو معنى قوله : فلما رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال عرفت أنه الحق – يريد انشراح صدره بالحجة التى أولى بها ، والبرهان الذى أقامه ونصاعته . انتهى .

فقال هذا الباب الذى ذكره النووى (١) ، وهو إما الشافعية على الإطلاق

(١) هو الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى الحوارنى الشافعى ولد سنة ٦٣١ هـ ومات سنة ٦٧٦ هـ ، له عدة مصنفات منها الروضه وشرح المهذب والمنهاج والتحقيق والأذكار ورياض الصالحين والإرشاد والتقريب وتهذيب الأسماء واللغات ومختصر أسد الغابة فى الصحابة والمبهمات .

تجده صريحاً فى رد شبهتكم أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول لا يباح دمه وماله ، وإن ترك الصلاة والزكاة ، والترجمة صريحة فى رد قولكم فإنه حازم بالأمر بالقتال على تارك الصلاة ومانع الزكاة ، وتأمل ما ذكره الخطابى: أن الذين منعوا الزكاة منهم من كان يسمع بها ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم عن ذلك لما رأوْا وقبضوا على أيديهم لبنى يربوع فإن أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر ، فمنعهم مالك ابن نويرة ، وفرقها فيهم ، وأنه عرض الخلاف ، ووقعت الشبهة لعمر فى أمر هؤلاء ، ثم عمر وافق أبا بكر على قتالهم ، وتأمل قوله وختم عمر بقول رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » . الحديث ، وكان هذا من عمر تعلق بظاهر الكلام قبل أن ينظر فى آخره ويتأمل شرائطه ، وتأمل قوله : إن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعاً من الصحابة .

وقد أشار الخطابى إلى أن حديث أبى هريرة مختصرٌ .

قال النووى : قال الخطابى وبين أن حديث أبى هريرة مختصر ، أن عبد الله ابن عمر ، وأنس روايات بزيادة لم يذكرهما أبو هريرة .

ففى حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك ؛ عصموا منى دماءهم ، وأموالهم إلا بحقها » [1] .

(١) انظر البخارى ومسلم وأصحاب السنن .

وفى رواية أنس : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول ، وأن يستقبلوا قبلتنا ، وأن يأكلوا ذبيحتنا ، وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرُمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم [1] . انتهى .

وقلت وقد ثبت فى الطريق الثالث المذكور فى الكف من رواية أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بى ، وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » [2] .

وفى استدلال لأبى بكر ، واعتراض لعمر دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله ﷺ ما رواه ابن عمر ، وأنس ، وأبو هريرة ، وكان هؤلاء الثلاثة يسمعون هذه الزيادة فى روايتهم فى مجلس آخر ، فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولا كان احتج بالحديث ، فإن هذه الزيادة حجة عليه ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة ؛ لاحتج بها ، ولما كان احتج بالقياس ، والعمق ، والله أعلم . انتهى كلام النووى .

فتأمل ما ذكره الخطابى تجده صريحاً فى رد قولكم ، وتأمل قوله : فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ، ولما كان احتج بالحديث ، فإن هذه الزيادة

---

(١) متفق عليه .

(٢) سبق تخريجه .

عليكم ، وبالجملة وحديث أبى هريرة حجته عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه إلا قوله إلا بحقها لكان كافيا فى بطلان شبهتكم [1] فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق لا إله إلا الله بل هما من أهمها ، وأعظمهما على الإطلاق ، ومما يدل على بطلان قولكم [2] وفساد فهمكم [3] فى هذا الحديث – أعنى حديث أبى هريرة – « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » أن جميع الشراح والمحدثين لم يتناولوه على هذا التناول الذى ذهبتم إليه ، وإنه حديث صحيح مخرج فى الصباح ، وجد لها شراح البخارى ، ومسلم ، هل أحد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرائض بل الذى ذكروه خلاف ما ذهبتم إليه ، ولو لم يكن لاحتجاج عمر على أبى بكر ثم موافقته له على قتال مانع الزكاة لكان كافياً ، ونحن نؤكد لكم كلام الشراح عذراً ، ونذراً .

قال النووى : قوله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله ؛ فقد عصم دمه وماله إلا بحقها ، وحسابه على الله عز وجل » .

قال الخطابى[4] : معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب

---

(1) الرد هنا على علماء أهل مكة الذى أوردوا الأسئلة على علماء أهل نجد .

(2) (3) الضمير عائد على علماء أهل مكة فى تلك المناظرة .

(4) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستى صاحب شرح البخارى ومعالم السنن وغريب الحديث وشرح الأسماء الحسنى والعزله ، مات سنة ٣٨٨ هـ .

لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف ، قال : ومن أخفى بهم على الله فيما يسرونه ، ويختلقونه ، قال : ففيه أن من أظهر الإسلام وأخفى الكفر يقبل إسلامه في الظاهر ، وهذا قول أكثر العلماء ، وذهب مالك إلا أن توبة الزنديق لا تقبل ، وحكى ذلك عن أحمد ابن حنبل هذا الكلام الخطابى ، وذكر القاضي عياض هذا وقد زاد عليه ، وأوضحه فقال: اختصاص اعتصام المال والنفس لمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة أنها الإيمان . وأن المراد مشركوا العرب وأهل الأوثان ، ومن لا يوحد الله وهم كانوا لا من وعى إلى الإسلام ، وقوتلوا عليه ، فأما غيرهم ممن يقرون بالتوحيد ، وألا يكتفى فى عصمته بقول لا إله إلا الله ، إذا كان يقولها فى كفره ، وهى من اعتقاده ، ولذلك جاء فى الحديث الآخر « وأنى رسول الله ، وتقيموا الصلاة ، وتؤتوا الذكاة » . هذا كلام القاضى عياض . قلت : ولابد من الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ كما جاء فى الرواية الأخرى لأبى هريرة « يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بى » وبما جئت به » . انتهى كلام النووى .

فتأمل ما ذكره القاضى [1] عياض ، وما ذكره الخطابى أن المراد بقوله: لا إله إلا الله ؛ التعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، واستدل لذلك بالحديث

---

(١) هو أبو على الزاهد الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى أحد العباد ، روى عن الأعمش ومنصور وجعفر الصادق وسليمان التميمى وحميد الطويل ويحيى الأنصارى وخلق . وعنه الشافعى والسفيانان وابن المبارك ويحيى القطان وبشر الحافى والسرى السقطى وخلق . مات سنة ١٨٧ هـ.

الآخر الذى فيه » وأنى رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتوا الزكاة » [1]، وتأمل قوله أن المراد بحديث أبى هريرة مشركوا العرب ، ومن لا يوحد الله . فأما غيرهم ممن ينكرون التوحيد ؛ فلا يكتفى فى عصمته بقول لا إله إلا الله إذا كان يقولها فى كفره وهى من اعتقاده .

وتأمل قول النووى : ولابد من الإيمان بما جاء به الله ، والرسول ﷺ ، والجملة قوله ﷺ : « أمرت أن أقتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » [2] ألم يعلم أحدٌ أحداً على الظاهر ، وقال : إن من قال لا إله إلا الله يكف عنه ، ولا يجوز قتاله ، وإن ترك الصلاة ، ومنع الزكاة ، وهذا لم يقل به أحد من العلماء، أو لازم قولكم . أن اليهود لا يجوز قتالهم ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، وأن الصحابة مخطئون فى قتالهم لمانعى الزكاة ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، ولازم قولكم ، أن بنى حنيفة مسلمون لا يجوز قتالهم ؛ لأنهم يقولون : لا إله إلا الله . سبحان الله ! ما أعظم هذا الجهل !

﴿ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ [3] .

ومن العجب أنكم تعدون فى صحيح البخارى هذا الباب الذى ذكره فى

---

(١) ورد فى صحيح مسلم وسنن الترمذى .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٣) الروم آية ٥٩ .

كتاب « الإيمان » حيث قال باب « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » حدثنا شعبة [1] عن واقد بن محمد سمعت ابن جديث عن بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز وجل ثم بعد ذلك تقولون : إن من قال : لا إله إلا الله ؛ حرم ماله ودمه ، وما أدرى بماذا تجيبوني هذه الآية والحديث الذى رواه البخارى فأى شيء تدفعون به هذه الأدلة .

وقال الإمام أبو عيسى الترمذى فى سننه باب « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله » .

حدثنا هناد نبأنا معاريذ عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله » ثم أردفه بحديث أبى هريرة فى قتال أبى بكر لمانعى الزكاة ، وساق الحديث، ثم قال : « باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة » . حدثنا يعقوب الطلعانى أن ابن المبارك إنما حديث طويل عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل

---

(١) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى الأزدى مولاهم أبو لسطام الواسطى روى عن معاوية بن قرة والأزرق بن قيس وإسماعيل بن وجاء ثابت البنانى وأنس بن سيرين وقتادة ، ولد سنة ٨٢ هـ ومات سنة ١٦٠ هـ .

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن يستقبلوا قبلتنا ، وأن يأكلوا ذبيحتنا ، وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم ، وأموالهم إلا بحقها ، لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين»[1] .

وفى الباب عن معاذ بن جبل عن أبى هريرة هذا الحديث حسن صحيح والمقصود بيان هذه الشبه التى غذتها من يدعى أنه من العلماء على الجملة أن من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم ولا يجوز قتله وإن ترك فرائض الإسلام ، فهذا كلام الله ، وهذا كلام رسوله ﷺ ، وهذا كلام العلماء صريح في ردِ هذه الشبه . بل دل الكتاب ، والسنة والإجماع على أن الطائفة الممتنعة تقاتل على ترك الصلاة ، ومنع الزكاة ، فإن أقروا بالوجوب كما تقدم من النصوص الدالة على ذلك ، بل قد صرح العلماء أن أهل البلد إذا تركوا الأذان ، والإقامة يقاتلون كما سيأتى إن شاء الله ، وصرحوا أيضا بأنهم إذا تركوا إقامة الصلاة جماعة يقاتلون ، وكذلك لو تركوا صلاة العيد ، وعلماء الحرمِ الشريف يقولون : من قال : لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن لم يصلِّ ، ولم يزكِّ . سبحان مقلب القلوب كيف يشاء ! ، وهل هذا إلا معارضه لكلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أئمة المذاهب ، وهذا كلام موجود فى كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل وأن الطائفة الممتنعة من فعل الصلاة ، أو أداء الزكاة أو الصيام أو الحج تقال حتى يكون الدين كله لله ، ويحلون عليه

(١) ورد فى صحيح البخارى وسنن البيهقى .

الإجماع ، كما صرح بذلك الأئمة الحنابلة فى كتبهم ، فإذا كانوا مصرحين بأن من ترك بعض شرائع الإسلام كأهل القرية إذا تركوا الأذان ، أو تركوا صلاة الجماعة ، أو تركوا صلاة العيد ، أنهم يقاتلون ، فكيف بمن ترك الصلاة مراساً وهم لا يقولون من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم ماله ودمه ، وإن كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة ، والزكاة بل يصرحون بأن البوادى مسلمون حرام علينا دماؤهم ، وأموالهم مع العلم القطعى بأنهم لا يوازنون ، ولا يصلون ، ولا يزكون ، بل الظاهر منهم أنهم كافرون بالشرع وينكرون البعث بعد الموت ، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل ! ، وقد ذكرنا كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام شراح الحديث ما فيه من الهدى لمن هداه الله وبينّا أن العصمة شرطها التوحيد ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فمن لم يأت بهذه الثلاثة لم يكفّ عنه ، ولم يخل سبيله ، وقد قال الله تعالى : ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ (٢) .

وقال النبى ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا ذلك عصموا

---

(١) سورة البقرة ، جزء الآية ١٩٣ .

(٢) سورة التوبة ، جزء الآية ٥ ، ونص الآية هكذا : ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين إلى قوله – إن الله غفور رحيم ﴾ .

منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها الإسلام وحسبهم على الله » .

وأما كلام الفقهاء فنذكره على التفصيل .

[كلام الفقهاء]

* أما الملكية : قال الشيخ على الأجهورى [1] فى شرح المختصر : من ترك فرضاً [2] ركعة أو سجدة ؛ قتل بالسيف حداً على المشور وقال ابن حبيب وجماعة خارجى المذهب كفر اختاره ابن عبد السلام . انتهى .

وقال فى فضل الأذان : قال الماذرى فى الأذان معنيان :

أحدهما : إظهار الشفاء ، والتعريف بأن الدار دار الإسلام ، وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوا .

إن عجز عن قهرهم وإقامته إلا بقتال وشانى الذى إلا الصلاة والتأخير لوقتها ، وقال فى شرح مسلم المشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل الإسلام .

فقد كان رسول الله ﷺ إن طرق سمعه الأذان توقف عليه عن غزو القرية ، وقول المصنف يقاتلون عليه : يسرى القتال من خصائص القول

---

(١) صاحب كتاب فضائل شهر رمضان المالكى .

(٢) كلمة غير واضحة ولعله « فرضاً فرضه الله » .

بالوجوب لأنـــه على نص على عياض فـــى قـــول المصنف والوتـــر غير واجــب ، واختلفوا فى القتال على ترك السنة .

هل يقاتلون عليها أم لا ؟ .

والصحيح قتالهم وإكراههم لأن التمالى على تركها أما تنتهى انتهى . وقال فى فضل الجماعة : إيثاره لصلاة الجماعة مستحبة للرجل فى نفسه فرض كفاية فى الجماعة ، ويعنى فى الجملة أنها فرض كفاية على أهل المصر ، ولو تركها يقاتلون على تركها كما تقدم أن تكف . وعبارة غيره وإن قر لها أهل بلد قوتلوا ، وأهل حارة أجبروا على أدائها ، . انتهى . كلام الشيخ على الأجـهـورى ، فانظر إلى تصريـحـهم بأن تارك الصلاة يقاتـل باتفاق أصحاب ، وإنمـا اختلفـو فى الكفـر ، وأن ابن حبيب ، وابن عبد السلام اختارا أن يقتل كافر ، وتأمل كلامهـم فـى الطائفة الممتنعة عن الأذان ، وعن إقامة الجماعة فى المساجد ؛ أنهم يقاتلون . فأين هـذا من قولكم أن تـرك الفرائض مـع الإقـرار بوجوبهـا لا يحل قتالهـم لأنهـم يقولـون : لا إلـه إلا اللـــه!!.

* [كلام الشافعية]

وأما كلام الشافعية :

فقال الشيخ الإمام العلامة أحمد بن حمدان [1] في كتاب « قوت المحتاج في شرح النهاج » : « من ترك الصلاة جاحداً وجوبها ؛ كفر بالإجماع ، وذلك جارى في كل جود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، فإن تركها كسلاً ، قتل حداً على الصحيح ، والمشهور . [2] .

أمَّا قتله فلأن الله أمر بقتل المشركين ، ثم قال : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ [3] فدل على أن القتل لا يرفع إلا بأن يصلى وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ولما في الصحيحين ، « أمرت أن أقاتل

---

(١) هو أحمد بن حمدان بن على بن سنان النيسابورى ، سمع الذهلى وابن أبى غرزة ، مات سنة ٣١١ هـ .

(٢) انظر ، كتاب « قوت المحتاج في شرح المنهاج » للعلامة أحمد بن حمدان ، وتفصيل تلك الآراء الفقهية في حد وعقوبة تارك الصلاة جحوداً وكسلاً .

(٣) صورة التوبة : آية ٥ .

الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ؛ فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، ثم قال إشارة منها جعل قتله ردة وجه الشرذمة منهم ، منصور التيمـى ، وابن خزيمة ، وقضية كلام الروتوانه [1] كلام منصوص حيث قال : وإذا قتل فقد ماله ودفنه بين المسلمين قولان أحدهما ما رواه عن الشافعى : أن ماله حكم ما فى ولاية من بين المسلمين .

والثانى ما رواه المزنى عن الشافعى أن ماله لورثته ، ويدفن فى مقابر المسلمين . وقال منصور فى المستعل يسالق الربيع ما يفعل بماله إذا قتلناه ؟ قال : يكون فيا ومنها قال فى الروضة تار الوضو يقتل على الصحيح جزم به الشيخ أبو حامد ، وفى البيان لوصل عريان مع القدرة على السترة ، والفريضة قاعداً بلا عذر قتل ، وكذا لو ترك التشهد أو الاعتدال حكاه ابن الاسناد عن يحيى ، فإن صح طرد فى سائر الأركان ، والشروط ، ويحل أن يكون محله فيما جمع عليه ، ومنها لو امتنع من الصوم الزكاة حبس ومنع من [2] ، وقال إمام الحرمين : يجوز أن يجعل الممتنع مما يضيق عليه كل ممتنع من الصلاة يجبر عليها فإن أقر ضربت عنقه .

قال المصنف : والصحيح قتلاً بصلاة واحدة بشرط تأخيرها عن وقتها

---

(١) هكذا فى المخطوط .

(٢) كلمة غير واضحة فى المخطوط .

الضرورى . انتهى كلام الأذرعى .

فانظر كلامه فيمن ترك الصلاة كسلاً ، وأنه الربيع رواه عن الشافعى أن ماله يكون لو ورثته ويدفن فى مقابر المسلمين ، وتأمل كلام أبى حامد ، وكلام صاحب الروضة فى قتل تارك الوضوء ، وكلام صاحب البيان فيمن صلى عرياناً مع القدرة عل السترة ، أو صلى الفريضة قاعداً بلا عذر أنه يقتل ، فأين هذا من قولكم أن من قال لا إله إلا الله كف عنه ؟! ولا يجوز قتاله بأى وجه من الوجوه ، وقال الشيخ محمد الهيثمى فى التحقيق فى حكم تارك الصلاة : إن ترك الصلاة جاحداً لوجوبها كفر بالإجماع أو تركها كسلاً مع الاعتقاد بوجوبها قتل ، وذكر الآية : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (١) . الآية ، وحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإنها شرط فى الكف عن القتل ، والمقاتلة فى الإسلام ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ولكن الزكاة يمكن للإمام أخذها ولو بالمقابلة ، فكانت فيها بمعنى القتل .

وقال فى باب صلاة الجماعة : وقيل : هى فرض على الرجال فتجب بحيث يظهر الشعائر بأن المسلمين كلهم وبعضهم كأهل محلة من قرية كبيرة ، وإن لم يظهر الشعائر إلا بهم قوتلوا ، يقاتلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشعيرة الكبيرة ، وقال فى باب « الأذان والإقامة » سنة وقيل فرض كفاية ، فيقاتل أهل بلد تركوها أراد أنهم لم يظهروا الشعائر، وقال فى باب صلاة العيد،

---

(١) سورة التوبة : آية ٥ .

وهى سنة ، وقيل فرض كفاية فعليه يقاتل أهل المدينة إن تركوها أو إحداهما . انتهى كلامه فى التحفة فانظر إلى كلامه فى قتل ترك الصلاة كسلاً ، وتأمل قوله فى الآية والحديث شرطاً فى الكف عن القتل والمقاتلة الإسلام ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن الإمام يأخذ الزكاة ، ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا، وتأمل كلامه فى باب صلاة الجماعة ، وأنها تجب بحيث يظهر الشعار فى ذلك المحل حتى فى البادية ، وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا .

وتأمل كلامه فى الأذان والإقامة ، وأن الإمام يقاتل على تركها أو على ترك أحدهما على القول بأنهما فرض كفاية ، وتأمل قوله فى الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العيدين ، فأين هذا من كلام من يقول : إن أهل البلد والبوادى إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجب قتالهم ، وإن لم يصلوا، ولم يزكوا ، فسبحان الله ! ما أعظم هذا الجهل .

* [كلام الحنابلة]

وأما كلام الحنابلة فقالوا : فى الإقناع وشرحه فى كتاب « الصلاة » ومن جحد وجوبها كفر ، فإن تركها تهاوناً وكسلاً لا جحودا ، دعاه الإمام أو نائبه على فعلها لاحتمال أن يكون تركها بعذر يمنعه للجنابة أو مرض ، ونحوه ، ويهدر دمه فإن أبى أن خلها حتى يتضايق وقت التى بعدها وجب قتله لقوله تعالى : ﴿ اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم – إلى قوله تعالى – فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ﴾ (١) . فمن ترك الصلاة لم يأت بشرط التخلية فيبقى على إباحة القتل ولقوله عليه السلام : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ، وذمة رسوله » (٢) رواه أحمد عن مكحول ، وهو مرسل جيد ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثة أيام كمرتد نص ، فإن تاب بفعلها وإلا ضربت عنقه بالسيف كما روى جابر عن النبى ﷺ أنه قال : «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » (٣) رواه مسلم وروى بريدة أن النبى ﷺ قال : « من تركها فقد كفر » (٤) رواه الخمسة ، وصححه الترمذى . انتهى.

---

(١) التوبة جزء الآية ٥ .

(٢) ورد فى صحيح البخارى وابن حبان .

(٣) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٤) ورد فى سنن الترمذى .

وقال فى باب الأذان والإقامة : فإن تركهما : أى الأذان والإقامة أهل بلد قوتلوا : أدى قتالهم الإمام أو نائبه حتى يفعلوها لأنهما من أعلام الدين الظاهرة فقوتلوا على تركهما كصلاة العيدين ، وقال فى باب صلاة الجماعة: وهى واجبة وجوب عين فيقاتل تاركها كل أذان لكن الأذان أنتم القتال على تركه إذا تركه أهل بلد كلهم تحل ، والجماعة يقاتل تركها ، وإن أقامها غيره لأن وجوبها على الأحيان يحل غيره .

وقال فى باب ، صلاة العيدين ، وهى فرض كفاية إن تركها أهل بلد يبلغون أربعين بل عزر قاتلهم الإمام فلا أذان لأنهما من شعائر الدين .

وقال فى باب ، إخراج الزكاة ، ومن منعها بخلاً وتهاوناً أخذت منه قهراً كدين الآدمى ، وإن غيب ماله أو اكتمله ، وأمكن بيان كان فى قبضة الإمام أخذها منه من غير زيادة ، وإن لم يكن أخذها استتيب خلال ثلاثة أيام ، فإن تاب وإلا قتل لاتفاق الصحابة رضى الله عنهم على قتل مانع الزكاة ، وإن لم يكن أخذها إلا بقتال وجب على الإمام قتاله إن وضعها موضعها . انتهى كلامه فى الإقناع وشرحه .

فتناول كلامه فمن ترك الصلاة كسلاً من غير جحود أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً .

وتأمل كلامه فى أهل البلد إذا تركوا الأذان والإقامة أو صلاة العيد ، أنهم يقاتلون بجحد فى ترك ذلك فهذا كلام المالكية والشافعية وكلام الحنابلة ، الكل

منهم قد صرح بما ذكرناه ، فإذا كانوا مصرحين بقتال من ترك شرائع الإسلام لأنهم تركوا الأذان أو تركوا صلاة الجماعة ، وتركوا صلاة العيد ، فكيف بمن ترك الصلاة . سالكاً طريق البوادى الذين لا يصلون ، ولا يزكون ، ولا يصومون ، بل ينكرون الشرائع ، والبعث بعد الموت ، هذا هو الغالب عليهم إلا ما شاء الله وهم قليل ، وإلا فأكثرهم يسمى معهم من الإسلام لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، ومع هذا يجادل عنهم علماء مكة المشرفة ويقولون : إنهم مسلمون ، وأن دماءهم وأموالهم محرمة الإسلام ، وإن لم يصلوا ولم يزكوا لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، وهل هذا إلا رد على الله حيث قال : ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ [١] . الآية ، وهولها يقولون تخلى سبيلهم وإن لم يصلوا ، ولم يزكوا .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام » [٢] . كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ، فهذا كتاب الله ، وهذه سنة رسول الله ﷺ [٣] ، وهذا إجماع الصحابة على قتل من ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وقال

---

(١) ٥ م التوبة ٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) الإشارة هنا إلى الآيات والأحاديث التى استشهد بها المصنف من أقوال الفقهاء آنفة الذكر.

صديق الأمة أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ ، وفي رواية عناقاً [1] لقاتلتهم على منعها » [2] ، وهذا أيضاً بإجماع العلماء .

قال في شرح الإقناع : « أجمع العلماء على أن كل طائفة [3] ممتنعة عن شريعة من شرائع [4] الإسلام ؛ فإنه يجب قتالهم ؛ حتى يكون الدين كله لله كالمحاربين وأولى النهى » [5] .

وقال أبو العباس [6] : « القتال واجب حتى يكون الدين كله لله ، وحتى لاتكون فتنة لو [7] كان الدين لغير الله ، فالقتال واجب فأيما طائفة ممتنعة

---

(١) في المخطوط « عناق » والصواب ما أثبتناه .

(٢) انظر حياة الصحابة « للكاند وهلوي » ، وأسد الغابة .

(٣) في المخطوط « طايفة » ، وهكذا نجد شيوع هذه الظاهرة في المخطوط وهي تخفيف الهمزة ، وقلبها إلى ياءٍ كما أوضحنا في المقدمة .

(٤) في المخطوط « شرايع » .

(٥) انظر نص هذا الكلام في « الإقناع » .

(٦) هو أبو العباس بن عقدة .

(٧) هذه الكلمة من عندنا نظراً لعدم وضوح كلمة المخطوط .

امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام واجبات الدين أو محركاته التى لا عذر لأحد فى جحودها أو تركها التى يكفر الرجل بجحودها ، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها ، وإن كانت مقرة بها وهذا بما لا علم فيه خلاف بين العلماء (١) .

وإنما اختلاف الفقهاء (٢) فى الطائفة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتى (٣) الفجر ، أو الأذان أو الإقامة عند من لا يقول : بوجوبها ، ونحو ذلك من الشعائر ، فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا ؟ .

فأما الواجبات ونحوها ، والمحرمات المذكورة فلا خلاف فى القتل عليها، انتهى كلامه .

فتأمل كلام الحنابلة ، وتصريحهم بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات (٤) الخمس أو الزكاة أو الصيام أو الحج، أو عن ترك المحرمات : كالزنا أو شرب الخمر أو المنكرات أو نحو ذلك فإنه يجب قتال

---

(١) هكذا فى المخطوط ، ومقصود العبارة الأخيرة من قول أبى العباس أن العلماء متفقون على وجوب قتل هذه الطوائف التى تنكر وتجحد وتتكاسل عن أداء هذه الشعائر .

(٢) فى المخطوط ، الفقهاء ، بتخفيف الهمزة .

(٣) فى المخطوط ، كركعتين ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) فى المخطوط ، كالصلاة ، .

الطائفة الممتنعة عن ذلك ، حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا شرائع الإسلام ، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين ، ومقرين بعض شرائع الإسلام ، وأن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الصحابة ، ومَنْ بعدهم ، فأين هذا من قولكم : إن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه ، وإن ترك الفرائض ، وارتكب المحرمات ، بل من تأمل سيرة النبى ﷺ – وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عن أن [1] قولكم هذا مضاد لما فعله النبى ﷺ – وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده فياسبحان الله ! ، أما علمتم أن رسول الله ﷺ – قاتل اليهود وهم يقولون : لا إله إلا الله ، وسبى نساءهم ، واستحل دماءهم وأموالهم ؟! أما علمتم أن رسول الله ﷺ – أراد أن يغزو بنى المصطلق لما قيل: إنهم منعوا الزكاة ، وكان الذى قاله كاذباً ، والقصة مشهورة فى كتب الحديث، والتفسير ذكرها المفسرون عند قوله تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [2] ، أما علمتم أن على بن أبى طالب حرق العامة مع أنهم كانوا يقولون : لا إله إلا الله ، أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم ﷺ مع أنه أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم وصيامهم عند صيامهم

---

(١) هذه الأداة من عندنا .

(٢) سورة الحجرات جزء الآية ، ٦ ، .

وقراءتهم عند قراءتهم وقال : أينما ثقفتموهم فاقتلوهم [١] .

أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بنى حنيفة ، وهم يشهدون لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلون ويؤذنون .

أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بنى يربوع لما منعوا الزكاة مع أنهم يقرون بوجوبها ، وكانوا قد جمعوا صدقاتهم ، وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر فمنعهم مالك بن نويرة . [٢] .

وفى أمر هؤلاء عرضت الشبه لعمر حتى جلاَّها الصديق ، وقال : لو منعونى عناقاً [٣] . كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ ؛ لقاتلهم على منعها ؛ قال عمر: فوالله ما قالها أن تشرح رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال ؛ فعرفت أنه الحق ، وقد تقدم ذلك مبسوطاً، وذكرنا لفظه فى شرح مسلم فى باب الأمر

---

(١) هل يقصد المصنف هنا بقوله : « الخوارج » الفرقة الإسلامية المشهورة التى خرجت على علىّ بن أبى طالب ، ورفضوا التحكيم ؟ ، أم أنه يقصد بقوله : « الخوارج » الذين خرجوا على آخر عهد رسول الله ﷺ من طبقة المتنبئين والمرتدين ؟ ، والأرجح أنه يقصد الطبقة الأخيرة ، لأنها تتناسب مع أمر رسول الله ﷺ .

(٢)أنظر تفصيل ذلك فى سيرة « ابن هشام ، وأسد الغابة ، وحياة الصحابة .

(٣) فى المخطوط « عناق » وهى الأنثى من أولاد الماعـز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول،انظر المعجم الوسيط ص ٦٥٥ .

بقتال الناس [١] حتى يشهدوا ، ويقولوا لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة.

أما علمتم أن رسول الله ﷺ بعث الدية إلى رجل تزوج امرأة أبيه كما رواه الترمذى فى سننه حيث قال : « باب ما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه حدثنا أبو سعيد ثنا ابا حفص ابن غياث عن الأشعث عن عدى بن ثابت عن البراء قال : أمر على خلفى أبا بردة ومعه لواً فقلت : أين تريد ؟ فقال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه » [٢] حديث حسن غريب . انتهى.

ولو تتابعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء فى قتال من قال لا إله إلا الله إذا ترك بعض حقوقها لطال الكلام واتسع جداً ، فكيف بمن ترك الإسلام كله ، وكذب به ، واستهزأ به على عمدٍ لأنهم يقولون : لا إله إلا الله، هو إله البوادى ؟! [٣]

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ، باب « الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا ويقولوا لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » .

(٢) حديث حسن غريب ، انظر سنن الترمذى باب « الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا ويقولوا لا إله إلا الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » .

(٣) ربما يقصد المصنف هنا بقوله « البوادى » الأعراب فى قوله تعالى: ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً﴾ .

وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله وطلب الإنصاف فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله وكلام رسوله وكلام إجماع الصحابة وإجماع العلماء بعدهم ، فإن كان الذى ذكرناه له معنى آخر ما فهمناه فيناه لنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام العلماء ، فرحم الله امرا نظر نفسه وعرف أنه ملاقى الله الذى عنده الجنة والنار .

المسألة الثالثة

وأما المسألة الثالثة وهى مسألة البناء على القبور فنقول : ثبت فى الصحيحين والسنن عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن البناء [1] على القبور ، وأمر بهدمه كما رواه مسلم فى صحيحه حيث قال : حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن ثابت عن ابن وائل الهياج الأسدى قال: قال لى علىّ ألا أبلغنك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ : « لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » [2] حدثنا ابن أبى بكر الزبيرى عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ أن يجصصوا القبور ، وأن يبنى عليها ، وأن يكتب عليها » [3] .

وقال أيضا : حدثنا هارون بن سعيد [4] الأيلى قال : حدثنا ابن وهب حدثنا فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس حق فى صاحب لنا فأمر فضالة

---

(١) وردت هذه اللفظة « البنا » فى المخطوطة بإسقاط الهمزة كما ذكرنا فى المقدمة .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى .

(٣) صحيح مسلم وأصحاب السنن .

(٤) سبق الحديث عنه .

بقبره فسوى ، كما سمعت رسول الله ﷺ وهو يأمر بتسويتها ، وقال الترمذى : « ما جاء فى تسوية القبور » .

حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن حبيب حدثنا ثابت عن وائل أن علياً رضى الله عنه قال لابن الهياج الأسدى ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ « أن لاتدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » (١) . وقال وفى الباب عن جابر . وقال ابن ماجة : « باب ما جاء فى النهى عن البنا على القبور وتجصيصهم والكتابة عليها » . حدثنا راهم بن مروان حدثنا عبد الرازق عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبور » (٢) ، حدثنا عبدالله بن سعيد حدثنا حفص ابن غياث عن أبى جرير عن سلمان بن موسى عن جابر قال محمد ابن عبدالله الرقاشى خدك أوهب أنا عبد الرحمن ابن زيد عن القاسم ابن مخصر عن أبى سعيد أن النبى ﷺ نهى أن يبنى على القبر » (٣) وقال النووى فى شرح مسلم قال الشافى الشافعى فى الأم : رأيت الأئمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى ، ويؤيد الهدم قوله ﷺ : « وقبراً مشرفاً إلا سويته » .

---

(١) انظر سنن الترمذى .

(٢) انظر سنن ابن ماجة ، باب ما جاء فى النهى عن البناء على القبور وتجصيصهم والكتابة عليها .

(٣) نفس المرجع السابق .

وقال الأذرعى فى « قوت المحتاج » : ثبت فى صحيح مسلم النهى عن التجصيص والبنا » [1] . وفى الترمذى وغيره النهى عن الكتابة ، وقال القاضى ، ابنوكوج [2] ، ولا يجوز أن يبنى عليه قباب ولا غيرها والوصية بها باطلة .

قال الأزهرى : ولا يبعد الحرام بالتحريم فى ملكة وغيرها من غير حاجة على من علم النهى ، بل هو القياس الحق والوجيه فى البنا على القبور المباهات ومضاهات الجبابرة والكفار ، والتحريم ثبت بدون ذلك .

وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه فلا ريب فى تحريمه ، والعجب كل العجب ممن يلزم ذلك الورثة من خدام القصر ، ويعمل بالوصية بذلك [3] . انتهى كلام الأذرعى ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ فى القبور وما أمر به وما نهى عنه وما كان عليه الصحابة ، وبين ما أنتم عليه من قولكم مع أبى طالب والمحجوب وغيرهما وجد أحدهما مضاداً للآخر مما يناله بحيث

---

(١) انظر نص الكلام فى « قوت المحتاج » للأذرعى ، وانظر صحيح مسلم .

(٢) هكذا فى المخطوط .

٣- انظر نص هذا الكلام فى « قوت المحتاج » للأذرعى مع شيء من الاختلاف ، وانظر صحيح مسلم .

لايجتمعان (١) أبداً فنهى رسول الله ﷺ عن البنا على القبور كما تقدم ذكره ، وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة والذى رأيته فى المعلات (٢) أكثر من عشرين قبة ، ونهى رسول الله ﷺ أن تزاد عليها غير ترابها ، وأنتم تزيدون على التراب التابوب عليه لباس الجوح (٣) ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص ، وقد روى أبو داود من حديث جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ – نهى أن يجصص القبر ويكتب عليه أو يزاد عليه (٤) ، ونهى رسول الله ﷺ عن الكتابة عليها كما تقدم فى صحيح مسلم ، وقال أبو عيسى الترمذى : « باب ما جاء فى تجصيص القبور والكتابة عليها » حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أن ربيعة عن ابن جريج عن ابن الزبير عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها » .

وهذه القبور عندكم مكتوب عليها الأشعار وغير ذلك ، وقال أبو داود ، «باب البنا على القبور » : حدثنا أحمد بن حنبل عن عبد الرازق عن بن جريج قال حدثنى أبو الزبير أنه سمع جابراً يقول : سمعت رسول الله ﷺ : ينهى

(١) فى المخطوط « لايجتمعون » .

(٢) اسم موضع بشبه الجزيرة العربية .

(٣) الجوخ هو نسيج صفيق من الصوف ، انظر المعجم الوسيط ص ١٠٠ الجزء الأول .

(٤) حديث حسن صحيح رواه الترمذى وغيره من أصحاب السنن .

ان يقعد القبر وأن يجصص وأن يبنى عليه [1] . انتهى .

ولعن رسول الله ﷺ من أسرجها ، والذى رأيته ليلة دخولنا مكة – شرفها الله – فى المقبرة أكثر من مائة قنديل هذا مع علمكم بأن رسول الله ﷺ – لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس أن رسول الله – ﷺ – « لعن زائرات[2] القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » [3] . رواه أهل السنن .

وأعظم من هذا كله وأشده تحريما الشرك الأكبر الذى يفعل عندها ، وهو دعوة المقبورين وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، ولكن تقولون لنا: أن هذا لا يفعل عندها ، وليس عندها أحد يدعوها ويسألها ، ونقول اللهم اجعل ما ذكروه حق وصدق ، ونسأل الله أن يطهر حرمه الشريف ، ولا ريب أن دعاء الموتى بجلب نفع أو دفع كربات أنه هو الشرك الأكبر الذى كفر الله به المشركين كما تقدم بيانه فى المسألة الأولى .

وقال الله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ﴾ [4] .

---

(١) انظر سنن أبى داود ، باب البناء على القبر ، .

(٢) فى المخطوط ، زايرات ، بتخفيف الهمزة ياء .

(٣) رواه أصحاب السنن .

(٤) سورة الجن الآية ١٨ .

وقال تعالى: ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ [1]الآية.

وقال تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [2]. وقال تعالى: ﴿ له دعوة الحق والذين تدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ [3]. وقال تعالى: ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فما يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن الله ﴾ [4] الآية، وقد روى الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة » [5] ، وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله– ﷺ– : « الدعاء هو العبادة »، ثم قرأ: ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين

---

(١) سورة فاطر جزية الآية ١٣ .

(٢) سورة الأحقاف الآيتان ٦,٥ .

(٣) سورة الرعد آية ١٤ .

(٤) سورة سبأ : الآيتين ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) سنن الترمذى .

يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ (1) رواه أحمد أبو داود والترمذى (2) .

قال العلقمى فى شرح الجامع الصغير : حديث الدعاء مخ العبادة قال شيخنا قال فى الهداية : « مخ الشيء خالصه » (3) وإنما كان مخها لأمرين :

أحدهما : أنه امتثال لأمر الله حيث قال : ﴿ ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى ﴾ (4) الآية فهم مخ العبادة وخالصها .

الثانى : أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عمن سواه ودعاه لحاجته وحده ، وهذا هو الأصل فى العبادة ، ولأن الغرض من العبادة ؛ الثواب عليها ، وهو المطلوب بالدعاء ، وقوله الدعاء هو العبادة قال شيخنا : قال الطيب أبو الجبر معرفاً بكلام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء ، وقال شيخنا : قال البيضاوى ! لما حكم بأن الدعاء هو العبادة التى قد أهلّ أن تسمى عبادة من حيث أنه يدل على أن فاعله مقبل على الله معرض عمن سواه لا يرجو إلا هو ولا يخاف إلا منه .

---

(1) سورة غافر ٦٠ .

(2) انظر سنن الامام أحمد ، وسنن أبى داود والترمذى .

(3) انظر الجامع الصغير بشرح العلقمى ، وانظر « الهداية » .

(4) غافر جزء آية ٦٠ .

واستدل عليه بالآية الكريمة فى قوله تعالى : ﴿ وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ فإنها تدل على أنها أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة ، وترتب عليها المقصود ، وترتب الجزاء على الشرط ، والسبب على المسبب ، وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها ، [1] انتهى كلام العلقمى .

وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسألة الثالثة فإن أجبتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب ، وإن نازعتم فى القول خلافه فأجيبونا بعلم من كتاب الله والسنة فإنهما الحاكمان بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى : ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [2] .

وقد ذكرنا لكم الأدلة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ، فإذا أجبتم على هذه المسائل اتبعناكم على بقية المسائل إن شاء الله ، ولنختم الكلام بقوله تعالى :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف

---

(١) انظر نص الكلام فى الهداية ، للعلقمى .

(٢) سورة النساء جزء الآية ٥٩ .

ونهوا من المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [1] .

وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله ، وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله .

(١) سورة الحج الآيتين ٣٩ ، ٤٠ .

الفصل الثانى فى المشاجرة

ورد علماء مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أمر بالندى والسوى ، وحث على اجتناب من ضل وغوى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى ، والسيد الأعظم المجتبى ، وعلى آله وأصحابه أولى الكرامات والندا ، وعلى التابعين لهم بإحسان على طول المدى .

أما بعد ، فقد تأملت ما انطوت عليه هذه الورقات من الإلحاد فى الدين، والجهل المبين ، ومدارها على تكفير المسلمين ، وحل دمائهم وأموالهم والاستخفاف بمقامات الأنبياء والأولياء والصالحين ، إذ هى مبنية على ما تواتر عنهم بأن الميت معدوم النفع ، وما كان له فى الحياة غُلِبَ منه على سبيل القطع مع ما فيها من التحريف للآيات والأحاديث ووضعها على غير مواضعها ، ومن عظيم جهلهم حملهم كلام العلماء أئمة الدين على ما أرادوه بالعبارات المزخرفة تظهر لمن تأملها إذ الآيات والأحاديث محمولة وظاهرة فيمن يعبد غير الله تعالى ، ومن ينكر أحكام الدين أو يتعصب لعدم الانقياد إليها على سبيل المعاندة والإنكار ، وليس فى المسلمين ولله مزيد الحمد .

ومن يعبد غير الله أو يشرك فى عبادته غير الله ، وأما من تعظيم ضرائح الأنبياء والأولياء الصالحين ، فهذا أمر ليس خارجاً عن الدين فإن احترامهم بعد وفاتهم كاحترامهم فى حال حياتهم ، فإن وصفهم بالنبوة والولاية والصلاح لا ينسلخ منهم بعد وفاتهم ، ومالهم من المعجزات والكرامات والنفع للعباد حاصل منهم بعد وفاتهم كما لهم فى حال حياتهم ، والاستغاثة بهم والتوسل بهم وبجاههم ليس خارجاً عن الشريعة ، لكن من العلماء من كرهه أو حرمه من الاستغاثة سداً للذرائع ، وخوفاً من اتساع الخرافات من الجهلة .

وأما اعتقاد أهل السنة فيمن أتى بالتوحيد ، وارتكب الكبائر وترك الواجبات فهم مجمعون على أنه لا يخرج بذلك عن الإيمان ، وأمره مفوض لربه إن شاء عذبه أو عفى عنه .

أما قتال سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ما نعى الزكاة بخلاً وقول العلماء فيمن ترك شعائر الدين الظاهرة إذا اتفقوا على ذلك يقاتلون؛ فإن ذلك كان لا لكفرهم بذلك بل لتركهم شعائر الدين المؤدية إلى عدم انتظامه واستقامة أمره ، وارتباط بعضه ببعض لما فى ذلك من المصالح العامة التى ينتظم بها أمر المعاش والمعاد .

وأما أبنية القبور بالقبب ، وإلقاء الأكسية على التوابيت ؛ فمن كرهه من العلماء لكونه ليس من أمر السلف ، وما كانوا عليه . ومنهم من حرمه ؛ لأجل سد الذرائع ، والتوسع إلى حفظ الجهلة من اتساع الخرق ، وقد استحسن جملة

من العلماء الأبنية والتوابيت وزخرفتها خوفاً من أن يصدر من الجهلة إذا لم يكن ذلك من احتقار أهل الضرائح إذا رأوْا قبورهم كقبور آحاد المؤمنين وتقديرنا هذا يكفى من كان عالماً منصفاً ، ومن أراد التفصيل فى ذلك وبيان حقيقة هذه الطائفة وما هم عليه فعليه بكتاب العلامة الشيخ « عبد الله بن داود» رحمه الله تعالى ، وجزاه خيرا فإنه فَصّل وأطال وردّ كلامهم

[التفسير]

وأوضح (١) ، وقد أجمع العلماء على استحسان تأليفه ، وشكر صنيعه وسمى «كفاية بالصواعق والدعوة فى الرد على ابن مسعود »

ولا حاجة إلى الإطالة منا ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه .

كتاب التوحيد : تصنيف محمد بن عبد الوهاب

بِسْـــــم الله الرحمن الرحيم

بِسْـــــم الله الرحمن الرحيم

بِسْـــــم الله الرحمن الرحيم

وقال الشيخ رحمه الله تعالى : فى آخر كلامه على كفر مانع الزكاة .

---

(١) كلمة غير واضحة .

والصحابة لم يقولوا : هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها ؟ ، هذا لم يعهد عن الصحابة بحال ؛ بل قال الصديق لعمر رضى الله عنهما ، والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ ؛ لقاتلتهم على منعها ؛ فجعل الجميع المبيح للقتال مجرد المنع لا مجرد الوجوب .

مقدمة الفصل الثانى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذى بعثه رحمة للعالمين ، وحجته للمعاندين ، الذى أكمل الله به الدين ، وختم به الأنبياء والمرسلين – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابة أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فهذه فصول وكلمات نقلتها من كلام العلماء المجتهدين من أصحاب الأئمة الأربعة الذين هم أئمة أهل السنة والدين فى بيت بعض الأفعال والأقوال المكفرة للمسلم المخرجة له من الدين وإن تلفظ بالشهادتين وانتسابه إلى الإسلام ، وعمل ببعض الشرائع (١) الدين لا يمنع من تكفيره ، وإلحاقه بالمرتدين .

---

(١) هكذا فى المخطوط معرفة .

والسبب الحامل على ذلك أن بعض من انتسب إلى العلم والفقه من أهل زماننا غلط فى ذلك غلطاً فاحشاً فيه وأنكر ذلك على أهل الفتيابه من أهل العلم والدين كفراً فاحشاً ، ولم يكن لهم بإنكار ذلك مستند صحيح لا من كلام الله ، ولا كلام رسوله ، ولا من كلام أئمة العلم والدين إلا أنه خلاف عاداتهم، وعادات أسلافهم . العياذ بالله من الجهل والخزلان والتعصب .

وأذكر من ذلك ما مست إليه الحاجة ، وغلط فيه من غلط من المنتسبين إلى العلم من هذا الزمان لما جبل عليه من مخالفة الكتاب والسنة ، وعمل الخلف الصالح والأئمة المهديين ، وحب إرياسات وشهوة الدنيا والطمع فيما فى أيدى الظلمة ، والنساق والمعاندين ، وأسأل الله أن يوفقنا لما يرضاه من العمل ، ويجنبنا مما يوجب سخطه من الزلل إنه لا يخيب من رجاه ، ولا يرد من دعاه فحول وبالله التوفيق .

اعلم أن هذه المسائل من أهم ما ينبغى للمؤمن الاعتناء بها لا لما تقع فى شيء منها وهو لا يشعر ، وليتبين له الإسلام والكفر ؛ حتى يتبين له الخطأ من الصواب ، ويكون على بصيرة فى دين الله ، ولا يغتر بأهل الجهل والارتياب ، وإن كانوا هم الأكثرين عدداً ، فهم الأقلون عند الله ورسوله والمؤمنين قدراً .

وقد اعتنى العلماء رضى الله عنهم بذلك فى كتبهم ، وبوبوا لذلك أبواباً فى كتب الفقه فى كل مذهب من المذاهب الأربعة ، وهو باب حكم المرتد ،

وهو المسلم الذى يكفر بعد إسلامه ، وذكروا أنواعاً [1] كثيرة ، كل نوع منها يكفر المسلم به ، ويباح دمه وماله ، وسأذكر من ذلك ما يشفى ويكفى لمن هداه الله وألهمه رشده ، وجعل كلام كل طائفة من أتباع الأئمة الأربعة – أبى حنيفة – والشافعى – ومالك – وأحمد – على حده ليسهل ذلك على من أراد الاطلاع عليه ونبدأ بكلامهم فى الشرك الأكبر ، وتكفيرهم أهله حين وقع فى زمانهم من بعض المنتسبين إلى الإسلام ، والمنتسبين إلى الله هو المهم فنقول :

---

(١) فى المخطوط ، نوع ، والصواب ما أثبتناه .

الباب الأول

كلام الفقهاء

أولاً كلام الشافعية :

أما كلام الشافعية رضى الله عنهم فقال ابن حجر رحمه الله فى كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر .

« الكبيرة الأولى : الكفر والشرك أعاذنا الله منهما ، ولما كان الكفر أعظم الذنوب كان أحق أن يبسط الكلام عليه ، وعلى أحكامه ، قال الله تعالى :

﴿ إن لله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١)، وقال تعالى ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (٢)، وقال تعالى : ﴿ ومن يشرك فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾ (٣)، وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين – وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور فمازال يكررها حتى

---

(١) سورة النساء جزء الآية رقم ، ٤٨ ، .

(٢) سورة لقمان جزء الآية رقم ، ١٣ ، .

(٣) سورة المائدة جزء الآية رقم ، ٧٢ ، .

قلنـا : ياليتـــه سكت ، [1] ثم ذكر أحاديث كثيرة ثم قال رحمه الله : تنبيهات منها : بيان الشرك وذكره جملة من أنواعه كثيرة الوقوع [2] بين النـاس ، وعلى ألسنة العامـة من غير أن يعلموا أنها كذلك ، فإذا بانت لهم فعليهم أن يجتنبوها لئلا تحبط أعمالهم من ارتكاب ذلك ويخلدون فى أعظم العذاب ، وأشد العذاب ، ومعرفة ذلك أمر مهم جداً ، فإن من ارتكب مكفراً تحبط جميع أعماله ، ويجب عليه قضاء الواجب منها عند جماعة من الأئمة كأبى حنيفة ، ومع ذلك قد توسع الصحابة فى المكفرات وعدُّوا منها جملاً مستكثرة جداً وبالغوا فى ذلك أكثر من بقية أئمة المذاهب .

هذا مع قولهم : بأن الردة تحبط جميع الأعمال ، وبأن من ارتد بانت منه نجوته وحرمت عليه ، فمع هذا التشديد العظيم بالغوا فى الاتساع فى المكفرات ؛ فتعين على كل ذى متمسك فى دينه أن يعرف ما قالوه فيتجنبه ، ولا يقع فيه ؛ فيحبط عمله ويلزمه قضاؤه وتبين منه زوجته عند هؤلاء الأئمة؛ بل عند الشافعى رضى الله عنه أن الردة ، وإن لم تحبط العمل لكنها تحبط ثوابه فلم يبق الخلاف بينه وبين غيره إلا فى القضاء فقط » [3] .

---

(١) انظر صحيح البخارى ومسلم ، وأصحاب السنن ، وكتاب الكبائر للإمام الذهبى وانظر أيضاً كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » لابن حجر .

(٢) « وقوعها » هكذا وردت فى المخطوط .

(٣) انظر « كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر » لابن حجر مع شىء من التصرف .

ثم ذكر أنواع الكفر نوعاً نوعاً ، وسيأتى بقية كلامه إن شاء الله تعالى فى ذلك .

لكن تأمل رحمك الله قوله لكثرة وقوعها . فى الناس وعلى ألسنة العامة من غير أن يعلموها ، كذلك وأن الشرك والردة قد وقع فيه كثير من أهل زمانه يتبين لك مصداق ما قلناه إن شاء الله تعالى .

وقال النووى رحمه الله فى شرح مسلم :

« وأما الذبح لغير الله : فالمراد به أن يذبح باسم غير الله كمن ذبح لصنم أو صليب أو لموسى أو لعيسى – صلى الله عليهما وسلم – أو للكعبة ، ونحو ذلك ، وكل هذا حرام ، ولا تحل هذه الذبيحة سواء أكان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً نص عليه الشافعى ، واتفق عليه أصحابه ، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له غير الله ، والعبادة له كان ذلك كفراً ، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك ؛ صار بالذبح مرتداً » (١) . انتهى .

فتأمل قوله : فإن قصد مع ذلك إلى آخره – تجده صريحاً ، فإن المسلم إذا قصد بالذبح لغير الله تعظيماً للمذبوح له غير الله ، والعبادة له ؛ إنه يصير كافراً مرتداً ، والله أعلم .

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى .

فصل

كلام الحنفية

فصل ، وأما كلام الحنفية فقال فى كتاب بين المحارم المذكورة فى القرآن باب الكفر ، وهو الستر وجحود الحق وإنكاره ، وهو أول ما ذكر فى القرآن العظيم ن المعاصى .

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ﴾ (١) الآية وهو أكبر الكبائر على الإطلاق فلا كبيرة فوق الكفر إلى أن قال : وعلم أن ما يلزم به الكفر أنواع .

(١) نوع يتعلق بالله سبحانه .

(٢) ونوع يتعلق بالقرآن وسائر الكتب المنزلة .

(٣) ونوع يتعلق بنبينا محمد ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة والعلماء .

(٤) ونوع يتعلق بالأحكام .

أولاً : فأمَّا ما يتعلق بالله سبحانه إذا وصف الله سبحانه بما لا يليق به

---

(١) سورة البقرة : جزء الآية رقم ٦ .

بأن شبه الله سبحانه بشيء من المخلوقات أو فى صفاته ، أو قال بالحلول والاتحاد، أو معه قديم غيره ، أو معه مدبر غير مستقل ، أو اعتقد إنه سبحانه جسم أو محدث ، أو غير حى ، أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات أو سَخِرَ باسم من أسمائه ، أو أمر من أموره ووعده ، ووعيده – أو أنكرها ، أو سجد لغير الله تعالى ، أو سب الله سبحانه ، أو ادعى أن له ولد أو صاحبة ، وأنه متولد بشيء كان عنه ، أو أشرك بعبادته بشيء من خلقه ، أو افترى على الله سبحانه وتعالى الكذب ، أو نادى الإلهية والرسالة ، أو نفى أن يكون خالقه ربه ، وقال : ليس لى رب ، أو قال نوره من الذرات هذه خلقت عبثاً ومهلا وما التبسه ذلك مما لا يليق به سبحانه وتعالى كما يقولون علوا كبيراً يكفر فى هذه الوجوه كلها بالإجماع سواء فعله عمداً أو هزلاً يُقتل إن أصر على ذلك ، وإن تاب تاب الله عليه ، وسلم من القتل (١) . انتهى كلامه .

فتأمل رحمك الله تعالى إلى تصريحه بأن من الشرك فى عبادة الله غير أنه يكفر بالإجماع ، ويقتل إذا أصر على ذلك لتولته على الله . ولا يجوز أن يشرك معه فيها غيره أنواعاً منها : الدعاء لجلب خير أو دفع ضر، قال الله تعالى : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ادعونى أستجب لكم ﴾ (٣) ، وقال : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه

---

(١) انظر تفصيل ذلك ، وكلام الإمام النووى فى صحيح مسلم بشرحه .

(٢) سورة الجن آية رقم « ١٨ » .

(٣) سورة غافر جزء الآية رقم « ٦٠ » .

لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ﴾ (١) الآية ، وقال تعالى : ﴿ فإذا افزعت فانصب ﴾ (٢) ، وقال النبى ﷺ لابن عباس : « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » (٣) .

ومن أنواع العبادة الصلاة فلا يصلى إلا لله سبحانه ولا يسجد ، ولا يركع إلا لله وحده ، قال تعالى : ﴿ إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين﴾(٤) الآية . وقال : ﴿ فصلِّ لربك وانحر ﴾ (٥) ومن أنواع العبادة النسك: وهو الذبح فلا يجوز أن يتقرب لعبد بالذبح لأحد سوى الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (٦) ، وقال لنبيه صلوات الله عليه وسلامه عليه :

---

(١) سورة الرعد آية رقم « ١٤ » .

(٢) سورة الشرح آية رقم « ٧ » .

(٣) رواه الترمذى ، وقال حديث صحيح ، وانظر رياض الصالحين « باب التوكل »

(٤) سورة الأنعام ، آية رقم « ١٦٢ » .

(٥) سورة الكوثر ، آية رقم « ٢ » .

(٦) سورة الأنعام الآيتان رقم « ١٦٢ ، ١٦٣ » .

﴿فصلِّ لربك وانحر﴾[1] أى أخلص لربك الصلاة وانحر لا شريك له فى ذلك.

وقال النبى ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله » [2] وقد قرن بين هاتين العبادتين الصلاة والنسك فى هاتين الآيتين . فإذا كان من صلى لغير الله وركع لغير الله وسجد لغير الله ؛ فقد أشرك فى عبادة الله غيره فكذلك من ذبح ذبح القربان لغير الله ؛ فقد أشرك فى عبادة الله غيره .

ومن أنواع العبادة أيضا الخشية ، فلا تجوز الخشية إلا لله وحده . قال تعالى : ﴿ فلا تخشوا الناس وأخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [5] . فجعل الطاعة لله ورسوله ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده . ومن أنواع العبادة « التوكل » : وهو إسناد العبد أموره إلى الله وحده لا شريك له فى جميع أموره الدينية والدنيوية .

---

(١) سورة الكوثر آية رقم « ٢ » .

(٢) متفق عليه .

(٣) المائدة « ٤٤ » .

(٤) سورة آل عمران ، آية رقم « ١٧٥ » .

(٥) النور آية رقم « ٥٢ » .

قال الله عالى : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [1] . وقال تعالى: ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [2] فمن توكل على غير الله ؛ فقد أشرك في عبادة الله غيره .

ومن أنواع العبادة « الاستعانة »: قال تعالى: ﴿ إياك نعبدو إياك نستعين﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ [4] .

وقال النبي ﷺ لابن عباس : إذا استعنت فاستعن بالله ، [5] فمن استعان بغير الله فقد أشرك في عبادة الله غيره .

ومن أنواع العبادة « النذر » : فلا ينذر إلا لله وحده ، قال الله تعالى : ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ [6]، وقال الله تعالى :

---

(١) ٥١ م التوبة ٩ .

(٢) المائدة آية رقم « ٢٣ » .

(٣) سورة الفتحة آية رقم « ٥ » .

(٤) ١٢٣ ك هود ١١ .

(٥) ورد في صحيح البخاري وابن حبان

(٦) سورة البقرة آية رقم « ٢٧٠ » .

﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا ﴾ [١] ، وقال النبى ﷺ : «من نذر أن يطع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يفعل » [٢]، والحاصل أن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من أقوال العباد وأفعالهم ، مما أمرهم به فى كتابه وعلى لسان رسوله .

وقد أقر بهذا الحنفى فى كتابه الذى قدمته لك ، أن من أشرك فى عبادة الله غيره ؛ فهو كافر بالإجماع سواء فعله عمداً أو هزلاً ، وأن يقتل إن أصر على ذلك ، وإن تاب الله عليه وسلم من القتل ، والله أعلم .

فذكر أيضا أن ما يكون فعله كفر باتفاق ، إذا فعله المسلم ليحبط جميع أعماله ، ويلزمه إعادة الحج ، ولا يلزمه إعادة الصلاة والصوم ؛ لأنهما يسقطان عن المرتد ، ويكون وطئه مع امرأته حرام وزنا وإن أتى بكلمة الشهادة بحكم العادة لا يرفع الكفر ولم يرجع عما قاله والله أعلم .

وقال الشيخ قاسم فى شرح « الدر المنشور » : الذى يقع من أكثر العوام بأن يأتى إلى قبر بعض الصالحين قائلاً: يا سيد فلان : إن رد غائب أو عافى مريضاً أو قضيت حاجته فلك من الذهب والطعام أو شمع . كذا باطل إجماع الوجوه أن النذر للمخلوق لا يجوز ومنها أن ذلك كفر إلى أن قال : وقد

---

(١) سورة الإنسان آية رقم « ٧ » .

(٢) ورد فى صيحح مسلم وصحيح البخارى .

ابتـلى ناس بذلك ولا سيما فى مولد أحمد البدوى [١] . انتهى .

فتأمل كيف صرح بأن هذا النذر كفر يكفر به المسلم والله أعلم .

ومن كلام الشافعية أيضاً ما قاله الإمام المحقق ناصر السنة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم محدث الشام [٢] المعروف بأبى شامة فى كتاب « الباعث على إنكار البدع والحوادث » ، ومن هذا ما قاله : وقد عم الابتلاء من تزين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد ومواضع مخصوصة فى كل بلد يحكى لهم حكاية أنه رأى فى منامه بها أحد ممن اشتهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ، ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسنته ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يجوزن ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم فيعظونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم لهم

---

(١) هذا ما استشهد به الشيخ قاسم فى شرحه للدر المنثور ، دليلاً على وقوع كثير من جهلة الناس فى مثل هذا النوع من أنواع الشرك بالله ، أو كما يقول بعض العلماء : الكفر ، فهذا أصبح سمة سائدة فى جميع الاحتفالات بالموالد لأولياء الله ، ولا سيما فى مدن وقرى مصر ؛ فنجد كثيراً من تلك السخافات التى يروج لها دعاة الصوفية ، والشيعة عن طريق غرس بعض الخرافات فى نفوس هؤلاء العامة من اختلاق قصص خرافية وأساطير وأباطيل تمجد من شأن هذا الولى ، والولى منه برىء .

(٢) وهو أبو شامة ولد سنة ٥٩٩ هـ ومات سنة ٦٦٥ هـ ، له مختصر تاريخ دمشق .

بالنذر لهم وهى من بين عيون وشجر أو حائط وحجر ، وفي مدينة دمشق صانها الله تعالى مواضع متعددة كعوينة الحما خارج باب توما، والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر فى نفس قارعة الطريق سهّل الله قطعها واجتثاثها من أصلها فما أشبهها بذات أنواط الواردة(١)

---

(١) الحق أن تلك الأفعال قد كثر فعلها فى عصرنا الحاضر ، ونحن على مشارف القرن ٢١ ، فنجد كثيراً من سفلة الناس وسفائهم يشدون الرحال إلى أماكن معينة ظناً منهم أن البركة تحل عليهم من جراء زيارتهم لهذه الأماكن ، والتبرك والتمسح بها ، والطواف حول قبر وضريح فلان من الأولياء والمشايخ ، بل بلغ الأمر لأكثر من ذلك ، وهو أخذ بعضاً من آثار المكان حتى تحل لهم البركة ، ويتسع الرزق ، تماماً كما زين الشيطان لعبدة الأوثان الأوائل .

ومن هذه الطقوس الوثنية التى انتشرت فى المجتمع الإسلامى ما يحدث من بعض الناس عند زيارتهم لبعض الأماكن فى أقطار إسلامية كسوريا والعراق ومصر ، وأخص بالذكر مصر قلب العالم الإسلامى التى تنتشر فيها تلك الأفعال الوثنية عن طريق دعاة الصوفية على الرغم من وجود هذا الكم الهائل من العلماء والأصوليين وتنبيههم على منافاة ذلك للشريعة الإسلامية ، وعقيدة التوحيد ، ولكن الأمر لا يقتصر على مجرد تصريح العلماء وتوضيحهم وثنية تلك الأفعال والأعمال التى انتشرت فى مصر ولا سيما أثناء الاحتفالات بالموالد ، بل يجب أن يكون لجهاز الشرطة دور فى منع الناس من ارتكاب هذه الأعمال الشركية ، وتلك هى وظيفتهم الحقيقية ، لأن ذلك منكراً شديداً ، والدليل على ذلك ما يعتقده الناس من وجود أثر لقدم رسول الله ﷺ فى مسجد السيد البدوى بمدينة طنطا بجمهورية مصر العربية (الإسلامية) على صخرة ، زعموا أن رسول الله قد سار عليها فأثرت قدمه على تلك الصخرة !! فما كان من الناس إلا أن شدوا الرحال إلى هذا المسجد اعتقاداً منهم بذلك أنها أثر قدم رسول الله ﷺ وسبحان الله ويا لله !! وهناك الكثير من هذه الأفعال .

فى الحديث الذى رواه محمد بن إسحاق ، وسفيان بن عيينة عن الزهرى عن سنان بن أبى سنان عن أبى واقد البشير رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول ﷺ إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويعكفون عندها ويذبحون لها ، وفى رواية ، خرجنا مع النبى ﷺ قبل حنين ونحن حديثوا عهد بالكفار وللمشركين سدرة يعكفون عليها ويوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بالسدرة فقلنا يا رسول الله ، وفى رواية مما ولنا وكانت تسمي ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله شجرة عظيمة خضراء فتنادينا من جانبى الطريق ، ونحن نسير إلى حنين يا رسول اللـه اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبى ﷺ : « الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم » أخرجه الترمذى بلفظ آخر والمعنى واحد وقال حديث حسن صحيح .

وقال الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه : فانظروا رحمكم الله انما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدونها [1] الناس ويعظمونها من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها ويوطئون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط فقطعوها قلت ، ونقداً أعجبنى ما صنفه الشيخ إسحاق السجستانى رحمه الله أحد الصالحين ببلاد برقية فى المائة الرابعة حكى عنه صاحبه الصالح بن عبدالله محمد بن أبى العباس المادب أنه كان إلى جنابه عين تسمى عين

---

(١) هكذا فى المخطوط ، والصواب : يقصدها .

العافية كان العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق من تعذر عليه إنكاح أو ولد، قالت: امضوا به إلى العافية فتعرف بها الفتنة.

قال أبو عبدالله : فأنا في السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبى إسحاق نحوه ، فخرجت فوجدته قد هدمها ، وأذن الصبح عليهم ، ثم قال : اللهم إنه متهالك فلا ترفع لها رأس . قال فما رفع لها رأس إلى الآن .

قلت : وادهن من ذلك وأمر إقدامهم على قطع الطريق السابلة يجيزون فى أحد الأبواب الثالثة القديمة العادية التى هى من بناء الجن فى زمن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام ، أو من بناء ذى القرنين .

وقيل فيها غير ذلك ما يؤذن بالنقد على ما نقلناه فى كتاب ، تاريخ ، مدينة دمشق حرسها الله تعالى ، وهو الباب الشمالى ذكر لهم بعض من لا يوثق بهم فى أحد الشهور سنة ستة وثلاثين وستمائة أنه رأى مناماً أنه يقتضى أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت رضى الله عنهم ، وقد أخبرنى عنهم ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك فقطع الطريق المارة فيه وحول الباب بكماله أصل مسجد مغصوب ، وقد كان الطريق يضيق بسالكه ؛ فتضاعف الضيق والحرج على من دخل ومن خرج – ضاعف الله عذاب من تسبب فى بنيانه وأجزل ثواب من أعان على هدمه واراته اعتنائه اتباع إلى سنة النبى ﷺ فى هدم مسجد الأضرار المرصد لأعداء الله من الكفار ، فلن ينظر الشرع إلى كونه مسجداً وهدمه لما قصد به من السوء والردة ، وقال الله تعالى

لنبيه ﷺ : ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ (١) .

أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه ، وأن لا جعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه . انتهى كلامه .

فتأمل كلام هذا الإمام رحمك الله، وتصريحه بأن الذى يفعله العامة فى زمنه فى العمد والشجر والمواضع المخصوصة أنه مثل فعل المشركين بذات أنواط ، وكذلك تصريح أبى بكر الطرطوشى وكان من أئمة المالكية ، بأن كل شجرة يقصدها الناس أو يعظمون من شأنها فهى ذات أنواط، وكذلك تأمل قوله: ولقد أعجبنى ما فعله الشيخ أبو إسحاق ببلاد إفريقية فى المائة الرابعة فى هدمه تلك العين التى تسمى عين العافيه ، لما رأى الناس يقصدونها ويتبركون بها لنبين لك أن الشرك قد حدث فى هذه المدن من زمان قديم وأن أهل العلم رضى الله عنهم ينكرون ذلك أشد الإنكار، ويهدمون ما قدروا عليه مما يفتتن به الناس، وأن هذا ما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة وأن ذلك ليس من الدين بإجماع أهل العلم ويجب على من قدر على ذلك إزالته والنهى عنه .

وتأمل أيضا كلام أبى شامة فى المسجد الذى بنى على قارعة الطريق وتمنيه على هدمه وإزالته وتسميته إياه بمسجد الضرار ، وكان أبو شامة رحمه الله فى أوائل القرن السابع ، ومعلوم أن الأمر لا يزيد إلى الشدة والله أعلم .

فهذا ما وقفنا عليه من كلام الشافعية والحنفية فى هذه المسألة .

---

(١) ١٠٨ م التوبة ٩ .

فصل

وأما كلام الحنابلة :

فقال الإمام أبو الدف ابن عاقيل : لما صعب التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخل بها تحت أمر غيرهم ، وهم عندى كفار بهذه الأوضاع ، منها تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولايا افعل بى كذا وكذا ، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى . انتهى كلامه .

فتأمل قوله : فهم عندى كفار بهذه الأوضاع ، وتشبيهه إياهم بمن عبد اللات والعزى ، وقال الشيخ تقى الدين فى الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين ، وأمره ﷺ بقتالهم قال : فإذا كان فى زمن النبى ﷺ وخلفائه من انتسب إلى الإسلام من يمرق منه لمع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة فى هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام ، وذلك بأسباب من الغلو الذى ذمه الله فى كتابه حيث قال : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ﴾ [1] الآية ، وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنه حرق الغالية من الرافضة ، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندِه فقذفهم فيها ، واتفق

---

(١) سورة النساء آية رقم « ١٧١ » .

الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس رضى الله عنه كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول وقصته معروفة عند العلماء (١) .

---

(١) عندما أتأمل هذه الأقوال ، وأتفكر فى تلك الأحداث الجسام التى مرت على الأمة الإسلامية فى هذه العصور الغابرة ، وأرى كيفية تعامل هؤلاء الخلفاء العظماء مع تلك الشرذمة من الملاحدة والزنادقة والنفاة والكفرة ، والمارقين من الدين مروق السهم من الرمية بحرقهم ، أو ضرب أعناقهم أو تصليبهم إذعانا وتنفيذاً لأحكام الله تبارك وتعالى فى قرآنه العظيم إذ يقول : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ﴾ [المائدة : ٣٣] .

فتمثلوه جيداً وطبقوه عملياً من لدن أبى بكر حتى علىّ بن أبى طالب؛ لهذا ازدهرت الأمة وهيمنت على قوى الشر والبغى فى العالم آن ذاك ، ثم أقارن بين الوضع السابق فى هذه العصور الأولى، وبين وضعنا الراهن ؛ فأجد البون شاسعاً ، والشقة بعيدة ، والمقارنة تصيبنى بالحسرة والألم نتيجة هذه المآس التى يحياها العالم الإسلامى اليوم ومنذ أمد بعيد .

فرأيناه جعبة تُصبُّ فيه أفكار الشرك والإلحاد والنفى والتعطيل باسم العلم والفلسفة الوثنية والإلحادية الغربية ؛ فكانت المحصلة أن فشت الماركسية فى العالم الإسلامى ولا يزال لها مدافعون على الرغم من هذا السقوط الذريع المدوى لها فى عقر دارها إلا أننا ما زلنا نصطدم بأذناب هؤلاء الشيوعين الملحدين فى عالمنا الإسلامى ينفثون سمومهم فى عقول أبنائنا من خلال المواقع القيادية التى تبوءوها ؛ فيعتنقها الأبناء دون تفكر وتدبر نظرا لعدم معرفتهم الصحيحة لدينهم الإسلامى ، فأصبحت تلفى الآن من يجاهر بماركسيته وعلمانيته دون أن يجد من يقف فى وجهه من القائمين على شئون العالم الإسلامى ، فكانت النتيجة أن التفتت الأمة إلى كل ناعق مخرف ، وكل دعى مخرب – بل أصبحت وسائل الإعلام أكبر أجهزة للدولة الإسلامية فى انتشار هذا العفن العقائدى من خلال هذا الكم الهائل من تلك الأفكار التى تعمل على نشرها ؛ بل إن الأمر لم يقتصر على هذا فحسب بل أصبحت هناك جرائد مخصصة فى محاربة الدين والحط من شأنه ، والدليل على هذا ما نقرأه فى مجلات ، كروزاليوسف ، والهلال ، وغيرها من المجلات والجرائد التى دأبت على محاربة الدين باسم العلمانية .

وكذلك أقوال فى بعض المشايخ بالغلو فى على بن أبى طالب بالغلو فى المسيح ونحوه فلا من غالى بنبى أو رجل صالح وحول فيه نوع من الإلهية مثل أن يقول : ياسيد فلان انصرنى أو [1] ارزقنى أو اجبرنى وأنا فى حسبك ونحو هذه الأقوال ؛ فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فى كتاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إلهاً آخر، والذين يدعون مع الله إلها آخر مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلق ، أو تنزل المطر ، أو تنبت الزرع ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صدورهم ويقولون : إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة .

وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾[2] .

أيهم أقرب ، قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزير والملائكة إلى أن قال وعبادة الله وحده هى أصل الدين وهى التوحيد الذى بعث الله به الرسل ، وأنزل به الكتب ؛ قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [3] .

---

(١) كلمة غير واضحة فى المخطوط .

(٢) الإسراء : الآيتين ، ٥٦ ، ٥٧ ، .

(٣) النحل : آية رقم ، ٣٦ ، .

وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (١) ، وكان ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته . حتى قال له رجل : ما شاء الله وشئت قال : « أ جعلتنى لله ند ، قل بل ما شاء الله وحده ، ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » (٢) ، وقال : فى مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٣)، يحذر مما فعلوا ، وقال : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » (٤) ، ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ، ولا الصلاة عندها ؛ وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان ؛ كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبى ﷺ عند قبره أنه يشهده بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين وراسيه الذى لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه ، ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ ومن يشرك بالله فقد

---

(١) الأنبيا : آية رقم « ٢٥ » .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٣) ورد فى صحيح مسلم وسنن ابن ماجه .

(٤) ورد فى صحيح مسلم وابن حيان .

(٥) النساء آية « ١١٦ » .

افترى إثما عظيماً ﴾ [1] .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلمات[2] وأعظمها [3] .

فأعظم آية فى القرآن؛ آية الكرسى ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ [4] .

وقال ﷺ : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله فقد دخل الجنة » [5]، ومعنى لا إله إلا هو ؛ الذى يألهه القلب عبادة له واستعانة به ورجاء له وخشيةً، واجلالاً . انتهى كلامه .

فتأمل أول الكلام وآخره ، وتأمل كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً مثل أن يقول : ياسيد فلان أغثنى ونحوه أنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل تجده صريحاً فى تكفير أهل الشرك وقتلهم بعد الاستتابة .

---

(1) ٤٨ م النساء ٤ .

(2) فى المخطوط الكلام .

(3) فى المخطوط وأعظمه ، والصواب ما أثبتناه لأن الضمير يعود على مؤنث فى كل من كلمتى « الكلمات ، وأعظمها ، ولهذا جئنا بها على هذا النمط .

(4) آية الكرسى سورة البقرة آية « ٢٥٥ » .

(5) ورد فى صحيح البخارى .

وإقامة الحجة عليه ، وأن من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوع من الإلهية ؛ فقد اتخذه إلهاً مع الله لان لا إله إلا هو المألوه الذي يؤلهه القلب أي يقصده بالعبادة والدعوة والخشية والإجلال والتعظيم ، وإن زعم أنه لا يريد إلا الشفاعة ، والتقرب عند الله لأنه بيَّن أن هذا هو مطلوب المشركين الأولين ، واستدل على ذلك بالآيات الصريحات القاطعات والله أعلم .

وقال رحمه الله في كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » وكان الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وكل واحد منها بمصر من أمصار العرب .

فكانت اللات لأهل الطائف ، ذكره أنه كان من أجل رجل صالح يلت السويق للحاج ، فلما مات ؛ عكفو على قبره .

وأما العزى كانت لأهل مكة قريب من عرفات ، وكانت هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون .

وأما مناة ، فكانت لأهل المدينة ، وكانت حذو قد يدمن ناحية الساحل .

ومن أراد أن يعرف كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ، ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله ، وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن ، فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ ، وأحوال العرب في زمنه ، وما ذكره الأزرق في أخبار مكة وغيره من العلماء ، ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ، ويسمونها ذات أنواط ، فقال بعض الناس ؛ يارسول الله ؛ اجعل لنا

ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال : « الله أكبر إنها السنة لتركبن سنن من كان قبلكم » [1] .

فأنكر ﷺ مجرد مشابهتهم فى اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم ، فكيف بمن هو أعظم من ذلك الشرك بعينه إلى أن قال : فمن ذلك أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له مسجد الكف ، فيه تمثل لكف ، يقال إنه كف على بن أبى طالب حتى هدمه الله ذلك الوطن وهذه الأمكنة كثيرة موجودة فى أكثر البلاد وفى الحجاز موجود منها . انتهى كلامه .

فتأمل كلامه فى اللات والعزى ومناة ، وجعله بعينه هذا الذى يفعل بدمشق وغيرها من البلاد من ذلك .

وتأمل قوله على حديث ذات أنواط ، وتدبره فإنه نافع جداً ، وقال رحمه الله فى الكلام على قوله تعالى ﴿ وما أهل به لغير الله ﴾ [2] ظاهر أن ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا ظاهر من تحريم ما ذبح من لحم وقال فيه بام المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحته للحم وقلنا عليه بسم الله المسيح ، فإن عبادة الله بالصلاة له والشرك أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرب إليه لحوم ، وإن قال

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) البقرة جزء الآية « ١٧٣ » .

بسم الله فيه ، كما قد يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة ، وإن كان حالهم مرتدين لاتباع ذبيحتهم بحال ، لكن ليجتمع فى الذبيحة ما تعان ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن . انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فتأمل رحمك الله هذا الكلام ، وتصريحه فيه بمن ذبحه لغير الله من هذه الأمة فهو كافر مرتد لا تباح ذبيحته ؛ لأنه يجتمع فيها ما نعان :

الأول : أنها ذبحة مرتد وذبحة المرتد لا تباح بالإجامع .

الثانى : أنها مما أهل به لغير الله ، وقد حرم الله ذلك فى قوله تعالى : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلى محرم على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ﴾ [1] فإنه رجس أو فسق أهل به لغير الله ، أو أهل لغير الله به ، وتأمل قوله ومن هذا ما يفعل بمكة ، وغيرها من ذبح للجن والله أعلم .

---

(١) ١٤٥ ك الأنعام ٦ .

فصل

كلام ابن القيم

وقال بن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر .

قال : الأكبر لا يغفره الله إلا بتوبة منه ، وهو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبتهم لله ، ويغضبون لمنتقص معبود لهم من المشايخ أعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا .

منهم جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ إلهه ومعبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش ، وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله ، وشفيعه عنده ، وهذا كما كان عباد الأصنام سواء .

وهذا القدر الذى وقع فى قلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم ، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر ، وغيرهم اتخذوها من البشر ، قال الله تعالى حاكياً عن أسلافهم :

﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن

الله يحكم بينهم فيما هم فه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كافر﴾[1] .

فهذه حال من اتخذ من دون الله أولياء يزعم أنهم يقربوه إلى الله تعال، وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره ، والذى قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك عليهم فى كتابه وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها به، وقال تعالى :

﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ [2] الآية .

والقرآن مملوء من أمثال هذه الآية ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع ، ويظن فى قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا هو الذى يحول بين المرء وبين فهم القرآن ، كما قال عمر بن الخطاب : إنما تنتقض عرى الإسلام عروة عروة إذا شاء فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية وهو لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرفه أنه الذى عليه أهل الجاهلية فينتقض بذلك عرى الإسلام، ويعود المعروف منكراً،

---

(١) ٣ ك الزمر ٣٩ .

(٢) سورة سبأ الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

والمنكر معروفاً ، والبدعة حسنة ، والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجديد التوحيد ويبتدع بتجديد مما بعثه الرسول ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيان فى الله المستعان ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سببا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ؛ فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن .

والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا عليهم النبى ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم ونسأل لهم العافية والمغفرة ، فعكس المشركون هذا ، وزاروهم زيارة العبادة ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد ؛ فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ، ومعاداة هذا للتوحيد ، ونسبتهم إلى تنقص بالأموات وهم قد تنقص الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم ومعاداتهم ، وتنقصهم من أشركوا به غايته التنقص إذ ظنوا راضون بهذا ، وأنهم أمروهم به ، وهم أعداء الرسالة فى كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم .

ولله در خليله إبراهيم حيث قال : ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ (١) .

---

(١) ٣٥ ك إبراهيم ١٤ .

وما نجا من الشرك .

هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وتقرب إلى الله . انتهى كلامه رحمه الله .

فتأمل رحمك الله كلام هذا الإمام ، وتصريحه بأن من دعى الموتى ، وتوجه إليهم ، واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله ؛ فقد فعل الشرك الأكبر ، الذى بعث الله محمداً ﷺ بإفكاره ، وتكفير من لم يتب منه وقتاله ومعاداته ، وأن هذا قد وقع فى زمانه ، وأنهم غيروا دين الرسل ، وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم بالإخلاص لعبادة الله وحده لا شريك له ، وتأمل قوله أيضا ، وما أعز من خلص من الدليل ما أعز من لا يعادى من أنكره ، يتبين لك الأمر إن شاء الله .

ولكن تأمل أرشد الله قوله : وما نجا من الشرك هذا الشرك الأكبر إلا من عاد المشركين لله إلى آخره ، يتبين لك أن الإسلام لا يستقيم إلا بمعادات أهل هذا الشرك ، فإن لم يعادهم فهو منهم ، وإن لم يفعله والله أعلم .

وقال رحمه الله فى كتاب « زاد المعاد فى هدى خير العباد » فى الكلام على غزوة الطائف وما فيها من الفقه قال :

وفيها أنه لايجوز إبقاء موضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً ، فإنها من شعائر الكفر والشرك ، وهى أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة .

وهذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثاناً وطواغيتاً تعبد من دون الله ، والأحجار التى تقصد للعظيم والتبرك والنذور والتقبيل ، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزة ومناة الثالثة الأخرى ، وأعظم شركا عندما وبها والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وتحيِي وتميت ، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ما تبعها وليأتسوا بمن كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وأخذوا ما أخذوهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، وغلب الشرك على أكثر النفوس ؛ الظهور الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة .

ونشأ فى ذلك الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وطمست له الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقل العلماء وغلبت السفهاء ، وتفاقم الأمر ، واشتد البأس، وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس [1] ، ولكن لاتزال طائفة من

---

(١) كان هذا رأى بن القيم الذى أورده فى سفره « زاد المعاد فى هدى خير العباد » ، وكان هذا حكما لهذا التأمل فى أوضاع العالم الإسلامى منذه عهده ، وهذا يدل دلالة واضحة على أننا نعيش عصور التخلف والتمزق والضعف والهوان مند أمد بعيد ، ودهور طويلة جعلت ابن القيم يحكم على ما ارتآه هذا الحكم الدامغ على عصره ، ترى لو أن ابن القيم امتد به الأجل إلى عصرنا هذا ورأى ما هيمن على العالم الإسلامى من هذا التخلف والتشتت الدينى والأخلاقى والعقائدى ؟! هل سيكون حكمه كهذا الحكم الذى أورده فى كتابه « زاده المعاد » أم سيكون له حكم آخر ؟! .

الأمة المحمدية قائمين ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

ومنها جواز صرف الإمام الأموال التى تصير إلى هذه المشاهد سلماً والطواغيت فى الجهاد ومصالح المسلمين كما أخذ النبى ﷺ أموالاً وأعطاها لأبى سفيان (١) يباعه بها ، ومضى منها ليباعه عروة والأسود ولذلك الحكم

---

(١) هذا رأى الإمام ابن القيم فى وقف تلك النذورعلى هذه المظاهر الوثنية التى توظف إليها أموال طائلة تصب فى جيوب هؤلاء الذين يقومون على سدنتها ، تماماً كما كان يُفْعَلُ لدى الكهان إبان عبادة الأصنام والأوثان والأرجاس والطواغيت .

وحينما نتأمل هذه المواقف ، وهذه الأحداث التى كانت تحدث فى هذه المشاهد ، وضياع هذه الأموال هباءً منثوراً يذكرنى هذا الموقف بما يحدث الآن على الساحة فى كثير من بقاع العالم الإسلامى فى تصريف عجلة رأس المال ودورانها من أجل إنمائها فيحدث العكس .

من هذه الأموال التى توظف لإدارة وزارات بأكملها من أجل تنمية وخدمة وتثقيف المجتمع الإسلامى ، والعمل على انتشار وعيه الدينى ، فنجد أن هذه الأموال قد وجهت فى أبواب لا تَمُتَّ إلى الارتقاء بالمجتمع وحل مشاكله بأى صلة ، بل على العكس من ذلك فإن هذه الأموال أصبحت فى أيدى القائمين على هذه الوزارات سبباً من أسباب انتشار الفساد والانحراف فى المجتمع الإسلامى .

انظروا مثلاً إلى ميزانية وزارة الثقافة أين توجه ؟ توجه فى الإعداد لمهراجانات السينما والمسرح والمسرح التخريبى وحفلات ليالى أضواء المدينة وما شابه ذلك من مؤسسات شيطانية تساعد على تدمير الشباب وضياع المجتمع ، بل لم يقتصر الأمر على هذا فحسب فراحت هذه المؤسسات تعمل على إنشاء=

فى أوقافها فإن وقفها ، والوقف عليها باطل ، ومال ضائع ، فإن الوقف لا يصححه إلا بالقربة ، وهذا مما لا يخالف فيه أحد من الأئمة فى الإسلام ، ومن اتبع سبيلها والله أعلم . انتهى كلامه .

فتأمل رحمك الله هذا الكلام ، وما فيه من تصريح بأن هذا الذى يفعل عند المشاهد والقباب التى على القبور فى كثير من البلدان أنه الشرك الأكبر الذى فعله المشركون وأن كثيراً منها بمنزلة اللات والعزة ومناة ، وتصريحه بل أعظم شركا من شرك أهل اللات والعزة ومناة ، وتصريحه بأنهم فعلوا أفعال المشركين واتبعوا سبيلهم حذو القذة بالقذة .

– أوكار الدعارة والفسق والعربدة فى أنحاء المجتمع وراء دعوة التقدم ، وأن هذا من سمات العالم المعاصر المتحضر ، وما دونه هو التخلف ، إن وزارة الثقافة أصبحت مؤسسة غايتها محاربة الدين عن طريق نشر هذا العفن والنتن الذى تروج له وزارة الإعلام ؛ لأن ما ينطبق مما قلناه آنفا على وزارة الثقافة ينطبق أيضاً على وزارة الإعلام ، والمجلس الأعلى للشباب والرياضة ، فقد نست هذه الأجهزة الحكومية المشاكل الحقيقية التى أنيطت بها من بطالة وانتشار مخدرات وأزمة سكان وغيرها من المشكلات الحقيقية وراحت تركز فى وعى الأمة مشاكل تافهة لا أساس لها من الصحة مثل مشكلة الفن ، ومشاكل الرياضة، وتخلف السينما ، وما شابه ذلك من هذه المشكلات المصطنعة حتى يصرفوا الناس من المشكلات الحقيقية – وهذا الأمر ينطبق أيضاً على البنوك ورجال الاقتصاد والذين يعلمون صب هذه الأموال فى بنوك اليهود العالمية وربط أقواتنا ومقدارتنا ومصائرنا تحت رحمة هذه البنوك اليهودية ؛ فأدى ذلك بالطبع إلى هذا الكساد العظيم فى التجارة الدولية والمحلية التى تهم الدولة ، وأدى أيضا إلى هذا الكم الهائل من البطالة التى هى بمثابة القنبلة الموقوتة فى جسم هذه الأمة .

وتأمل قوله : وغلب الشرك على أكثر النفوس بظهور الجهل وخفاء العلم والله أعلم .

وقال الشيخ تقي الدين رحمه الله لما سُأل عند قتال التتار مع التمسك بالشهادتين ولما زعموا من اتباع أهل الإسلام فقال للطائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم أو عبدوهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا الشريعة وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض الشرائع كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم ما نعي الزكاة ، وعلى ذلك اتفق الفقهاء بعدهم بعد مسابقة مناظرة عمر لأبي بكر رضي الله عنهما؛ فاتفق الصحابة على القتال على حقوق الإسلام عملاً بالكتاب والسنة ، وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج ، والأمر بقتالهم ، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة من قوله « تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم » ؛ فعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام الشريعة ليس بمسقط للقتال ، فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة فمتى الدين لغير الله فالقتال واجب فأيما طائفة ممتنعة امتنعت عن بعض الصلاة المفروضة أو الصيام أو الحج أو من التزام تحريم الدماء أو الأموال أو الخمر أو الزنا ، والميسر ، وذوي المحارم ، وعن التزام جهاد الكفار ، وضرب الجزيات على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها التي يكفر الواحد بجحودها ، فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها ، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء ، وإنما اخْتُلِفَ في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنة

كركعتى الفجر والأذان والإقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر .

فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا ؟

فأما الواجبات والمحرمات المذكورات ونحوها فلا خلاف فى القتال عليها وهؤلاء عند المحققين من ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين عن الإمام ، والخارجين عن طاعته كأهل الشام مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه- فى أن [1] خارجون عن طاعة إمام معين خارجين عليه لإزالة ولاية، وأما المذكورون فهم خارجين عن الإسلام بمنزلة ما نعى الزكاة وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم على رضى الله عنه ، ولهذا تفرقت سيرته رضى الله عنه فى قتاله لأهل البصرة وأهل الشام فى قتاله لأهل النهروان فكانت سيرته مع البصريين والشاميين ، وفى قتاله سيرة الأخ مع أخيه ، ومع الخوارج بخلاف ذلك ، وثبتت نصوص عند النبى ﷺ بما استقر عليه إجماع الصحابة من قتال الصديق لمانعى الزكاة ، وقاتل علىّ الخوارج . انتهى كلامه رحمه الله .

فتأمل رحمك الله تصريح هذا الإمام فى شدة العقوبات من امتنع من شرعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس والصيام والزكاة والحج ، وترك المحرمات كالزنا أو تحريم الدماء والأموال أو شرب الخمر أو المسكرات

(١) كلمة غير واضحة فى المخطوط ربما تكون الذين كانوا .

وغير ذلك أنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله والتزام جميع شرائع الإسلام ، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائع الإسلام ، وأن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف من الصحابة فمن بعدهم ، وأن ذلك عمل بالكتاب والسنة ؛ فتبين لك أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال ، وأنهم يقابلون قتال الكفر وخروج عن الإسلام كما صرح به فى آخر الفتوى بقوله : وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين عن الإمام بل هم خارجون عن الإسلام بمنزلة ما نعى الزكاة والله أعلم .

وقال الشيخ رحمه الله فى آخر كلامه على كفر مانع الزكاة :

والصحابة لم يقولوا : هل أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها ؟

هذا لم يعهد عن الصحابة مجال . بل قال الصديق لعمر رضى الله عنهما : « والله لو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ ؛ لقاتلتهم على منعها » فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لا مجرد الوجوب .

وقد روى أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب ، لكن بخلوا بها . مع هذا فسيرة الخلق فيهم سيرة واحدة ، وهى قتال مقاتلهم وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار .

وسموها بأن جميعهم أهل الردة ، وكان من فضائل الصديق عندهم أن ثبته الله على قتالهم ، ولم يتوقف كما توقف غيره ؛ حتى ناظرهم فرجعوا إلى قوله .

وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة : فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع فى قتالهم ، وهذه حجة من قال : إن قاتل الإمام عليها كفر وإلا فلا فإن كفر هؤلاء ولاء وإدخالهم فى أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة .

المسنة وإلى نصوص الكتاب والسنة بخلاف من لم يقاتل الإمام عليها فإن فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قيل له : منع ابن جميل فقال : « ما نقيم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله فلم يأمر بقتله ، ولا حكم بكفره »

وفي السنن من حديث بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ «ومن منعها فا آخذوها وشطر إبله » [1] الحديث . انتهى كلامه .

فتأمل كلامه وتصريحه بأن الطائفة الممتنعة عن أداء الزكاة إلى الإمام أنهم يقاتلون ويحكم عليهم بالكفر والردة عن الإسلام وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم ، وإن أقروا بوجوب الزكاة والصلوات الخمسة وفعلوا جميع شرائع الإسلام غير أداء الزكاة ، وأن ذلك ليس بمسقط بقتالهم والحكم عليهم بالكفر والردة ، وأن ذلك قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الصحابة رضى الله عنهم والله أعلم .

وقال الشيخ رحمه الله فى كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول :

قال الإمالم إسحاق بن راهويه أحد الأئمة [2] الشافعى وأحمد أجمع

---

(١) ورد فى مفتاح كلوز السنة

(٢) كلمة غير واضحة .

المسلمون أن من سب الله ورسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله أنه كافر بذلك ، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله .

وقال محمد بن سحنون أحد الأئمة من أصحاب مالك : أجمع العلماء على أن شاتم الرسول كافر وحكمه عند الأئمة القتل ، ومن شك في كفره كفر.

قال ابن المنذر : أجمع أعوام أهل العلم على أن على من نفيه القتل .

وقال الإمام أحمد فيمن سبه : يقتل ، قيل فيه أحاديث ؟

قال نعم منها حديث الأمهر الذى قتل المرأة ، وقال ابن عمر : من شتم النبى ﷺ قتل .

وعمر بن عبد العزيز يقول : يقتل ، وقال فى رواية عبد الله لا يستتاب فيه ، فإن خالد بن الوليد قتل رجلاً شتم النبى ﷺ ولم يستتبه . انتهى .

فتأمل رحمك الله كلام إسحاق بن راهويه ، ونقله الإجماع على أن من سب الله أو سب رسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله أنه كافر ، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله . يتبين لك أن من تلفظ بلسانه بسب الله تعالى أو سب رسول الله ﷺ ؛ فهو كافر مرتد عن الإسلام وإن أقر بجميع ما أنزل الله وإن كان هازلاً بذلك لم يقصد معناه بقلبه كما قال الشافعى رضى الله عنه : من هزل بشىء من آيات الله فهو كافر ، فكيف بمن هزل بسب الله أو سب رسوله .

ولهذا قال الشيخ تقى الدين : قال أصحابنا وغيرهم : من سب الله كفر مازاحاً أو جاداً لقوله تعالى : ﴿ قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا وقد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ (١) الآية .

قال : وهذا هو الصواب المقطع به . انتهى .

ومعنى قول إسحاق رحمه الله أو دفع شيئاً مما أنزل الله : أن يدفع ويرد شيئاً مما أنزل الله فى كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الفرائض والواجبات ، والمسنونات والمستحبات بعد أن يعرف أن الله أنزل فى كتابه أو أمر به رسوله ﷺ ، ونهى عنه ، ثم دفعه بعد ذلك فهو كافر مرتد ، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله من الشرع إلا ما دفعه وأنكره لمخالفة هواه وعادته ، أو عادة أهل بلاده ، وهذا معنى قول العلماء رضى الله عنهم ، من أنكر فرعاً مجمعاً عليه كفر ، فإذا كان من أنكر نهياً عن الأكل بشماله والنهى عن إسبال الثياب بعد معرفته أن الرسول نهى عن ذلك ؛ فهو كافر مرتد ، ولو كان من أعبد الناس ، وأزهدهم ، فكيف بمن أنكر إخلاص العبادة لله وحده وإخلاص الدعوة ، والاستغاثة ، والنذر ، والتوكل ، وغير ذلك من أنواع العبادة التى لا تصلح إلا لله وحده ، ولا يصلح منها بشيء لملك مقرب ولا نبى مرسل التى أرسل الله جميع رسله ، وأنزل جميع كتبه لأجل معرفتها ، والعمل بها التى هى أعظم شعائر الإسلام الذى هو معنى لا إله إلا الله ، فمن أنكر ذلك ، وأبغضه وسبه

---

(١) ٦٦ م التوبة ٩ .

وسب أهله وسماهم الخوارج فكيف لا يكفر بذلك التجبر ، بها يكفر بإجماع المسلمين كلهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

قول ابن القيم فى الإغاثة

وقال ابن القيم رحمه الله فى الإغاثة : قال ﷺ : « لا تتخذوا قبرى عيداً» وقال : « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، أشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وفى اتخاذها عيداً من المفاسد العظيمة ما يغضب لأجله من فى قلبه وقار الله ، وغيرة على التوحيد ، ولكن ما لجرح بميت إيلام .

منها الصلاة إليها ، والطواف بها واستلامها ، وتعفير الخدود على أترابها، وعبادة أصحابها ، وسؤالهم النصر والرزق والعافية ، وقضاء الديون وتفريج الكربات التى كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم ، وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك ، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نهى عنه ، ويئول إليه ، وإذا لعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد ليعبد الله فيها، فكيف بملازمتها ، واعتياد قصدها ، ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ فى القبور ، وما أمر به ونهى عنه وما عليه أصحابه ، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاد للآخر ، فنهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ، ونهى عن تشريفها ، وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها ، ونهى أن تتخذ عيداً ، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ، وأمر بتسويتها كما فى صحيح مسلم عن على رضى الله عنه ، وهؤلاء يرفعوا بها،

ويجعلون عليها القباب ، ونهى عن تجصيص القبور والبناء عليها كما فى صحيح مسلم عن جابر ، ونهى عن الكتابة عليها فى كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ كما رواه الترمذى فى صحيحة عن جابر ونهى أن يزاد عليها غير ترابها كما رواه أبو داود عن جابر وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن ، ويزيدون على أترابها بالجص والآجر الاحجار ، وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال من المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً ووضعوا له منساكاً ، حتى صنف بعضهم فى ذلك كتابا سماه مناسك حج المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول فى دين عباد الأصنام فى نظر إلى هذا البيان العظيم بين ما شرعه هؤلاء ، والنبى ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة ، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور ، ونهاه أن يقول : هجور .

فهذه الزيارة التى أذن فيها لأمته ، وعلمهم إياها ، هل تجدها مضاءة لما هم عليه من وجه ؟ وما أحسن ما قال الإمام مالك : لن يصلح آخر هذه الأمة إلى ما أصلح أولها ، ولكن كل ما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوض عن ذلك بما أحدثوه من البدع ، والشرك ، ولقد جرد السلف الصالح التوحيد ، وحموا جوانبه ؛ حتى كان أحدهم إذا سلم على النبى ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدر القبر ثم دعا وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة :

أنه يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر ، فإن الدعاء عبادة وبالجملة فإن الميت قد نقص عمله فهو محتاج إلى من يدعو له

ولهذا شرع فى الصلاة عليه من الدعاء ما لم يشرع مثله للحى ،

ومقصودالصلاة على الميت الاستغفار له ، والدعاء له ، وكان النبى ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول له التثبيت فإنه الآن يسأل ، فبدل أهل البدع والشرك قولاً غير الذى قيل لهم ، فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه ، والشفاعة له بالشفاعة به ، والزيارة التى شرعت إحسانا إلى الميت ، ولا للزائر سؤال الميت والإقسام به على الله ، وتخصص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة ، وحضور القلب عندها ، وخشوعه أعظم من خشوعه فى المساجد .

وذكر ابن إسحاق عن أبى العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا فى بيت لهرمزان سدير ، وعليه رجل ميت عند رأسه مصحفاً ، فحملنا المصحف إلى عمر ، فدعا كعباً فنسخه بالعربية ؛ فأنا أول رجل من العرب قرأه قرأته مثل ما أقر القرآن فيه سيرتكم وأموركم ولحون كل أمركم ، وما هو كائن بعد ،

قلت : فما صنعتم بالرجل ؟

قال : خفنا أن تفتتن الناس به ؛ حفرنا بالنهار ثلاث عشر قبراً متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها ؛ لنعميه من الناس أن لا ينبشوه .

قلت : وما يرجون منه ؟

قال : كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون

قلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : دانيال .

قلت من ذى كم مات ؟

قال ثلاث مائه سنة .

قلت : ما تغير منه شيء ؟

قال : لا إشعيرات من قفاه لأن لحوم الأنبياء لا تبلى بالأرض ، ولا تأكلها السباع [1] .

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون ، والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به ، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف وعبدوه فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يدانيه ، وجعلوا لها سدنة ، وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير ؛ قطع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الشجرة التى بويع رسول الله ﷺ تحتها ، ولما رأى الناس يذهبون ، فسأل من ذلك ؟ فقيل : مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ يصلون فيه ، فقال : إنما ذلك من كان قبلكم بمثل هذا كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ، ويتخذونها كنائس وبيعاً ، فمن أدركته الصلاة منكم فى هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمش ولا يتعمدها ، وقد أنكر رسول الله ﷺ على الصحابة لما سألوه شجرة يعكفون عليها أسلحتهم بخصوصها ، ثم ذكر حديث ذات أنواط .

فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله ، وهم لا يعبدونها ولا يسألونها فما أظن بالعكوف حول القبور ودعائه عنده أنسبته للفتنه شجرة إلى الفتنة بالقبور لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون ، ومن

(١) أوردها ابن تيمية فى كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » الجزء الأول .

له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم فى هذا الباب وغيره. اعلم أن بين السلو وغيهم أبعد مما بين المشرق والمغرب ؛ والأمر والله أعظم مما ذكرنا ، وفى صحيح البخارى عن أم الدرداء قالت : دخل على أبو الدرداء مغضباً ، فقلت : مالك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد ﷺ إلا أنهم يصلون جماعة ، . انتهى (فتأمل رحمك الله كلام الشيخ رحمه الله قصر يحسه بأن عبادة الأوثان قد وقعت فى زمانه ، وتصريحه بعد ذكره القصة دفن دانيال بأن أهل المتأخرين قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يزايفه فى المرتبة والفضل والصلاح ، وأنهم لو وجدوه لجالدوا عليه بالسيوف وعبدوه من دون الله نبيين لك ما أصبح عليه اليوم غالب الناس من عبادة غير الله ، ودعائهم غيره والاستغاثة بهم فى الشدائد فى تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفان ، والإخلاص لهم فى العبادة فى أوقات الشدائد عند ركوبهم فى البحر وغيره الذى لم يفعله المشركون الأولون كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴾ (١)، وقوله : ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ (٢) بل إياه تدعون ؛ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون .

فتأمل رحمك الله ما ذكره الله عن هؤلاء المشركين من إخلاص الدعوة

---

(١) ٦٥ ك العنكبوت ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام آية رقم « ٤٠ » .

لله أوقات الشدائد ثم تأمل ما يفعله أهل زماننا مما ذكرت لك يتبين لك غربة الإسلام الذى جابه النبى ﷺ فى هذا الزمان .

فإذا كان هذا كلام أهل العلم وتصريحهم بأن الشرك غلب على أكثر النفوس ، وأن القليل الذى تخلص منه بل القليل ما لا يعادى ما أنكره فما ظنك بزمانك هذا ، ومعلوم أن الأمر لا يزداد إلى شدة وغربة .

وفى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يأتى زمان إلا الذى بعده شر منه » (١) أخرجه البخارى فى صحيحه عن أنس رضى الله عنه ، ولكن الأمر كما قال الشيخ رحمه الله ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم فى هذا الباب وغيره علم أن بينهما أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وهذه هى الفتنة التى قال فيها ابن مسعود رضى الله عنه : كيف أنتم إذا لبست فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير يتخذونها الناس سنة إذا غيرت قيل : غيرت السنة والله أعلم .

---

(١) ورد فى سنن ابن ماجه والترمذى .

فصل

[قول بن القيم فى الأنصاب والأزلام]

وقال ابن القيم رحمه الله : والناس قد ابتلوا بالأنصاب والأزلام قال الأنصاب : الشرك ، والأزلام لطلب علم ما استأثر الله به . هذه للعلم وتلك للعمل ، ودين الله مضاد لهذا وهذا ، وأعمى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضى الله عنه ، ولما بلغه أن الناس يقصدون الشجرة التى بويع رسول الله ﷺ تحتها أرسل فقطعها .

قال عيسى بن يونس[1] : هو عندنا من حديث ابن عوف عن نافع ، فإذا كان هذا فعله فى الشجرة التى ذكرها فى القرآن ، وبايع تحتها أصحاب رسول الله ﷺ ، فماذا حكمه فيما عداها .

وأبلغ من ذلك أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار . ففيه دليل على هدم المساجد التى أعظم فساداً منه كالمبنية على القبور وكذلك قبابها ، فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله ، والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه ، وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر الله سبحانه كسرها على أيد شيخ الإسلام وحزب الموحدين ، وكانوا يقولون : العامة ليس منها

(١) له ترجمة وافيه فى طبقات الحفاظ الذهبى .

يقبل أنه يقبل النذر أى يقبل العبادة من دون الله ، فالنذر عبادة ويتقرب بها الناذر إلى المنذر له ، ولقد أنكر السلف التمسيح بالحجر لدى المقام الذى أمر الله أن يتخذ منه مصلاً .

قال قتادة فى الآية : إنما أمروا أن يصلوا عنده ، ولم يؤمروا ليتمسحوه ، ولقد تكلفت هذه الآية أشياء ما تكلفتها الأمم قبلها . ذكر لنا من رأى أثر أصابع فما زالت هذه الآية تمسحه حتى اخلولق وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور ، وهى أصل فتنة عباد الأصنام كما ذكره الله فى سورة نوح فى قوله : ﴿ ولا تذرن آلهتكم ﴾ (١) الآية .

ذكر السلف فى تفسيرها : أن هؤلاء أسماء رجال صالحون فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وتعظيم الصالحين إنما هى باتباع الصالحين واتباع ما دعوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثاناً ، فأعرضوا بالمشروع واشتغلوا بالبدع ، ومن أصغى إلى كلام الله وتفقهه أغناه عن البدع والضلال من بعد عنه بما لا ينفعه ، كما أن من عمّر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه فالمعرض عن التوحيد شرك شاء أم أبى . والمعرض عن اتباع السنة مبتدع شاء أم أبى ، والمعرض عن محبته الله عبد الصورة

---

(١) سورة نوح آية « ٢٣ » .

شاء أم أبى ، وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير .

وهؤلاء من جنس عبادة الأصنام ، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان فى صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام ، وهذا يحصل للمشركين وأهل الكتاب، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به .

والنوع الثانى : أن يسأل لله به ، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة إجماعاً .

والنوع الثالث : أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء فى المسجد ؛ فيقصد القبر لذلك ، فهذا أيضا من المنكرات إجماعاً .

وما علمت فيه نزاعاً بين أئمة الدين ، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله . وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأوثان ، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع إبراهيم ، وعبادتهم فى الأرض من قبل نوح ، وهى كلها ووقفها وسدنتها وحجابها ، والكتب المصنفة من عبادتها على الأرض .

قال إمام الحنفاء عليه السلام : ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ (١) ، وكفى فى معرفته أنهم أكثر أهل الأرض،

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .

وما صــح عـن النبـى ﷺ وأن بعـث النـار مــن كــل ألــف تسعمائه وتسعا وتسعين [1] ، وقد قال تعالى : ﴿ فأبى أكثر الناس إلا كفورا ﴾ [2] . وقال : ﴿إن تطع أكثر من الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [3] ، وقال : ﴿ وما أكثر الناس لو حرصت بمؤمنين ﴾ [4] ، وقال : ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقون ﴾ [5] ، ولو لم تكن الفتنة بعبـادة الأصنام عظيمـة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونهـا ، وهم يشاهدون مصارع إخـوانهم ، ومـا حل بهم ، ولا يزيدهم ذلك إلا حـبـاً لهـا وتعظيـمـاً ، ويوصى بعضهم بعضاً بالصبر عليها ، والله أعلم .

فتأمل رحمك الله كلام الشيخ فى الأنصاب والأزلام والقباب المبنية على القبور وأنه يجب المبادرة إلى هدمها ، وأنها أعظم ضرراً من مسجد الضرار الذى قال الله فى أهله : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً ﴾ [6] ، وتفريقـــاً

---

(١) ورد فى صحيح ابن حبان وسنن البيهقى .

(٢) ٨٩ ك الإسراء ١٧ .

(٣) ١١٦ ك الأنعام ٦ .

(٤) ١٠٣ ك يوسف ١٢ .

(٥) ١٠٢ ك الأعراف ٧ .

(٦) ١٠٧ م التوبة ٩ .

بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وأمر رسول الله بهدمه وتحريقه ، ونهى الله نبيه عن الصلاة فيه .

وقوله الأنصاب فيسر الله كسرها على أيد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين ، ومراده بذلك الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله . فإنه هدم مواضع كثيرة بدمشق مما يعبده العامة من دون الله ، وينذرون له ويقولون : إنه يقبل النذر أى يقبل العبادة ، وذلك لأن النذر عبادة لله ، قال تعالى : ﴿يوفون بالنذر﴾ (١) ، وقال ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر ﴾ (٢) ، الآية . فإذا عرفت أن النذر عبادة وصرفته لغير الله فقد أشركت فى عبادة الله غيره ، وقد أقام الله فى زماننا هذا وهو آخر القرن الثانى عشر من الهجرة النبوية من بعث الله به دين الإسلام ، وإخلاص العبادة لله وحده ، وهو الشيخ الإمام العالم ذو الفضائل والمكارم والأخلاق السنية والأعمال المرضية محيى السنة النبوية وقامع البدعة الشركية محمد بن عبد الوهاب أسكنه الله الجنة التى هى أحسن المآب، فنصر الله به الدين القيم وبين بعينه الصراط المستقيم، وأزال الله به الشرك، وعبادة الأوثان من أرض نجد محل الكفر والطغيان ، ويسر الله كسر تلك الأوثان على يده وأيادى أتباعه من الموحدين وحزب الله المفلحين، وكان قبل ذلك فى أرض وبلد من أرض نجد أوثان وأشجار تعبد من دون الله وينذرون لها ويذبحون لها القربات ويعظمونها أعظم من تعظيم

---

(١) ٧ م الإنسان ٧٦ .

(٢) ٢٧٠ م البقرة ٢ .

الله كقبر زيد بن الخطاب رضى الله عنه فى قريه الجبيلة وكشجرة فى قرية من بلاد الدرعيه ، وشجرة أخرى لأهل الطريفة وغار يقال له غار نبت الأمين فى أسفل بلاد الدرعية ، وقبر يقال له : قبر المغربى ، وأعظم من ذلك عبادتهم تاجاً وشمسان مع شهادتهم عليهما بالفجور لكن يزعمون أنهم أولياء ولا تضرهم الذنوب ، ويهابونهم أعظم مما يهابون الله ، ومنهم من يدعو الجن ويذبح لهم، وفى كل بلد من ذلك شىء عظيم ، فأزال الله ذلك كله على يد الشيخ محمد، وأقام الله به الحجة على أهل زمانه ، وعرفوا التوحيد عدوانه وأقروا أنه دين الله ورسوله وأن الذى هم عليه الشرك بالله ولم يزدهم ذلك إلا بغضا له وعداوة وسعوا فى إزالته وعداوته بكل ممكن حسداً له لما أظهره الله الدين على يديه حتى أظهر الله عليهم ونصره ، ونصر أتباعه على من خذلهم وخالفهم مع ضعفهم وقلة عددهم وقوة عدوهم وكثرتهم ، وأدخل الله جميع أهل نجد فى الإسلام وأدانوا به واجتمعوا عليه حاضرتهم وباديتهم ، فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ولما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ، ونسأل الله العظيم المنان أن يثبتنا على الإسلام وأن لا يزيغ قلوبنا بعدئذ هدانا ، وأن يعيدنا بعد التفرق والاختلاف إنه على كل شىء قدير.

فصل

وقول بن تيمية فى مسألة الاستغاثة

وقال الشيخ تقى الدين رحمه الله فى رد على بن البكرى فى مسألة الاستغاثة : العبادة مبناها على الاتباع لا على الابتداع ، فليس لأحد أن يشرع من الدين ما لم يأذن به الله قال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ (١) ، وفى الصحيحين عن عائشة رض الله عنها أن النبى - ﷺ أنه قال : « من أحدث من أمرنا ما ليس منه فهو رد » (٢) ، وفى لفظ فى الصحيح : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » (٣) ، وفى الصحيح وغيره : « يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء ، وهو كله للذى أشرك » (٤) . ولهذا قال الفقهاء : العبادات مبناها على التوقيف كما فى الصحيحين عن عمر رضى الله عنه أنه قبل الحجر الأسود ، وقال : والله إنى لأعلم إنك حجر لا تضر

---

(١) ٢١ ك الشورى ٤٢ .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٣) ورد فى صحيح البخارى وسنن ابن ماجه .

(٤) ورد فى مفتاح كنوز السنه .

ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » (١) .

والله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته وضمن لنا بطاعته ومحبته وكرامة محبته لنا ومغفرته وهدايتنا وإدخلنا الجنة ، فقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (٢) وقال : ﴿ وإن تطيعوه تهتدوا ﴾ (٣) وقال : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ندخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾(٤)، وأمثال ذلك فى القرآن كثير ، ولا ينبغى لأحد أن يخرج فى هذا الباب عما مضت به السنة ، وكان عليه السلف والأئمة وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان : أحدهما ألا نعبد إلا الله ، والثانى ألا نعبده إلا بما شرع ، لا نعبده بعبادة مبتدعة .

وهذا الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما قال : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ (٥) .

---

(١) ورد فى سنن الترمذى .

(٢) ٣١ م آل عمران ٣ .

(٣) ٥٤ م النور ٢٤ .

(٤) ١٢ م النساء ٤

(٥) ٢ م الملك ٦٧ .

قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه .

قالوا : يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟

قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواب لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً . (والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة وذلك تحقيق قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ [١] وجاءت السنة أن يسأل الله بأسمائه وصفاته ، فيقال : أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان ، يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم ، ونسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد [٢] . وكذلك قوله : « اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة ، [٣] مع أن هذا الدعاء الثانى فى جواز الدعاء به قولان للعلماء ، وقال الشيخ أبو الحين القدورى : قال بشر بن الوليد : سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة رضى الله عنه : لا ينبغى لأحد ألا يدعو الله إلا به ويكره أن يقال : بمعاقد العز من عرشك وبحق خلق ، وهو قول أبى يوسف .

---

(١) ١١٠ ك الكهف ١٨ .

(٢) متفق عليه .

(٣) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

قال أبو يوسف : بمعقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام .

قال القدوري : في هذه المسألة مخالفة لا تجوز ؛ لأنه لا حق لمخلوق على الخالق فلا تجوز يعنى .

وقال البلدجى فى شرح المختار : ويكره أن يدعى الله إلا به ، فلا يقول أسألك بحق فلان وبملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على الخالق .

وتقول فى دعائه : أسألك بمعقد العز من عرشك ، وعن أبى يوسف أنه يتعوذ ويقول فى دعائه : قلت وهديه من أبى حنيفة وأبى ويوسف وغيرهما يقتضى الله أن يسأله أنه تعالى بعبده ، وأما سؤال الموتى والغائبين أنبياء كانوا أو غير أنبياء فهو من المحرمات المنكرات باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ، ولا رسوله ، ولا نقل أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين وهذا ما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ، فإن أحداً منهم ما كان يقول : إذا نزلت به فاقة ، أو عرض له حاجة بميت يا سيدى فلان الا فى حبيبك واقضى حاجياتنا ، يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ، ولا أحداً من الصحابة استغاث بالنبى ﷺ بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم ولا إذا بنوا عنها ولا كانوا يقصدون الذى عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها .

ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى

بالعباس وتوسلوا بدعائه ، وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك إذا أجد بتنا بنبينا ، فتسقنا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ؛ فيسقون كما ثبت فى صحيح البخارى ، وكذلك معاوية رضى الله عنه لما استسقى بأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشى ، فهذا الذى ذكره عمر رضى الله عنه توسل منهم بدعاء النبى ﷺ وشفاعة فى حياته ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس ودعاء يزيد بن الأسود وهذا هو الذى ذكره الفقهاء فى كتاب الاستسقاء فقالوا : يستحب أن يستسقى بالصالحين .

فإذا كانوا من أقارب رسول الله ﷺ فهو أفضل ، وقد كره العلماء كلما كثر وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبى ﷺ يدعو لنفسه ، وذكر أن هذا من البدع التى لم يفعلها السلف وقد قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين تدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ (١) الآية ، وفى تفسير الصحيح عن مجاهد يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، قال : عيسى بن مريم ، وعزير والملائكة ، وكذلك عن إبراهيم النخعى قال : كان بن عباس يقول فى قوله تعالى : ﴿أولئك الذين تدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ (٢) وهو عزير والمسيح والشمس والقمر .

وكذلك شعبة روى عن السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال :

---

(١) ٥٦ ك الإسراء ١٧ .

(٢) ٥٧ ك الإسراء ١٧ .

عيسى وأمه والعزير .

وعن عبدالله بن مسعود قال : نزلت فى من كفر من العرب ، كانوا يعبدون نفراً من الجن ، فأسلم الجنيون ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم ؛ فنزلت هذه الآية . ثبت ذلك فى صحيح البخارى .

وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ، والسلف رضى الله عنهم فى تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوعى تمثيلى كما يقول الترجمان لمن يسأله : ما معنى لفظ البخنس الخبز ، فيرويه رغيف ، فيقول هذا ، قال إشارة إلى نفعه الذى عينه ، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية ، فالآية خطاب لكل من دعى من دون الله مدعواً ، وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ، ويرجو رحمته ، ويخاف عذابه ، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين سواء أكان بلفظ الاستغاثة أو غيرها ؛ فقد تناله هذه الآية كما يتناول من دعا الملائكة والجن .

ومعلوم أن هؤلاء كلهم يكونون وسائطاً فيما يقدره الله نافعاً لهم ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم ، وبين أنهم لايملكون كشف الضر إلى موضع كتغيير صفته أو قدره ، ولهذا قال ﴿ ولا تحويلا ﴾ أ.هـ .

فذكر نكرة تعم أنواع التحويل ، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن ؛ فقد دعا من لا يغيثه ، ولا يملك كشف الشر عنه ولا تحويلا ، وقد قال تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس

يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ (١) .

وقد نص الآيةكأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق ، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق ، وقالوا لأنه ثبت عن النبى ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك ، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويز التى لا يعرف معناها ؛ خشية أن يكون فيها شرك ، ومما يبعث حكمه الشريعة وعظم قدرها ، وأنها كما قيل : سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخل عنها غرق .

إن الذين خرجوا عن المشروع ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ؛ حتى خرجوا إلى الشرك ،. فطائفة من هؤلاء يصلون للميت ، ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر ، ويقول أحدهم القبلة قبلة العامة ، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة، وهذا يقوله من أكثر الناس عبادة وزهداً وهو شيخ متبوع ، والعلة من أمثال أتباع الشبهة يقوله فى شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين من أصحاب الصديق ، والإجهاد فى العبادة والزهد يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحدهم فى مساجد الله الذى أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، وآخرون يحجون للقبور ، وطائفة صنفوا كتباً عن مناسك حج المشاهد ، كما صنف أبو عبدالله محمد ابن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتابا

---

(١) سورة الجن آية رقم ٦ .

فى ذلك ، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا ينفى كذبه على المخالفة معرفته بالنقل .

وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ ، وإن لم يسموا ذلك منسكاً وحجاً ، والمعنى واحد ، ومن هؤلاء من يقول : وحق النبى الذى تحج إليه المطايا ؛ فيجعل الحج إلى النبى لا إلى بيت الله عز وجل ! .

وأكثر من هؤلاء أعظم فقصده من الحج قصد قبر النبى ﷺ لا حج البيت ، وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتاباً سماه «الاستعانة بالنبى ﷺ فى اليقظة والمنام» ، وهذا الضال استعان بهذا الكتاب ، وقد ذكر فى مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة فكان قبر النبى ﷺ منتهى قصده ثم رجع ولم يذهب إلى مكة ، وجعل هذا من مناقبه ، فإن كان هذا مستحباً فينبغى لمن يجب عليه الحج حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهى قصده، ولايذهب إلى مكة فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل ، وهذا لا يقوله عاقل وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين قيل عنه أنه كان يقول : البيوت المحوجة ثلاثة مكة ، وبيت المقدس والبلد الذى للمشركين بالهند ، وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق ، ودين النصارى حق ، وجاءه بعض أخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته ، فقال له : أريد أن أسلك على يدك فقال : على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين ؟

فقال له : واليهود والنصارى ليسوا كفاراً ؟

فقال : لا تشدد عليهم ، لكن الإسلام أفضل ، ومن هؤلاء من يحج الحج إلى المقابر على الحج إلى البيت ، ومنهم من يرجح الحج إلى البيت لكن قد يقول أحدهم : إنك إذا زرت قبر الشيخ مرتين أو ثلاثة كانت كحجة ، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إلها وقت المواسم فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا في المغرب والمشرق ، ومنهم من يجعل السفر إلى المشهد والقبر ، والقبر الذي يعظمه أفضل من الحج ، ويقول أحد المريدين ، وقد حج سبع حجج إلى بيت الله العتيق ، أينبغي زيارة قبر الشيخ بالحجج السبع فشاور الشيخ . ، فقال : لو بعت لكنت مغلوباً .

ومنهم من يقول من طاف بقبر الشيخ سبعاً كانت كحجة .

ومنهم من يقول زيارة المغارة الفلانية ثلاث مرات كحجة .

ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت أنه قال : كل خطوة إلى قبره كحجة، ويم القيامة لا ينفع بحجة .

فأنكر بعض الناس فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ في منامه وزجره عن إنكاره ذلك ، وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين ، فليسوا على ملة إمام الحنفاء ، وليسوا من عمار مساجد الله الذين قال الله فيهم: ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ (١) فعمار مساجد الله لايشخون إلا الله ، وعمار مشاهد المقابر يخشون غير الله ويرجون غيره ،

---

(١) التوبة آية « ١٨ » .

حتى أن طائفة من أرباب الكبائر الذين لايخشون الله فيما يفعلونه من القبائح كان يخشى قبته يرى الميت أو الهلال الذى على رأس القبة فيخشى من فعل الفواحش ، ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشى المدفون تحت الهلال ، ولا يخشى الذى خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج !!!

وهؤلاء إذا نوظروا وأخوفوا مناظرهم كما صنع المشركون بإبراهيم : قال تعالى :

﴿ وحاجه قومه قال أتحاجوننى فى الله وقد هدانى ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً – إلى قوله – فأى الفرقين أحقُ بالأمر إن كنتم تعلمون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ الذين آمنوا ولم يلبسُو إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴾ (٢) .

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله ، والشيخ الحى المتعلق به كالنبى ، فمن الميت تطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات .

---

(١) ٨١ ك الأنعام ، ٦ ، .

(٢) ٨٢ ك الأنعام ، ٦ ، .

وأما الحى فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمه وكناهم فى أنفسهم قد عزلوا الله عن أن يتخذوه إلهاً وعزلوا محمداًﷺ أن يتخذوه رسولاً ، وقد بحى الحديث العهد بالإسلام أو التابع لهم ليحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أو غيره ذلك فيدخل ذلك السادن فيقول : قد قلت للشيخ ، والشيخ يقول للنبى ، والنبى يقول لله ، والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان ، فهل هذا إلا محض دين المشركين والنصارى ؟! وفيه من الكذب والضلال ما لا يتميزه كل شرك ونصرانى ولا يروح عليه يكون من النذور والمنذور وما يؤتى به إلى قبورهم ما يدخلون به فى قوله تعالى :

﴿ إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ﴾ (١) .

يعرضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه فيمتنع بسبب ذلك من الدين الحق الذى بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه ، والله تعالى لم يذكر فى كتابه المشاهد بل ذكر المساجد ، وأنها خاصة له ، قال تعالى :

﴿ قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ (٢) .

---

(١) ٣٤ م التوبة ، ٩ ، .

(٢) ٢٩ ك الأعراف ، ٧ ، .

وقال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله ﴾ (١) الآية .

وقال تعالى : ﴿ فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ (٢) الآية .

وقال تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ﴾ (٣) الآية .

ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت الأصنام والمشاهد ، ولا ذكر بيوت النار لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب ، والممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويعملون الحاجات .

فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله منها شيئاً ، ولم يذكر ذلك إلا فى قصة من لعنهم النبى ﷺ .

قال تعالى : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ (٤) .

---

(١) التوبة آية « ١٨ » .

(٢) النور آية « ٣٦ » .

(٣) الحج آية « ٤٠ » .

(٤) سورة الكهف ، آية رقم « ٢١ » .

فهؤلاء الذين اتخذوا مسجداً على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبى ﷺ حيث قال: « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »[1] وفى رواية، والصالحين ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك، وقد قدم بعض شيوخ المشرق وتكلم معى فى هذا؛ فبينت له فساد هذا، فقال: أليس قد قال النبى ﷺ: « إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور » [2]، فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبى ﷺ أحد من علماء الحديث.

ونسبة هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة[3] ، حتى لو دخلوا حجر ضب[4] لدخلتموه ، قالوا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن وهؤلاء الغلاة المشركون » [5] إذا حصل لأحدهم مطلوبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول،

---

(١) رواه الشيخان ، وأحمد والنسائى عن عائشة .

(٢) حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ .

(٣) القذة : ريشة الطائر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركب فى السهم ، وفى الحديث «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » . يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان . انظر المعجم الوسيط ص ٧٤٨ .

(٤) الضب حيوان من جنس الزواحف من رتبة العظام ، غليظ الجسم خشنه وله ذنب عريض حرش أعقد ، يكثر فى صحارى الأقطار العربية . انظر السابق ص ٥٥٢ .

(٥) حديث صحيح .

بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تقضى فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح ، ويكون فيه قبر كافر أو منافق ، وتارة يعلم أنه كافر أو منافق، ويذهب إليه كما يذهب قوم إلى كنيسة أو إلى موضع يقال لهم : إنها تقبل النذر ، فهذا يقع فيه عامتهم ، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم ، حتى أن بعض أصحابنا المباشرين لقضاة القضاة لما بلغه أنى أنهى عن ذلك صار عنده شبهة من ذلك ، ووسوس لما يعتقده من الحق فيما أذكره ، ولما عنده من المعارضة لذلك قال لبعض أصحابنا سراً : أنا جربت إجابة الذى عند قبر بالقرافة ، فقال له ذلك الرجل : فأنا أذهب معك إليه لتعرف قبر من هذا ، فذهبنا إليه ؛ فوجدا مكتوباً عليه قبر على فعرفا أنه إما رافضى ، واما إسماعيلى ، وكان بالبلد جماعة كثيرون يظنون فى العبدين أنهما أولياء الله الصالحين ، فلما ذكرت له أن هؤلاء كانوا منافقين زنادقة وخيار من فيه الرافضة جعلوا يتعجبون ويقولون: نحن فذهب بالفرس التى فيها مغل إلى قبورهم فنتشفع عند قبورهم . فقلت لهم : هذا من أكبر الأدلة على كفرهم ، وطلبت طائفة من سائسى الخيل فقلت لهم : أنتم بالشام ومصر إذا أصاب الخيل المغل أين تذهبون بهم ؟.

فقال أهل الشام : نذهب بها إلى قبور اليهود والنصارى ، وإذا كنا بأرض الشمال نذهب بها إلى القبور التى ببلاد الإسماعيلية كل العايقة والمنحتة ونحوهما .

وأما فى مصر فنذهب بها إلى دير هذه النصارى ، ونذهب بها إلى

قبور هؤلاء الأشراف وهم يظنون أن العبيدين أشراف لما أظهروا أنهم من أهل البيت .

فقلت : هل تذهبون بها إلى قبور صالى المسلمين مثل الليث أبى سعد والشافعى وأبى القاسم ونفيسة وغير هؤلاء ؟

فقالوا : لا .

فقلت : أولئك سمعوا إنما يذهبون بها إلى الكفار ، قبور الكفار والمنافقين وبيَّنْتُ لهم سبب ذلك ، فقلت لأن هؤلاء يعذبون فى قبورهم ، والبهائم تسمع أصواتهم كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح ، فإذا سمعت ذلك فزعت ، فيسبب الرعب الذى يحصل لها تنمل بطونها فتزول ، فإن الفزع يقتضى الإسهال ، فتعجبوا من ذلك ، وهذا المعنى كثيراً ما كنت أذكره للناس .

وطالبى العلم أن أحدهم قاله ثم وجدته قد ذكره بعض العلماء .

والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يعظم قبر من يكون فى الباطن كافراً ومنافقاً، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد؛ لاعتقاده أن الميت يقضى حاجته إذا كان رجلاً صالحاً ، وكل من هذين عنده من جنس ما يستغيث به، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب ، بل يقال إنه قبر كافر كالمشهد الذى بسفح جبل لبنان الذى يقال له : قبر نوح ، فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالقة ، وكذلك مشهد الحسين الذى بالقاهرة ، وقبر بن كعب الذى فى دمشق ، اتفق العلماء على أنه كذب ، ومنهم من قال : هما قبران لنصرانيين.

وكثير من المشاهد متنازع فيها ، وعندها شياطين تضل بسببها من تضل ، ومنهم من يرى فى المنام مشخصاً يظن أنه المعبود ، ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته أو بغير صورته كالشياطين التى تكون بالأصنام ، وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين ، وهذا كثير فى زماننا وغيره مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التى بالبرانى بأديرة مصر بإخميم وغيرها ، يرصدون التماثيل مدة لا تظهر ، وتظهر للمسلمين ، ولا يصلون صلاة المسلمين ، ولا يقرأون حتى يتعلق الشيطان لتلك الصورة فرآها تتحرك فيطمع فيها سمعه وغيرها ، فيرى الشيطان قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضى بعض حوائجه ، وقد يمكنه من فعل الفاحشة به حتى يقضى بعض حوائجه ، ومثل هؤلاء كثير فى شيوخ الترك الكفار ، يسمونه لبوى ، وهو المخنث إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه ، وينصبوا له حركات عالية فى ليلة ظلماء ، ويقربون له خبزاً وميتة ، وغنوا غنائنا شبه بشرط ألا يكون عندهم من يذكر الله ولا هناك شىء فيه شىء من ذكر الله ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به فى الهواء ، ويرون الدف يطير فى الهواء ويضرب من مد يده إلى الخبز ، ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون ويغنى لهم الأغانى التى كانت تغنيها آباؤهم الكفار ثم يغيب ، وكذلك الطعام فيرونه وقد نقل إلى بيت البوى ، وقد لا يغيب ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار ، ويقضى بعض حوائجهم ، ومثل هذا كثر جداً للمشركين ، فالذى يجرى عند المشاهد من جنس ما يجرى عند الأصنام.

وقد ثبت بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم أو قبر وغير ذلك قد تكون عنده شياطين تضل من أشرك به ، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم ، وإنما يقضونها إذا حصل منهم من الشرك والمعاصى ما يحبه الشيطان .

فمنهم من يأمر الداعى أن يسجد له ، ومن يأمره بالفواحش ، وقد يفعلها الشيطان ، وقد ينهاه عما أمره الله به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك ، والشياطين تقوى على الإنسان بحسب ما تطمع منه ، فإن كان ضعيف الإيمان أمرته بالكفر البين ، وإلا أمرته بما هو فسق أو معصية ، إن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة .

وقد وقع فى هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة ، ولكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذى بعث الله به رسوله طمع فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة .

وقد جرى لغير واحد من أصحابنا الشيوخ أو المشايخ يستغيث بأحدهم ببعض أصحابه ؛ فيرى الشيخ قد جاء فى تعظيمه حتى قضى ذلك المطلوب ، وإنما هى شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله ، والجن تجيب الإنس الكافر ، للكافر ، والفاجر للفاجر ، والجاهل للجاهل ، وأما أهل العلم والإيمان فاتباع الجن لهم كاتباع الإنس يتبعونهم فيما أمر الله تعالى به رسوله .

وقد حدثني بعض الثقات عن هذا الشخص : يعني ابن البكرى الذى جوز فى كتابه الاستعانة بالرسول فى كل ما يستغاث بالله إلا أنه كان يقول : إن النبى ﷺ علم مفاتيح الغيب التى قال فيها النبى ﷺ : « خمس لا يعلمها إلا الله : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ (١) ، وأظنه ذكر عنه أنه قال : علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله ، واحد من جنسه يباشر التدريس وينسب إلى الفتيا .

كان يقول : إن النبى ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويعذر ما يعذر عليه ، وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسين ثم فى ذرية الحسين إلى الشيخ أبى الحسن الشاذلى، وقالوا: هذا مقام القطب الغوث الفرد الجماعة ، وكان شيخ أحد معظم عند أتباعه يدعى عن هذه المنزلة: ويقول : إنه المهدى الذى بشر به النبى ﷺ ، وأنه يزوج عيسى بابنته ، وأن نواصى الملوك والأولياء بيده ، يولى من يشاء ، ويعزل من يشاء ، وأن الرب يناجيه دائماً ، وأنه الذى يمد حملة العرش وحيتان البحر ، وقد عزرته تعزير بليغاً فى يوم مشهود ، وبحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة فعرفه الناس ، وأنكر بسببه انتباهه من الدجالة، ومن هؤلاء من يقول : قول الله سبحانه: ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (٢) .

(١) ٣٤ ك لقمان ، ٣١ ، .

(٢) ١٠٥ ك الإسراء ، ١٧ ، .

أن الرسول : هو الذى يسبح بكرة وأصيلاً .

ومنهم من يقول نحن نعبد الله ورسوله ؛ فيجعلون الرسول معبوداً ، ومنهم من يأتى قبر الميت الرجل أو المودة التى يحسن الناس نفسه ، فيقول : اغفر لى وارحمنى ، ولا توقعنى فى زلة ونحو هذا الكلام إلى أمثال هذه الأمور التى يتخذ فيها المخلوق إلها ، ولما استقر هذا فى نفوس الناس عامتهم تجد أحوالهم إذ يسأل عمن ينهاهم ما يقول هذا يولوا فلانا عنده مأثما إلا الله لما استقر فى نفوسهم ، انهم يجعلون مع الله إلها آخر ، وهذا كله وأمثاله وقع وتحقق بمصر ، وآخر يقول معظماً لمن يدعو إلى التوحيد : قد جعل الآلهة إلهاً واحداً ، وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله ، ويعظمون دعاء غير الله ، من الأموات وإذا أمروا بالتوحيد ، ونهوا عن الشرك استحقوا به كما أخبر تعالى عن المشركين بقوله تعالى : ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ﴾ (١) الآية فاستهزأوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك ، وقال تعالى عن المشركين :

﴿ إنهم إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون ويقولون إنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ (٢) ، قال تعالى : ﴿ بل جاء بالحق وصدّق المرسلين ﴾ (٣) .

---

(١) ٤١ ك الفرقان ، ٢٥ ، .

(٢) ٣٦ ك الصافات ، ٣٧ ، .

(٣) ٣٧ ك الصافات ، ٣٧ ، .

وقال تعالى : ﴿ أو عجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا شيء عجاب ﴾ (١) وذكر رحمه الله آيات كثيرة ومازال المشركون يسفهون أنبياءهم يصفونهم بالجنون ، والضلال أو السفاهة كما قال قوم نوح لنوح ، وعاد لهود عليهما السلام .

﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ﴾ (٢) فأعظم ما سفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد .

وهكذا تجد من عليه شبهة من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ، وأن لا يعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه استهزأ بذلك لما عنده من الشرك .

وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ، فتجد المسجد الذى بنى للصلوات الخمس مصطلاً محرقاً ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات ، والمشهد الذى بنى على الميت فعليه الستور والزينة الذهبية والفضية والرخام والنذور ، وتغدو وتروح إليه .

فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك ؟ فإن اعتقدوا أن دعاء الميت الذى بنى له المشهد والاستعانة أنفع لهم من دعاء الله

---

(١) ٤ ك ص ، ٣٨ ، .

(٢) ٧٠ ك الأعراف ، ٧ ، .

والاستعانة به فى البيت الذى بنى لله عز وجل ففصلوا البيت الذى بنى لذى المخلوق .

وإذا كان لهذا وقف فهو وقف الشرك أعظم عندهم من مضاهاة لمشركى العرب الذين ذكر الله حالهم فى قوله تعالى :

﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ (١) .

كما يجعلون لله زرعاً وماشية ولآلهتهم زرعاً وماشية فإذا أصيب نصيب آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه – فيه وقالوا : الله غنى وآلهتنا فقيرة فيفضلون أن ما يجعل لغير الله على ما يجعل لله ، وهكذا هؤلاء أوقفوا النذور التى تبذل عندهم للمشاهد أعظم مما تبذل عندهم للمساجد ولعمار المساجد والجهاد فى سبيل الله .

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذى يعظمه بكا عنده وخضع ، ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل له مثله فى الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن . فهل هذا إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين للكتاب ولسنة رسول الله .

---

(١) ١٣٦ ك الأنعام ، ٦ .

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله فيشخع عند سماع المبتدعين المشركين ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين .

بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوا بها وكرهوها واستهزءوا بها وبمن يقرأها مما يحصل له به أعظم نصيب قوله : ﴿ قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴾ (١) .

وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسنة لاغية كأنهم صم ، وعمى وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم وسكنت حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم ماءً .

ومن هؤلاء من إذا كانوا فى سماعهم فأذن المؤذن قالوا : نحن فى شيء أفضل مما دعانا إليه .

ومنهم يقول كان فى الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا فى الباب ، وقد سألنى بعضهم عمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال ؟

فقلت : كَذِبٌ كان فى حضرة الشيطان فصار على باب الله ، فإن البدعة والضلالة فيها من حضور الشيطان ما قد فصل فى غير هذا الموضع.

---

(١) ٦٥ م التوبة ، ٩ ، .

والذين يجعلون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء الله أنواع متعددة .

منهم من تقدم ومنهم من يحكى أنواعاً من الحكايات .

حكاية أن بعض المريدين استغاث بالله ، فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه !! .

وحكاية أن بعض المريدين فى بلاد الهند حبس فدعا الله فلم يخرجه فدعا بعض المشايخ الموتى نماه فأجره إلى بلاد الإسلام .

وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده : إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبرى ، وآخر قال : فتوسل إلى الله بى ، وآخر قال : قبر فلان هو الترياق المجرب .

فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين ، وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذى يدعوه فيظنه إياه أو ملك على صورته وإنما هو شيطان أغواه .

ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لا يدعوا إلا شيخه ، ولا يذكر إلا اسمه، وقد يلهج به كما يلهج الصبى بذكر أمه فيتعثر أحدهم فيقول : يا فلان.

وقد قال تعالى للموحدين : ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم

آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ (١) .

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب ، ويحلف بشيخه وإمامه ويصدق !! وكلما يكذب فيكون شيخه عنده في صورة أعظم من الله ، فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأى الفريقين أحق بالاستهزاء ؟ .

أبالله وآياته ورسوله من كان يأمر بدعاء الموتى والاستعانة بهم مع ما يترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أمرت رسله ، ويوجب طاعته الرسول ومتابعته فى كل ما جاء به .

وأيضا فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس إيجاباً بالدعاء لجانب الرسول تصديقاً له فيما أخبر ، وطاعة له فيما أمر ، واعتناءً بمعرفة ما بعث به، والتمييز بين ما روى عنه من الصحيح والضعيف والصدق ، والكذب ، واتباع ذلك دون ما خالفه عملاً بقوله تعالى :

﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياءً قليلاً ما تذكرون ﴾ (٢) .

---

(١) ٢٠٠ م البقرة ، ٢ ، .

(٢) ٣ ك الأعراف ، ٧ ، .

وأما أولئك الضلال أشباه المشركين النصارى فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعة أو منقولات عمن لا يحتج بقوله ، إما أن يكون كذب عليه، وإما أن يكون غلطاً منه إذ هى نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، وإن اعتصموا شيئاً مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلام عن مواضعه ، وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما يفعل النصارى ، وكما فعل هذا الضال : أخذ لفظ الاستعانة وهى تنقسم إلى الاستغاثة بالحى وبالميت ، والاستغاثة بالحى تكون فيما يقدر عليه ، وما لا يقدر عليه ؛ فجعل حكم ذلك كله واحد .

ولم يكتف حتى جعل التوسل بالشخص من مسمى الاستغاثة أيضاً ولم يكفه ذلك حتى جعل الطلب منه إنما لغلب من الله لا منه ، فالمستغث به مستغيث بالله ، ثم جعل الاستغاثة بالله بكل ميت من نبى وصالح جائزة ، واحتج على هذه الدعوى العامة الكلية التى أدخل فيها من الشرك والضلال مالا يعلمه إلا ذوى الجلال بقضية خاصة جزئية كسؤال الناس للنبى ﷺ فى الدنيا والآخرة أن يدعو الله لهم وتوجههم إلى الله بدعائه وشفاعته .

ومعلوم أن هذا الذى جاءت به السنة حق لا ريب فيه لكن لا يلزم من ذلك ثبوت جميع تلك الدعاوى العامة وإبطال نقيضها .

إذ الدعوى الكلية لا تثبت بمثال جدى لا سيما عند الاختلاف والتباين .
وهذا ممن يريد أن يثبت حال جميع أنواع الملاهى لكل واحد والتقرب بها إلى الله يكون جاريتين عنتا عند عائشة رضى الله عنها فى بيت النبى ﷺ يوم عيد مع كون وجهه كان مصروفاً إلى الحائط لا إليهما .

أو يحتج على استماع كل قول بقوله : ﴿ فبشر عبادى الذى يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ (١) ، ولا يدرى أن هذا القول هنا هو القرآن كما فى قوله تعالى : ﴿ أفلم يتدبروا القول ﴾ (٢) .

والإسلام لا يسوغ استماع كل قول ، وقد نهى الله عز وجل عن الجلوس مع الخائضين فى آياته ، وخوضهم نوع من القول ، فقال تعالى : ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا ﴾ (٣) الآية ، وقال : ﴿ وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فإن تقعدوا معهم ﴾ (٤) الآية ، وقال : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ (٦) الآية .

وهذا الضال يجوز عنده أن يستغاث بالرسول فى كل ما يستغاث به الله على أنه وسيلة من وسائل الله فى طلب الغوث ، وهذا غير ثابت للصالحين وهو ثابت عند هذا الضال بعد موته ثبت هاله من حياته لأنه عند الله فى مزيد دائم لا نقص جاهه ؛ فدخل عليه الخطأ من وجوه :

---

(١) ١٨ ك الزمر ، ٣٩ ، .
(٢) ٦٨ ك المؤمنون ، ٢٣ ، .
(٣) ٦٨ ك الأنعام .
(٤) ١٤٠ م النساء ، ٤ ، .
(٥) ٧٢ ك الفرقان ، ٢٥ ، .
(٦) ٥٥ م القصص ، ٢٨ ، .

الأول :

المتوسل منها أنه جعل المتوسل به بعد موته فى الذى مستغيث به وهذا لا يعرف فى لغة أحد من الأمصار لا حقيقة ولا مجازاً مع دعواه على الإجماع على ذلك فإن المستغاث به هو المسئول المطلوب منه لا المسئول به .

الثانى :

ظنه أن توسل الصحابة به فى حياة كان توسلاً بذاته لا بدعائه وشفاعته فيكون التوسل به بعد موته كذلك وهذا غلطاً لكنه يوافق طائفة من الناس بخلاف الأول ، فإنى ما علمت أحداً وافقه عليه .

الثالث :

أنه أدرج سؤالاً أيضا فى الاستغاثة به وهذا صحيح جائز فى حياته وهو قد سوى فى ذلك بين محياه ومماته ، وهنا أصاب فى لفظ الاستغاثة لكن أخطأ فى التسوية بين المحيا والممات وهذا بنقل عن أحد العلماء ، لكنه موجود فى كلام بعض الناس مثلا الشيخ يحيى الصرصرى [1] ففى شعره قطعة منه، والشيخ محمد ابن النعمان [2] له كتاب « المستغيث بالنبى ﷺ فى اليقظة والمنام» .

---

(١) له ترجمة فى الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٦٤ .

(٢) له ذكر فى موسوعة رجال الحنابلة لابن ضويان .

وهذا الرجل قد نقل منه فما يغلب على ظنى وهؤلاء لهم صلاح ودين ولكنهم ليسوا من أهل العلم العاملين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم فى شرائع الاسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرض بل عادة جدوا عليها كما أجرت عادة كثير من الناس بأنه يستغاث بشيخه فى الشدائد ويدعوه ، وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم فضل وعلم وزهد اذا نزل به أمر خطا إلى جبهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به وهذا يفعله كثير من الناس ، ولهذا لما نبه من نبه من فضل أيهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عله ليس من دين الاسلام ، بل هو مشابهة لعباد الأصنام لكن هؤلاء كلهم ما فيهم من يعُدّ نفى هذا والنهى عنه كفراً لمثل هذا إلا حق الضال الذى حق به ويل النكال فإنه من غلاة أهل البدع الذين يبتدعون القول ويكفرون من خالفهم فيه كالخوارج والروافض والجهمة ، فإن هذا القول الذى قالوه لم يوافقهم عليه أحد من علماء المسلمين الأولين ولا الآخرين ، وقد طاف بجوابه على علماء مصر ليوافقه واحد منهم وافقوه ، وطلب منهم أن يخالفوا الجواب الذى كتبته فما خالفوه .

وقد كان بعض الناس ليوافقه على جواز التوسل بالنبى الميت لكنهم لم يوافقوه على تسميته استغاثة ولا على كفر من أنكر الاستغاثة به ولا جعل هذا من السبت بل عامتهم وافقوا على منع الاستغاثة به بمعنى أنه يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله.

وما علمت بما لما نازع فى أن الاستغاثة بالنبى ﷺ وغيره من

المخلوقين بهذا المعنى لا تجوز مع أن قوماً كان لهم غرض وفيهم جهل شرع بالشرع قاموا فى ذلك قيام عظيم واستغاثوا بمن كان به غرض من ذوى السلطان وجمعوا الناس وعقدوا مجلساً عظيماً ضل فيه سعيهم وظهر فيه جهلهم وخاب فيه قصدهم وظهر فيه الحق لمن يعاونهم من الأعيان ، وتمنوا إنما فعلوه ما كان لأنه سبب بظهور الحق مع الذى عادوه وقاموا عليه لا نقلاب بالخلق عليه وكانوا كل حامل حتفه بكلفه والجادع مارن أنفه بكفر مع فرط عصبهم وكثرة جمعهم وقوة سلطانهم ومكايدة شيطانهم وهذه الطريقة التى سلكها هذا وأمثاله هى طريقة أهل البدع الذين يجمعون بين الجهل والظلم ؛ فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، ويكفرون من خالفهم فى بدعتهم كالخوارج المارقين ، وكذلك الروافض الذين كفروا من خالفهم من الصحابة وجمهور المؤمنين حتى كفروا أبا بكر وعمر وعثمان ومن والاهم وأئمة السنة والجماعة وأهل العلم والإيمان فيهم والعدول والرحمة فيعلمون الحق الذى يكونون به موافقين السنة سالمين من البدعة ويعدلون على من خرج عنها ولو ظلمهم ، كما قال تعالى :

﴿ كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم ﴾ [1] الآية .

وقال : ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [2] الآية .

---

(١) النساء آية رقم « ١٣٥ » .

(٢) المائدة آية رقم « ٥ » .

فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن هذا المخالف يكفرهم ! لأن الكفر حكم شرعى فليس للإنسان أن يعاقب بمثله كمن كذب عليك وزنا بأهلك ليس لك أن تكذب عليه وتزنى بأهله ؛ لأن الكذب والزنا حرام لحق الله ، وكذلك التكفير حق الله فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله ، وأيضا فإن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية لمن يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل من الدين شيئاً يكفر ، ولهذا ما تستحل طائفة من الصحابة والتابعين كقدامه بن مظعون وأصحابه الحمر ، وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة .

اتفق علماء الصحابة كعمر وعلى وغيرهما على أنهم يستتابون فإن أصروا على الاستحلال كفروا ، وإن أقّروا به جلدوا ، فلم يكفروهم بالاستحلال إبتداءً لأجل الشبهة التى ألصقت بهم [١] ، حتى يتبين لهم الحق ، فإن أصروا على الجحود كفروا .

وقد ثبت فى الصحيحين حديث الذى قال لأهله : « إذا مت فاسحقونى ثم ذورونى فى اليم فوالله لأن قدر الله عليا ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين ؛ فأمر الله البر فرد ما أخذ منه ، وأمر البحر فرد ما أخذ منه ، وقال : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : خشيتك يارب ؛ فغفر له » [٢] .

---

(١) هذه اللفظه من عندنا نظراً لعدم وضوح لفظة المخطوط .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

فهذا اعتقد ألا يقدر الله على إعادته وأن لا يعيده أو جوز ذلك وكلاهما كفر ، لكن كان جاهلاً لم يتبين له الحق بياناً يكفر بمخالفته فغفر الله له .

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين يقولون : يكون الله تعالى فوق العرش أنا لو وافقتكم كنت كافراً ؛ لأنى أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندى لا تكفرون ، لأنكم جهال ، وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتهم ، وشيوخهم وأمرائهم ، وهو قد احتج بحديث الأعمى الذى قال :

« اللهم إنى أسالك وأتوجه إليك بنبينا محمد نبى الرحمة [1] ، وهذا الذى وقف عليه من الروايات ينكره قول ذكره البخارى رواياته عن بعضهم يزول بها الإشكال ويرتفع الاحتمال فنصها ، وفى لفظ عند بعضهم « أن رجلاً ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال : ادعوا الله أن يعافينى .

قال : إن شئت أخرت ذلك فهو خير لك ، وإن شئت دعوت الله .

قال : فادع

قال : فأمره أن يتوضأ ، [2] إلى آخره

وهذا الحديث لا حجة فيه لوجهين .

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) ورد فى سنن ابن ماجه .

أحدهما : أنه ليس استغاثة بل يتوجه به .

والثانى : أنه إنما توجه بدعائه وشفاعته ، فإنه طلب من النبى ﷺ الدعاء ، وقال فى آخره : اللهم شفعه فيّ فعلم أنه شفيع له ؛ فتوسل بشفاعته لا بذاته كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه فى الاستسقاء ، وكما توسلوا بدعاء العباس بعد مماته .

وكذلك فى أول الحديث علم أن النبى ﷺ شفع له ودعاله لأن النبى ﷺ أمره هو أن يدعو الله ، وأن يسأله قبول شفاعة النبى ﷺ .

وقول : يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى خطاب الحاضر فى قلبه كما نقول فى صلاتنا : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، وكما يستحضر الإنسان من يحبه أو يبغضه فى قلبه ويخاطبه ، وهذا كثير .

وما ذكره من توسل آدم وحكاية المنصور نجوا بها من وجهين .

أحدهما : أن هذا لا أصل الله ، ولا تقوم به حجة ولا اسناد لذلك .

والثانى : أنه لو دل لدل على التوسل بذاته لا على الاستغاثة به وما اشتكا البعير إليه فهذا كا اشتكاء الأمى إليه ومازال الناس يستغيثون به فى حياته كما يستغيثون به يوم القيامة ، وقد قلنا : إنه إذا طلب منه ما يليق بمنصبه فهذا لا نزاع فيه ، والطلب منه فى حياته والاستغاثة به فى حياته مما

يقدر عليه لم ينازع فيه أحد مما ذكره .

فلا يدل على مورد النزاع ، ولكن هذا أخذ لفظ الاستغاثة ومعناها العام ؛ فجعل يتشبث به ، وهذا إنما يليق بمن قال : لا يستغيث به أحد حياً ولا ميتاً في شيء من الاثنين .

ومعلوم أن عاقلاً لا يقول هذا في أحاد العامة فضلاً عن الصالحين فضلاً عن النبي والمرسلين فضلاً عن سيد الأولين والآخرين ، فإنه ما من أحد إلا ويمكن أن يستغيث به في بعض الأشياء ، فكيف أفضل الخلق وأكرمهم على الله .

ولكن النفي عاد إلى الشيئين . إلى الاستغاثة بعد الموت ، وإلى أن يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى .

وأما قول هؤلاء الجهل فهو يستلزم إرادته عن الدين والكفر برب العالمين، ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو من باب الشرك بالله الذي هو المكفر الذي لا يغفره الله فإن الله سبحانه قال في كتابه

﴿ ولا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ﴾ (١) .

وقد قال غير واحد من السلف : هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم

---

(١) سورة نوح آية رقم ، ٢٣ ، .

نوح ، فلما ماتوا ؛ عكفوا على قبورهم ؛ ثم صوروا تماثيلهم ؛ ثم عبدوهم ، وقد ذكروا تلك العبارات متقاربة فى كتب الحديث والتفسير وقصص الأنبياء كما ذكره البخارى فى صحيحه وجماعة من أهل الحديث ، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يقول :

﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ (١) فيقول أهل الضلال : هذا يقول هو لنفسه ، وأما نحن فليس لنا أن نقول : هو بشرك ، نقول كما قال فلان وفلان من : زعم أن محمداً بشراً كله ؛ فقد كفر ، وهذا يقوله قوم منهم ، وهو شبيه بقول النصارى فى المسيح: يقولون : ليس هو بشرا كله بل المسيح عندهم اسم يتناول اللاهوت والناسوت الإلهية والبشرية جميعاً .

وهذا يقوله طائفة من الحلولية والشيعة يقولون : باتحاد اللاهوت والناسوت فى الأنبياء والصالحين تقول النصارى فى المسيح .

ونحن نعلم بالضرورة أن النبى ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعو أحداً من الأموات لا أنبياء ولا صالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك .

بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين

---

(١) سورة الكهف آية رقم « ١١٠ » .

بينهم لم يكفرهم لذلك يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه .

ولهذا بينت هذه المسألة فقط لمن يعرف دين الإسلام الاتفطن بها وقال أصل دين الإسلام ، وكان أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول : هذه أعظم ما بينته لنا بعلمه بأن هذا أصل الدين وكان هذا وأمثاله فى حاحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ، ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم ، وربما كانوا يفعلونه بالأموات أعظم لأنهم إنما يقصرون الميت فى ضرورة نزلت بهم؛ فيدعون ذا المضطر حين قضا حاجاتهم بدعائه والدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم لله ، ودعائهم إياه فإنهم يفعلونه فى كثير من الأوقات على وجه العادة والتكليف حتى أن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالأموات عند القبور التى يرجون عندها كشف ضرهم .

وقال بعض الشعراء

يا خائنين من التتار لوذوا بقبر أبى عمرو

أو قال :

عوذوا بقبر أبى عمروٍ ينجيكم من الضرر .

فقلت لهم : هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم فى القتال ؛ لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد ، فإنه قضى أن العسكر

ينكسر لأسباب اقتضت ذلك ، ولحكمة كانت لله عز وجل في ذلك .

ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والكاشفة لم يقاتلوا فى تلك المدة . فقدم القتال الشرعى الذى أمر الله به ورسوله ، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به وإنهم لا يستغيثون إلا إياه ، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبى مرسل ، فلما أصلح الناس أمورهم ، وصدقوا فى الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً عزيزاً لم يتقدم نظيره ، ولم يهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك .

فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا فى الحياة الدنيا يوم يقوم الأشهاد كما قال تعالى فى يوم بدر :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾ (١) .

وروى أن النبى ﷺ كان يوم بدر يقول : « يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث – وفى لفظ – أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا أحد من خلقك » (٢) وهؤلاء يدعون الميت والغائب ، فيقول أحدهم : بك أستغيث أغثنا أجرنا ، ويقول : أنت تعلم ذنوبى ، ومنهم من يقول للميت : اغفر لى وارحمنى وتب عليّ ونحو ذلك !!

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٩ ، .

(٢) ورد فى سنن الترمذى والنسائى .

ومن لم يقل من غفلائهم فإنه يقول : أشكو إليك ذنوبى ، وأشكو إليك عدوى ، وأشكو إليك جور الولاة وظهور البدع أو حب الزمان أو غير ذلك !!

فيشكو إليه ما حصل من ضرٍ فى الدين والدنيا ، ومقصود بالشكوى أن يشكيه فيزيل ذلك الضرر ، وقد يقول مع ذلك للميت أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر ، وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب ؛ حتى يمتنع أن يعلمها بشر حى أو ميت .

ثم منهم من يطلق سؤاله والشكوى إليه ظناً أنه يقضى حاجته كما يخاطب بذلك ربه بناءً على أنه يمكنه ذلك بطريق من الطرق وأنه وسيلة وسبب .

وإن كان السائل لا يعلم وجه ذلك ، وعقلاؤهم يقولون : مقصودنا أن نسأل الله لنا ويشفع لنا ويظنون بهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم ، فإنه يسأل ويشفع ، وكما يشفع يوم القيامة كما كان يسأل ويشفع لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره .

وكما يشفع يوم القيامة إذا سأل الشفاعة ، ولا يعلمون أن سؤال الميت والغائب غير مشروع ألبتة ، ولم يفعله أحد من الصحابة بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه إلى سؤال غيره وطلب الذى منه ، وأن الرسول وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يطلب منه فى حياته والله أعلم انتهى تلخيص والله أعلم .

فتأمل رحمك الله كلامه ساعة بعد ساعة ويوم بعد يوم وشهر بعد شهر وسنة بعد سنة لعلك تعرف دين الإسلام الذى بعث الله به جميع رسله ، وأنزل به جميع كتبه كما قال تعالى :

﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٢) .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ (٣).

ثم تأمل ما ذكره الشيخ رحمه الله من أنواع الشرك الأكبر الذى وقع فى زمانه ممن يدعى العلم والمعرفة وينبرى للفتيا والقضاء .

لكن لما نبههم الشيخ رحمه الله على ذلك ، وبين لهم أن هذا من عليه شرك وضلال وانقادوا للحق ، وأن بعضهم لم يبين له ذلك .

قال هذه أحسن ما بينت لنا يبين لك غربة الإسلام ، وأن هـذا مصداق

---

(١) سورة النمل آية رقم « ٣٦ » .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم « ٢٥ » .

(٣) سورة الزخرف آية رقم « ٤٥ » .

ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذ القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله اليهود والنصارى ؟

قال فمن ؟ » (١)

فتأمل أيضا ما وقع من هذا الرجل وتجويزه الاستعانة بغير الله ، وأنه يجوز الاستعانة بالنبى ﷺ فى كل ما يستغاث ، واحتجاجه على ذلك بمتشابه القرآن والسنة وتكفيره من قال : إنه لا يستغاث إلا بالله فى الأمور التى لا يقدر عليها إلا الله من كشف الشدائد وإنزال الفوائد .

ثم تأمل رد الشيخ رحمه الله بالآيات المحكمات والبراهين القاطعات من الأحاديث الصريحة يتبين لك الأمر إن هداك الله وتنزاح عنك الشبهة التى أدخلت كثيراً من الناس النار ، وهى الاعتذار بما عليه الآباء والأجداد وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد .

ومن أعجب ما ذكره الشيخ رحمه الله عن هؤلاء المشركين فى زمانه : أن أحدهم يسجد للقبر ويستدبر القبلة ، ويقول أحدهم : القبلة قبلة العامة ، وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة .

قال رحمه الله : وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً وهو شيخ متبوع .

---

(١) ورد فى سنن ابن ماجة والترمذى وصحيح ابن حبان .

قلت كما يشاهد اليوم فى زماننا يفعل فى مشهد عليّ وغيره من المشاهد والمساجد المبنية على القبور ، ويجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والبكاء أعظم مما يجدون فى بيوت الله !!!

بل إذا قام أحدهم بين يدى الله فى الصلاة نقرها نقر الغراب ومنهم من يحلف بالله اليمين الغموس كاذباً ، فإذا قيل له احلف بتابوت فلان أو بتربة فلان أو بفلان أبى أن يحلف به كاذباً ؛ فيكون فلان وتربته أو تابوته أو الشيخ فلان فى صدره أعظم من الله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ما أعظمها (١) تا الله .

إنها فتنة عمت فأعمت وربت على القلوب والأسماع فأصمت .

وتأمل أيضا رحمك الله قول الشيخ رحمه الله : وهذا ما علمته لينقل عن أحد من العلماء ، لكنه موجود فى كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصرى ، والشيخ محمد بن النعمان ، وأن هؤلاء وأشباههم ليسوا من أهل العلم العالمين لمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم فى شرائع الإسلام ، ومعرفة الحلال والحرام ، فإن الشيخ يحيى الصرصرى الخبلى فى شعره قطعه من دعوة الرسول والاستغاثة ، وكذلك غيره من المصنفين فى الزيارة فإياك أن تغتر بذلك أو تقلدهم فى ذلك فانهم ليس لهم فى ذلك مسند صحيح لا من كتاب الله ولا من نقل عن عالم مرضٍ ، بل قال الشيخ رحمه الله : عادة

---

(١) كلمة غير واضحة فى المخطوط ولعلها مصيبة .

جروا عليها فلا يقتدى بهم فى ذلك وإنما يقتدى فى الدين بكلام رب العالمين وكلام رسوله ﷺ ، وأصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، فهل نجد أحداً من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أتى رسول الله بعد موته واستعان به واستشفع به إلى ربه ، وقال : يا رسول الله اشفع لى إلى ربك واقضى دينى أو فرج كربى أو انصرنى أو اغفر لى ذنبى ، بل جردوا التوحيد لله تعالى وحموا جانبه.

ولهذا كان عبد الله بن عمر رضى الله عنه وغيره من الصحابة رضى الله عنهم إذا سلموا على النبى ﷺ يقف فيقول : السلام عليك يا رسول ، ثم يقول : السلام عليك يا أبا بكر ، ثم يقول : السلام عليك يا أبى .

وإذا أراد أحدهم الذى جعل ظهره إلى جدار القبر واستقبل القبلة ثم دعا ، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة رضى الله عنهم ، أنه يستقبل القبلة إذا أراد أن يدعو حتى لا يدعو عند القبر .

وذكر الإمام أحمد وغيره : أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره ، وذلك بعد التحية والصلاة والسلام عليه ، ثم يدعو لنفسه ، وذكروا أنه إذا حياه وصلى عليه يستقبل وجهه يالجه – هو ﷺ ، فإذا أراد الذى جعل الحجرة عن يساره ، واستقبل القبلة ، ودعا الله تعالى .

وذكر أصحاب مالك : أنه يدنو من القبر فيسلم على النبى ﷺ ثم يدعو مستقبلاً القبلة يوليه ظهره ، وقيل لا يوليه ظهره وإنما اختلفوا لما فيه من

استدباره ، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف .

وقال مالك في المبسوط : لا أرى أن يقف عند قبر النبى ﷺ ، ولكن يصلى أو يسلم فهدى هو هدى السلف الصالح رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان والأئمة الأربعة رضى الله عنم .

وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح أولها ، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك فيما أحدثوه من البدع والشرك وغيره ، ولهذا كرهت الأئمة استلام القبر وتقبيله ، وبنوا بناءً منعوا الناس أن يصلوا إليه والله أعلم .

وتأمل قول الشيخ فى آخر الكلام :

ولا ريب أن أصل قول هؤلاء هو الشرك الأكبر والكفر الذى لا يغفره الله، وأن ذلك يستلزم الردة عن الدين والكفر برب العالمين .

كيف صرح بكفر من فعل هذا وردته عن الدين إذا قامت عليه الحجة من الكتاب والسنة ثم أصر على فعل ذلك ، وهذا لا ينازع فيه من عرف دين الإسلام الذى بعث به رسوله محمد ﷺ . والله أعلم .

فصل

باب حكم المرتد

وقال فـي الإقناع وشرحـه باب حكم المرتد ، وهو الذى يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً ولو مميزاً ، فتصح ردته كإسلامه لا مكره لقوله تعالى :

﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ (١)

ولهؤلاء لعموم قوله تعالى : ﴿ من يرتدد منكم عن دينه ﴾ (٢) ، الآية .

وأجمعوا على وجوب قتل المرتد ، فمن أشرك بالله تعالى كفر بعد إسلامه لقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٣) .

أو جحد ربوبيته أو وحدانيته كفر ؛ لأن جاحد ذلك مشرك بالله تعالى أو

---

(١) ١٠٦ ك النحل ١٦ .

(٢) ٢١٧ م البقرة ٢ .

(٣) ٤٨ م النســـاء ٤ .

حجد صفة من صفاته ، أو اتخذ له صاحبة أو ولداً كفر أو ادعى النبوة أو صدق من ادعاها بعد النبى ﷺ كفر لأنه مكذب لقوله تعالى :

﴿ ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (١) .

أو حجد نبياً أو كتاباً من كتب الله أو شيئا منه أو حجد الملائكة أو حجد ممن ثبت أنه ملك كفر لتكذيبه القرآن أو حجد البعث كفر أو سَبَّ الله أو رسوله كفر أو استهزأ بالله أو كتبه أو رسله كفر لقوله تعالى :

﴿ قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزءون * ولا تعتذروا وقد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ (٢)

قال الشيخ : أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به اتفاقاً ، أو جعل بينه وبين الله وسائطاً يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً ، لأن ذلك كفعل عابدى الأصنام قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، أو أتى بقول أو فعل صرح فيه الاستهزاء بالدين الذى شرعه الله كفر للآية السابقة .

أو وجد منه امتحان للقرآن كفر ومن أتى بقول يخرجه عن الإسلام مثل أن يقول : هو يهودى أو نصرانى فهو كافر ، أو سخر بوعد الله أو وعيده ؛ فهو

---

(١) ٤٠ م الأحزاب ٣٣ .

(٢) سورة التوبة ٦٥ ، ٦٦ .

فهو كافر لأنه كالاستهزاء بالله ، أو لم يكفر من دان بغير الإسلام أو شك فى كفرهم إلى أن قال : ومن قال أنا محتاج إلى محمد من علم الظاهر دون علم الباطن ، أو قال : إن من الأولين من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخروج عن شرعته فهو كافر ، ومن سب الصحابة أو واحداً منهم ، واقترن سبه دعوى أن علياً إله أو نبى وأن جبريل غلط ؛ فلا شك فى كفر هذا .

بل لا شك فى كفر من توقف فى تكفيره ، وأما من لعن أو قبح مطلق فهذا محل الخلاف .

باب في السحر

وتوقف أحمد فى تكفيره وقتله ، ويحرم تعليم السحر وتعليمه وفعله ، وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه ، ويعمل شيئاً يورث فى بدن المسحور أو تحله ، أو قلبه من غير مباشرة ، وله حقيقة ، فمنه ما يقتل ، ومنه ما يمرض ، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته ، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه ، ومنه ما يبغض أحدهما إلى الآخر ويحبب بين اثنين ، ويكفر بتعلمه سواء اعتقد تحريمه أو إباحته ، كالذى يركب الجماد من حكنته أو غيرها فيطير به فى الهواء .

وأما الذى يلزم على الجن ويزعم أنه يجمعها فتطيعه فلا يكفر ويعزر تعزيراً بليغاً دون القتل ، وكذا الكاهن والعراف ، والكاهن الذى له رئى من الجن يأتيه بالأخبار ، والعراف الذى يتخرص كالمنجم والضراب بحصى أو شعيراً .

والنظر فى ألواح الأكتاف إذا لم يعتقد إباحاته ، وأنه لا يعلم به عذراً ويكشف عنه وإلا كفر .

وقال فى شرحه عند قوله : أنا محتاج إلى محمد فى حكم الظاهر إلى آخره ، قال وقد عمت البلوى بهذه الفرق ، وأفسدوا كثيراً من عقائد أهل التوحيد .

نسأل الله العفو والعافية . هذا آخر كلامه بحروفه ، فانظر رحمك الله كيف ذكر أن هذه الفرق المحكوم عليها بالردة المبيحة للدم والمال قد عمت بهم البلوى فى زمانه فى مصر والشام والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فقد تأملت هذه الرسالة المشتملة على تضليل وتكفير المسلمين ، وحل دمائهم وأموالهم ، ونقل كلام الأئمة .

وأنه موافق لما ادعاه على ذلك ونقله لحكايات الكذب المفتراة فى ذلك ؛ فهى فى الافتراء والكذب والإفك بمكان عظيم .

قبح الله وجه جامعها وعامله بعمله السيء ، وردها وضح لمن كان من أهل الفضل ؛ فهى كغيرها من رسائله فى ذلك فلا حاجة إلى الإطالة .

ومن طالع الكتاب المسمى بالصواعق والرواعد فى الرد على بن سعود، قضى بالعجب من أمرهم .

وأنهم توسلوا بالدين إلى الدنيا ، وقد أخمد الله فتنتهم ، وشتت شملهم ، وبقيت بقية من سفائهم لأمر أراده الله تعالى .

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه الفقير إلى رحمة ربه العلى

حسن بن عمر الشطى الحنبلى

رسالة فى إثبات الصفات للشيخ
محمـد بـن نـصـر الحازمـى
كما ذكره صديـق حسن خـان

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلي العظيم ، الحـمـد لله رب العـالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ما قوم الله النفع بعلومكم فى آيات الصلاة والأحاديث الواردة فى ذلك من قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (٢) .

وقوله ﷺ : « ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا » (٣) وقوله ﷺ : «قلب

(١) ٥ ك طه ٢٠ .

(٢) ١٠ م الفتح ٤٨ .

(٣) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن ابن ماجه والترمذى

المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » (١) .

إلى غير ذلك مما ظاهره يوهم التشبيه ، فيدون عن اعتقاد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله في ذلك ، وكيف مذهبه ومذهبكم من بعده ؟، هل ترون ما ورد من ذلك على ظاهره مع التنزيه أمر تسألونه ، وبسطوا الكلام على ذلك ، وأجيبوا جواباً شافياً تغنموا أحداً وافيا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الجواب .

الحمد لله رب العالمين ، قولنا في آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك ما قاله الله ورسوله ، وما قاله سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ، وغيرهم من علماء المسلمين .

فنَصِفُ الله تعالى بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، بل نؤمن بالله سبحانه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٢) .

فلا ننفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا نحرف الكلام عن مواضعه ، ولا نلحد في أسمائه وآياته ، ولا نكيف ولا نمثل صفاته بصفات خلقه ، لأنه

---

(٤) ورد في صحيح البخاري وسنن النسائي والبيهقي .

(١) ١١ ك الشورى ٤٢ .

سبحانه لا سمى له ولا كفؤ له ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيرا ، فسبحانه ليس كمثله شيء ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى فعله ، بل يوصف بما هو وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تكييف ولا تمثيل ، خلافاً للمشبهة ، ومن غير تعطيل ولا تحريف خلافاً للمعطلة .

فمذهبنا مذهب السلف : إثبات بلا تشبيه ، وتنزيه بلا تعطيل .

وهو مذهب أئمة الإسلام كمالك والشافعى والأوزاعى وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم ، كالفضيل بن عياض ، والدارانى ، وسهل بن عبد الله القسرى وغيرهم فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة نزاع فى أصول الدين ، وكذلك أبى حنيفة رضى الله عنه ، فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد هؤلاء ، وهو الذى تصف به الكتاب والسنة .

قال الإمام أحمد : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ﷺ ، لا يجاوز القرآن والحديث ، وهكذا مذهب سائرهم كما سننقل عباراتهم بألفاظها إن شاء الله تعالى .

ومذهب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه هو ما ذهب إليه هؤلاء الأئمة المذكرون ، فإنه يصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوز القرآن والحديث ويتبع فى ذلك سبيل الماضيين الذين

هم أعلم الأمة بهذا الشأن نفياً وإثباتاً ، وهم أشد تعظيماً لله وتنزيهاً له عما لا يليق بحاله .

فإن المعانى المفهومة من الكتاب والسنة لا ترد بالشبهات فيكون ردها من باب تحريف الكلام عن مواضعه ، ولا يقال : هى ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يعرف المراد منها ، فيكون ذلك مشابهة للذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، بل هى آيات بينات دالة على شرف المعانى وأجلها ، قائمة حقاً فى صدور الذين أوتوا العلم والإيمان إثباتا بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل كما قامت حقائق سائر صفات الله فى قلوبهم كذلك فكان الباب عندهم باباً واحداً ، قد اطمئنت به قلوبهم وسكنت إليه نفوسهم ؛ فآنسوا من صفات كماله ، ونعوت جلاله بما استوحش منه الجاهلون المعطلون ، وسكنت قلوبهم إلى ما نفر منه الجاحدون ، وعلموا أن الصفات حكمها حكم الذات فكانت ذاته سبحانه ؛ لا تشبه الذوات ، وصفاته لا تشبه الصفات ، فما جاءهم عن الصفات عن المعصوم تلقوه بالقبول وقبلوه بالمعرفة والإيمان والإقرار .

لعلهم بأنه صفة من لا شبيه لذاته ولا لصفاته .

قال الإمام أحمد : إنما التشبيه أن يقول : يدٌ كَيدٍ ، أو وجه كوجه .

فأما الإثبات : يد ليست ككل الأيدى ، ووجه ليس ككل وجه .

فهو كإثبات الذات ليست كذوات وحياة ليست كغيرها من الحياة وسمع وبصر ، ليس كالسمع والبصر ، وهو سبحانه موصوف بصفات الكمال ومنزه

عن كل نقص وعيب ، وهو سبحانه فى صفات الكمال لا يماثله شيء فهو حى قيوم سميع بصير عليم خبير رؤوف رحيم ، خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، وكلم موسى تكليما ، وتجلى للجبل فجعله دكاً .

لا يماثله شيء من الأسماء فى شيء من صفاته ، فليس كعلمه علم أحد، ولا كقدرته قدرة أحد ، ولا كرحمته رحمة أحد ، ولا كاستوائه استواء أحد، ولا كسمعه وبصره أحد ولا بصره ، ولا تكليمه تكلم أحد ، ولا كتجليه تجلى أحد بل نعتقد أن الله جل اسمه فى عظمة كبريائه وحسن أسمائه وعلو صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ، ولا يشبه به بينهما فى المعنى الحقيقى إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات ، فكذلك صفاته لا تشبه الصفات ، وليس بين صفاته وصفات خلقه إلا موافقة الأفضل ، والله سبحانه قد أخبر أن فى الجنة لحماً ولبناً وعسلاً وماءً وحريراً . وذهباً ، وقد قال ابن عباس : « ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا الأسماء ، فإذا كانت المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه الموجودات مع اتفاقها فى الأسماء ؛ فالخالق جل وعلا أعظم علواً ومباينته الخلقة للمخلوق ، وإن اتفقت الأسماء .

وأيضاً فإن الله سبحانه قد سمى نفسه حياً عليماً سميعاً بصيراً ملكاً رؤوفاً رحيماً ، وقد سمّى بعض مخلوقاته حياً وبعضها عليماً ، وبعضها سميعاً وبصيراً ، وبعضها رؤوفاً رحيماً ، وليس الحى كالحى ، ولا العليم كالعليم ، ولا السميع كالسميع ، ولا البصير كالبصير ، ولا الرءوف كالرءوف ، ولا الرحيم

بالرحيم ، قال الله سبحانه :

﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ (١)

وقال : ﴿ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وهو العليم الحكيم ﴾ (٣)

وقال : ﴿ وبشروه بغلام عليم ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ إن الله كان سميعاً بصيراً (٥) ، وقال : ﴿ إن خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج فجعلنا سميعاً بصيراً﴾(٦) ، وقال تعالى : ﴿ إن الله بالناس لرءوف رحيم (٧) ، وقال : ﴿ ولقد

---

(١) ٢٥٥ م البقرة ٢ .

(٢) ٩٥ ك الأنعام ٦ .

(٣) ٨٣ ك يوسف ١٢ .

(٤) ٢٨ ك الذرايات ٥١ .

(٥) ٥٨ م النساء ٤ .

(٦) ٢ م الإنسان ٧٦ .

(٧) ١٤٣ م البقرة .

جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريصى عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (١) وليس بين صفة الخالق والمخلوق مشابهة إلا فى اتفاق الاسم ، وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الله سبحانه بائن عن مخلوقاته، وهو على عرشه بائن من خلقه ، والعرش وما سواه فقير إليه ، وهو غنى عن كل شىء لا يحتاج إلى العرش ، ولا إلى غيره ليس كمثله شىء ، ولا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله ، فمن قال : إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ولا يرضى ولا يغضب وليس على العرش ؛ فهو معطل ملعون ، ومن قال علمه كعلمى ، أو قدرته كقدرتى ، أو كلامه مثل كلامى ، واستواءه كاستوائى ، ونزوله كنزولى ؛ فهو ممثل ملعون .

ومن قال هذا فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل باتفاق أئمة الدين فالممثل يعبد صنمه ، والمعطل يعبد عدم ، والكتاب والسنة فيهما الكف والسداد وطريق الرشاد ، فمن اعتصم بهما هدى ، ومن تركهما ضل وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وهذه سنة رسول الله ﷺ ، وهذا كلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة ، قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهر فى أن الله سبحانه وتعالى فوق العرش فوق السماوات مستوٍ على عرشه .

ونحن نذكر من ذلك بعض ما قاله الله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٢) وقال : ﴿ تعالى الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم

---

(١) ١٢٨ ك التوبة .

(٢) ٥ ك طه ٢٠ .

استوى على العرش ﴾ [1]، وقد أخبر تعالى باستوائه على العرش فى سبعة مواضع من كتابه فذكره فى سورة الأعراف والرعد وطه والفرقان وال م تنزيل السجدة والحديد ، وقال تعالى : ﴿ إذا قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ﴾ [2] وقال تعالى: ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ [3]، وقال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [4]، وقال : ﴿ أأمنتم من السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾ [5]، وأخبر عن فرعون أنه قال: ﴿ ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً ﴾ [6]، ففرعون كذب موسى فى قوله: إن الله فى السماء، وقال: ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ [7] ، وقال : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ [8].

---

(١) ٥٩ ك الفرقان ٢٥ .

(٢) ٥٥ آل عمران ٣ .

(٣) ٥٨ م النساء ٤ .

(٤) ١٠ ك فاطر ٣٥ .

(٥) ١٦ ك الملك ٦٧ .

(٦) ٣٧ ك غافر ٤٠ .

(٧) ١ ك الزمر ٣٩ .

(٨) ٤٢ ك فصلت ٤١ .

وقال : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ (١) ، وتأمل قوله تعالى فى سورة الحديد : ﴿ هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم ﴾ (٢) فقوله : ﴿ هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ (٣) يتضمن بطلان قول الملاحدة القائلين بقدم القرآن ، وأنه لم ينزل وأنه لم يخلق بقدرة ومشيئة ، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازم لذاته أريه وابدا غير مخلوق كما هو قول ابن سبعين سينا وأتباعه من الملاحدة ، وقوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ (٤) يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون : ليس على العرش سوى العدم وأن الله ليس مستوٍ على عرشه ولا ترفع إليه الأيدى ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق كما أشار النبى ﷺ فى أعظم مجامعه فى حجة الوداع، وجعل يرفع أصابعه إلى السماء وينكبها إلى الناس ويقول : « اللهم اشهد » ، وسيأتى الحديث إن شاء الله .

---

(١) ١٠٢ ك النحل ١٦ .

(٢) ٤ م الحديد ٥٧ .

(٣) ٤ م الحديد ٥٧ .

(٤) ٥٤ ك الأعراف ٧ .

فأخبر فى هذه الآية الكريمة أنه على العرش ، وأنه يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ثم قال : وهو معكم أينما كنتم ، فأخبر أنه مع علوه على خلقه وارتفاعه وما ينتهى لهم معهم بعلمه أينما كانوا .

قال الإمام مالك : الله فى السماء ، وعلمه فى كل مكان لا يخلو منه شىء .

وقال نعيم بن حماد لما سئل عن معنى هذه الآية : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [1] معناه أنه لايخفى عليه خافية بعلمه .

وسيأتى هذا مع ما يشبهه من كلام الإمام أحمد وأبى زرعة وغيرهما.

ليس قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ، بل العمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع فى السماء وهو مع المسافرين وغير المسافرين مهما كانوا ، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معنى ربوبيته .

---

(١) ٤ م الحديد ٥٧ .

وأخبر تعالى : أنه ذو المعارج ، تعرج الملائكة والروح إليه ، وأنه القاهر فوق عباده ، وأن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم ، فكل هذا الكلام الذى ذكر الله من أنه فوق عباده على عرشه وأنه مدا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة .

وهو سبحانه قد أخبر بأنه قريب من خلقه كقوله تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ (١) الآية .

وقوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (٢) .

وقول النبى ﷺ : « إن الذى تدعونه قريب إلى أحدكم من فنق راحلته »(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجو ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ (٤) .

---

(١) ١٨٦ م البقرة ٢ .

(٢) ١٦ ك ق ٥٠ .

(٣) ورد فى صحيح مسلم .

(٤) ٧ م المجادلة ٥٨ .

فكل ما فى الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافى ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه سبحانه علىّ فى دنوه ، قريب فى علوه ، وقد أجمع سلف الأمة على أن الله سبحانه فوق سماواته على عرشه وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون .

قال حنبل ابن إسحاق : قيل لأبى عبدالله : ما معنى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ؟.

قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة وسيأتى هذا الكلام مع زيادة عليه كلام الإمام أحمد وغيره .

وأما الأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ فى هذا الباب فكثيرة جداً ، منها ما روى مسلم فى صحيحه وأبو داود والنسائى وغيرهم عن معاوية بن الحكم السلمى قال : لطمت جارية لى ؛ فأخبرت رسول الله ﷺ فتعاظم ذلك عليا ، فقلت يارسول الله : أفلا أعتقها ؟

قال : بل ائتنى بها .

قال : فجئت بها إلى رسول الله ﷺ ، فقال لها : أين الله ؟ .

قالت : فى السماء .

قال : فمن أنا ؟ .

قالت : أنت رسول الله .

قال : أعتقها ؛ فإنها مؤمنة (١) .

وفى هذا الحديث مسألتان :

[إحداهما] قول الرجل لغيره : أين الله ؟

[وثانيتهما] (٢) قول المسئول فى السماء .

فمن أنكر هاتين المسألتين ؛ فإنما ينكر على رسول الله ﷺ .

وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : كانت زينب تفخر على أزواج النبى ﷺ ، وتقول : زوجناكها ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات (٣) .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

---

(١) حديث صحيح انظر النص من صحح مسلم بشرح النووى وانظر سنن أبى داود والنسائى وغيرهما .

(٢) فى المخطوط ، وثانيه والصواب ما أثبتناه .

(٣) انظر فتح البارى لشرح صحيح البخارى ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى .

« لما خلق الله الخلق كتب فى كتابه فى دنو عنده له فوق العرش : إن رحمتى تغلب غضبى » [1] ، وفى لفظ آخر « كتبه فى كتاب على نفسه فهو موضوع عنده إن رحمتى تغلب غضبى » [2] ، وفى لفظ آخر « فهو مكتوب عنده فوق العرش » [3] .

وهذه الألفاظ فى صحيح البخارى ، وفى صحيح مسلم .

عن أبى موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات ؛ فقال : « إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » [4] .

وفي الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، يجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتو فيكم فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم – كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون اتركناهم وهو يصلون » [5] .

(١–٢–٣) انظر فتح البارى لشرح صحيح البخارى ، وانظر صحيح مسلم بشرح النووى .

(٤) مفتاح كنوز السنة .

(٥) متفق عليه .

وعن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له ، فليقل : ربنا الله الذى فى السماء ، تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء والأرض ، اغفر لنا حوبنا ، وخطايانا أنت الرب [1] انزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك [2] .

على هذا الوجه فيبرأ . أخرجه أبو داود .

وفى الصحيحين قصة المعراج ، وهى متواترة ، واجتاز ﷺ السماوات سماءً سماءً حتى انتهى إلى ربه تعالى فقربه ودناه ، وفرض عليه خمسين صلاة فلم يزل يتردد بين موسى وبين ربه ينزل من عند ربه إلى موسى فيسأله كم فرض عليك فيخبره فيقول : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف .

وذكر البخارى فى كتاب التوحيد من صحيحه حديث أنس حديث الإسراء ، وقال فيه ثم علا به يعنى جبريل فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ؛ حتى جاوز سدرة المنتهى ، وأدنا الجبار رب العزة فتدل حتى كان قاب قوسين أو أدنى ؛ فأوحى إليه خمسين صلاة كل يوم وليلة ، ثم هبط حتى جاء موسى فاحتبسه موسى فقال : يامحمد ماذا عهد إليك ربك ؟ .

فقال : عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة .

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) انظر سنن أبى داود .

قال : إن أمتك لا تستطيع فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم .

فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره ؟ فأشار إليه جبريل إن نعم إن شئت فعلى به إلا الجبار تبارك وتعالى .

فقال وهو مكانه : يارب : خفف عنا وذكر الحديث .

ولما حكم سعد بن معاذ بنى قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتغنم أموالهم ، قال النبى " لقد أحكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة، وفى لفظ من فوق سبع سماوات " (١) .

وأصل القصة فى الصحيحين ، وهذا السياق لمحمد بن إسحاق فى المغازى.

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد قال : بعث على بن أبى طالب إلى النبى ﷺ بذهبية فى أديم مقروظ تحصل من ترابها ، قال : فقسمها بين أربعة : بين عيينه ابن حصن والأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع ؛ إما علقمة وإما عامر ابن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ؛ فبلغ ذلك النبى ﷺ : فقال : ألاتامنونى وأنا أمين بمن فى السماء يأتين خبر السماء مساءً صباحاً " (٢) .

---

(١) ورد فى صحيح البخارى .

(٢) كذلك ورد فى مفتاح كنوز السنة .

وفى سنن أبى داود من حديث جبير بن مطعم قال : جاء أعرابيان إلى رسول الله ﷺ ؛ فقالا : يا رسول الله : نهكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال ، استسق لنا ربك فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله ؛ فقال النبى ﷺ : « سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجهه أصحابه ، فقال : ويحك أتدرى ما الله ؟ إن شأن الله عظيم » (١) من ذلك أنه لا يستشفع به على أحد من خلقه إنه لفوق سمواته على عرشه وأنه عليّ .

هكذا ، وأنه يئط به أطيط الرحل بالركب .

وقد ساق الذهبى هذا الحديث فى كتاب العلو من رواية ابن إسحاق ، ثم قال : هذا حديث جيد ، وابن إسحاق حجة فى المغازى إذا أسند ، وله مناكب وعجائب فالله أعلم .

قال النبى ﷺ : هذا أم لا ، والله عز وجل ليس كمثله شيء جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ، والأطيط الوقع بذات العرش ، من جنس الأطيط الحاصل من الرحل فذاك صفة للرحل وللعرش ومعاذ الله أن نعده صفة لله عز وجل ، ثم لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت ، وقولنا فى هذه الأحاديث : إننا نؤمن بما صح منها ، وبما اتفق السلف على إمراره وإقداره ، فأما ما فى إسناده مقالة واختلاف العلماء فى قبوله وتأويله ؛ فإننا نتعرض له بتقدير بل نرويه فى الجملة ونبين حاله ، وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما

---

(١) ورد فى صحيح البخارى .

تواتر من علو الله فوق عرشه مما يوافق آيات الكتاب .

وفى سنن أبى داود ومسند الإمام أحمد من حديث العباس بن عبد المطلب قال : كنت جالساً بالبطحاء فى عصابة فيهم رسول الله ﷺ ، فمرت سحابة فنظر إليها .

فقال : ما تسمون هذه ؟ .

قالوا : السحاب .

قال : والمزن ؟

قالوا : والمزن .

قال : والعنان ؟

قال : هل تدرون بُعْدَ ما بين السماء والأرض ؟ .

قالوا : لا ندرى .

قال : إن بُعْدَ ما بينهما : إما واحدة وإما ثنتان أو ثلاثة وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سماوات ، ثم فوق السماء السابعة بحرين ؛ أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أضلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهم العرش أسفله وأعلاه ما بين سماء إلى سماء ثم الله عز وجل فوق ذلك وليس بخافٍ عليه

شيء من أعمال بنى آدم » (١) .

وفى سنن الإمام أحمد من حديث أبى هريرة أن رجلاً أتى النبى ﷺ بجارية سوداء أعجمية ، فقال يارسول الله : إن علىّ رقبة مؤمنة ؟

« فقال لها رسول الله : أين الله ؟ .

فأشارت بأصبعها السبابة إلى السماء .

فقال لها : من أنا ؟ .

فأشارت بأصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء ! أى أنت رسول الله .

فقال : اعتقها » (٢) .

وفى جامع الترمذى عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الله ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » (٣) .

قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) ورد فى صحيح مسلم .

(٣) ورد فى صحيح البخارى أيضا .

وفى جامع الترمذى أيضاً عن عمران بن حصين قال : قال النبى ﷺ لأبى حصين :

« كم تعبد اليوم إلهاً ؟ .

قال أبى : سبعة : ستة فى الأرض ، وواحد فى السماء .

قال : فمن تعد لرغبتك ورهبتك ؟ .

قال : الذى فى السماء .

قال : ياحصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعنك ! .

قال : فلما أسلم حصين ، قال : يا رسول الله علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى .

قال : قل اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى . » [١] .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «والذى نفسى بيده ، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذى فى السماء ساخطاً عليها ، حتى يرضى عنها » [٢] .

---

(١) ورد فى صحيح مسلم .

(٢) ورد فى سنن الترمذى أيضا .

وفى حديث الشفاعة الطويل عن أنس ابن مالك عن النبى ﷺ قال : «فادخل علىّ ربى تبارك وتعالى وهو على عرشه – وذلك الحديث ، وفى بعض لفظ البخارى فى صحيحه « فاستأذن على ربى فى داره ؛ فيؤذن لى عليه » [1] .

وصح عن أبى هريرة بإسناد مسلم قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة سيارة يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلس ذكر جلسوا معهم ، فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم .

من أين جئتم ؟ » [2] الحديث .

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً ، لا يتسع هذا الجواب لبسطها وفيما ذكر كفاية لمن هداه الله وألهمه رشده ، وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه فلا تزيده كثرة الأدلة إلا حيرة وضلالاً كما قال تعالى :

﴿ ولا يزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفراً ﴾ [3] .

---

(١) كذلك ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٣) ٦٨ م المائدة ٥ .

وقال : ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيدن الظالمين إلا خسارة ﴾ [١] ، وقال أيضا : ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً﴾[٢]، وقال : ﴿ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾ [٣] .

وقال : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ [٤] .

والمقصود أن نصوص الكتاب والسنة قد نطقت ، بل قد تواترت بإثبات علو الله على خلقه ، وأنه فوق سماواته مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله لا يعلم كيفيته إلا هو .

فإذا قال سائل : كيف استوى على عرشه ؟ .

قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيفية بدعة .

---

(١) ٨٢ ك الإسراء ١٧ .

(٢) ٢٦ م البقرة ٢ .

(٣) ١٢٥ م التوبة ٩ .

(٤) سورة فصلت آية رقم « ٤٤ » .

وكذلك إذا قال : كيف ينزل ربنا ؟

قيل له : كيف هو ؟ فإذا قال : أنا لا أعلم كيفيته .

قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله : إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف ، وهو فرع له فكيف تطالبنى بكيفية استوائه على عرشه وتكليمه ونزوله ، وأنت لا تعلم كيفية ذاته .

وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة فى نفسه الأمر متوجه لصفات الكمال لايماثلها شيء فاستواؤه ونزوله وكلامه هو ثابت فى نفس الأمر ، ولا يشابهه فيها استواء المخلوقين وكلامهم ونزولهم .

فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، فإذا كانت له ذات حقيقية لا تمثل الذوات فالذات متصفة بصفات حقيقية لاتماثل صفات سائر الذوات ، فإنه الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذوات ، فإذا كانت الذات لاتشبه ذوات المخلوقين فصفات الخالق لاتشبه صفات المخلوقين .

وكثير من الناس يتوهم فى كثير من الصفات أو أكثر وكلها أنها تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفى ذلك الذى فهمه فيقع فى محاذير منها :

أنه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين ، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

ومنها أنه نفى تلك الصفات عن الله بلا علم ؛ فيكون معطلاً لما يستحق الرب من صفات الكمال ونعوت الجلال ؛ فيكون قد عطل ما أثبت الله ورسوله من الصفات الإلهية اللائقة بجلال الله وعظمته .

ومنها أنه يصف الرب بقيض تلك الصفات من صفات الجمادات أو صفات المعدومات ؛ فيكون قد عطل صفات الكمال التى يستحقها الرب ، ومثّله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل ؛ فيكون ملحداً فى أسمائه وآياته .

ومثل ذلك أن النصوص كلها قد دلت على وصفه الإله تبارك وتعالى بالفوقية وعلوه على المخلوقات ، واستوائه على عرشه ، وليس فى الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله ؛ فيظن المتوهم أنه إذا وصف الله بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام كقوله تعالى :

﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ﴾ (١)، فيخيل هذا الجاهل بالله وصفاته أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه كحاجة المستوى على الفلك والأنعام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، بل هو غنى عن العرش وغيره وكل ما سواه مفتقر إليه ، فكيف يتوهم أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه تعالى الله عن ذلك وتقدس .

---

(١) ١٢ ك الزخرف ٤٣ .

وأيضاً فقد علم أن الله تعالى خلق العالم بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقر إلى أسفله ، فالهواء فوق الأرض وليس مفتقر إلى أن تحمله الأرض والسحاب .

والسحاب أيضا فوق الأرض ، وليس مفتقر إلى أن تحمله الأرض والسماوات فوق الأرض ، وليست مفتقرة إلى حمل الأرض بها ، فالعلى الأعلى رب كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه هذا الافتقار كيف يجب أن يكون محتاجاً إلى خلقه ، أو عرشه ، أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس مستلزماً في المخلوقات ؟! .

وكذلك قوله : ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور ﴾ [١] .

وقول النبي ﷺ : « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء » [٢] وقوله في رقية المرضى : « ربنا الله الذي في السماء ، تقدس اسمك » [٣] فمن توهم من هذه النصوص أن الله في داخل السماوات فهو جاهل ضال باتفاق العلماء ، فلو قال القائل : العرش في السماء أو في الأرض ؟ لقيل في السماء ؛ يراد به العلو

---

(١) ١٦ ك الملك ٦٧ .

(٢) ورد في مفتاح كنوز السنة .

(٣) ورد في سنن ابن ماجه .

سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها .

قال تعالى : ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ [1] ، وقال : ﴿ وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ﴾ [2] ، ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى ، كان المفهوم من قوله : إنه في السماء أنه في العلو ، أو إن كان فوق كل شيء .

وكذلك الجارية لما قال لها : أين الله ؟ قالت في السماء ؛ إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها .

وإذا قيل : العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها ، فما فوقها كلها هو في السماء ، ولا يقتضي هذا لأن يكون هكذا ظرف وجودي يحيط به ، إذ ليس فوق العالم إلا الله ، كما لو قيل : العرش في السماء ، كان المراد أنه عليها، كما قال تعالى : ﴿ فسيروا في الأرض ﴾ [3] ، وكمال قال : ﴿ فسيحوا في الأرض ﴾ [4] ، وقال عن فرعون : ﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ [5]،

---

(١) ١٥ م الحج ٢٢ .

(٢) ٤٨ ك الفرقان ٢٥ .

(٣) ٣٦ ك النحل ١٦ .

(٤) ٢ م التوبة ٩ .

(٥) ٧١ ك طه ٢٠ .

وبالجملة فمن قال : إن الله في السماء ، وأراد أنه في جوف السماء بحيث تحده أو تحيط به فقد أخطأ وأضل ضلالاً بعيداً ، وأن الأدب [1] أن الله فوق سماواته على عرشه باين [2] من خلقه فقد أصاب ، وهذا اعتقاد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وهو الذى نطق به الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، ومن لم يعتقد ذلك كان مكذباً للرسول متبعاً غير سبيل المؤمنين ، بل يكون في الحقيقة معطلاً لربه نافياً له ولا يكون له في الحقيقة إله يعبده ، ولا رب يسأله ويقصده ، وهذا قول الجهمية [3] .

والله تعالى قد فطر العباد عربهم وعجمهم على أنهم إذا دعوا الله توجهت قلوبهم إلى العلو ، ولهذا قال بعض العارفين : ما قال عارف قاصداً الله إلا وجد فى قلبه قبل أن يشرك لسانه معنى بطلب العلو لايلتفت يمينه ولا يساره بل قد فطر الله على ذلك جميع الأمم فى الجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته ، قال ابن قتيبة : ما زالت الأمم عربها وعجمها فى جاهليتها وإسلامها معترفة بأن الله فى السماء أى على السماء فهو سبحانه قد أخبر فى كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ بأنه استوى على عرشه استواءً

(١) كلمة غير واضحة ، ولعلها يقتضى .

(٢) هى بائن ، ولكن خففت الهمزة وقلبت ياءً ، وهكذا تسيطر هذه الظاهرة على الكلمات المهموزة المخففة إلى ياءٍ فى المخطوط .

(٣) نسبة إلى جهم ابن صفوان زعيم هذه الطائفة .

يليق بجلاله ويناسب كبرياءه ، وهو غنى عن العرش ، وعن حملة العرش ، والاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، كما قالت أم سلمة وربيعة ومالك ، وهذا مذهب أئمة المسلمين ، وهو الظاهر من لفظ استوى عند عامة المسلمين الباقين على الفطرة السليمة التى لم تنحرف إلى التعطيل ولا إلى التمثيل ، وهذا هو الذى أراده يزيد بن هارون الواسطى المتفق على إمامته وجلالته وفضله ، وهو من أتباع التابعين حيث : قال من زعم أن الرحمن على العرش استوى وخلاف ما يقر فى نفوس العامة فهو جهمى ، فإن الذى أقره الله فى فطر عباده ، وجبلهم عليه أن ربهم فوق سماواته ، وقد جمع العلماء فى هذا الباب مصنفات كباراً وصنفان ، وسنذكر بعض ألفاظهم فى مجرد هذه الفتوى إن شاء الله ، وليس فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين ولا عن أئمة الدين حرفاً واحداً يخالف ذلك ، ولم يقل أحد منهم قط : إن الله ليس فى السماء ، لا إنه ليس على العرش ولا أنه فى كل مكان ولا أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل ولا أنه لا يجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها ، بل قد ثبت فى الصحيح عن جابر ابن عبدالله أن النبىﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات فى أعظم مجمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول : ألا هل بلغت ؟ فيقولون نعم ، فيرفع أصابعه إلى السماء وينكبها إليهم ، ويقول : اللهم اشهد [١] ، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الحديث ، واعلم أن كثيراً من المتأخرين يقولون : مذهب السلف فى آيات الصفات

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

وأحاديثها أقروها على ما جاءت مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، وهذا لفظ مجمل .

فإن قول القائل : ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين وصفات المحدثين فلا شك أن هذا غير مراد ، ومن قال هذا فقد أصاب لكن أخطأ في الإطلاق القول أن هذا ظاهر النصوص ، فإن هذا ليس هو الظاهر ، فإن إيمانا بما ثبت من نعوته كإيماننا بذاته المقدسة إذاً الصفات تابعة للموصوف ، فنعتقد وجود البارى وننزه ذاته المقدسة عن الأشباه من غير أن نعتقد الماهية فكذلك القول في صفاته نؤمن بها ، ونعقل وجودها ونعلمها في الجملة من غير أن نتعقلها أو نشبهها أو نكيفها أو نمثلها بصفات خلقه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فلا تقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا إن معنى الاستواء الاستيلاء ، ولا معنى نزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا نزول رحمة ونحو ذلك ، بل نؤمن بأنها صفات حقيقية والكلام فيها كالكلام في الذات يحتذى فيه حذوه ، فإذا كانت الذات تثبت إثبات وجود لإثبات كيفية ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية ، ومن ظن أن نصوص الصفات لا عقل معناها ، ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها ، ولكن يقرؤها لفظ لا معنى لها ، ويعلم أن لها تأويل لا يعلمه إلا الله ، وأنها بمنزلة كهيعص وحم عسق والمص ، وظن أن هذه طريقة السلف وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ، ولا يعلمون حقيقة قوله : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ (١)

---

(١) ٦٧ ك الزمر ٣٩ .

وقوله : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ (١) ، وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٢)

ونحو ذلك ، فهذا الظان من أجهل الناس بعقيدة السلف وهذا الظن يتضمن استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة ، وأنهم كانوا يقرأون هذه الآيات ، ويرون حديث النزول وأمثاله ، ولا يعرفون معنى ذلك ، ولا ما أريد به ، ولازم هذا الظن أن الرسول ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه ، فمن ظن أن هذه عقدة السلف ؛ فقد أخطأ فى ذلك خطأ بينا، بل السلف رضى الله عنهم أثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنها مماثلته المخلوقات فكان مذهبهم بين مذهبين ، وهدى بين ضلالتين خرج من بين مذاهب المعطلين والمشبهين كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وقالوا : نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسولهﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل طريقنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفى مشابهة المخلوقات فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نقول ليس لله يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ، ولا نقول : له أيدى كأيدى المخلوقين ولا أن له وجها كوجوههم ولا سمعاً وبصراً كأسماعهم وأبصارهم ، بل نقول : له ذات حقيقية ليست ذات حقيقية كذوات وله صفات حقيقية لا مجازاً ليست كصفات المخلوقين ، فكذلك قولنا فى وجهه

(١) ٧٥ ك ص ٣٨ .

(٢) ٥ ك طه ٢٠ .

ويده وكلامه ، واستوائه ، وهو سبحانه قد وصف نفسه بصفات الكمال ونعوت الجلال ، وسمى نفسه بأسماء ، وأخبر عن نفسه بأفعال .

فسمى نفسه بالرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر إلى سائر ما ذكر من أسمائه الحسنى ، ووصف نفسه بما ذكره من الصفات كسورة الإخلاص وأول الحديد وأول حم وغير ذلك ، ووصف نفسه بأنه يحب ويكره ويرضى ويغضب ويأسف ويسخط ويحيى ويأتى ، وأنه استوى على عرشه ، وأن له علماً وحياة وقدرة وسمعاً وبصراً ووجهاً ويداً ، وأن له يدين ، وأنه فوق عباده ، وأن ملائكته تعرج إليه ، وتنزل بالأمر من عنده ، وأنه قريب ، وأنه مع المحسنين ومع الصابرين ومع المتقين ، وأن السماوات مطويات بيمينه .

ووصفه رسوله ﷺ بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، وأنه يفرح ويضحك ، وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابعه وغير ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ ، فكل هذه الصفات تنساق مساقاً واحداً وقولنا فيها كقولنا فى صفة العلو والاستواء ، فيجب علينا الإيمان بكل ما نطق به الكتاب والسنة من صفات الرب جلّ وعلا ، ونعلم أنها صفات حقيقية لا تشبه صفات المخلوقين ، فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات فلا نمثل ولا نعطل ، فكل ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله يجب الإيمان به سواء عرفنا معناه أو لم نعرفه ، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها . مع أن عامة نصوص عليه فى الكتاب والسنة ، وأمّا ما تنازع فيه المتأخرون نفياً أو

إثباتاً فليس على أحد ولا له أن يوافق أحداً على إثبات لفظ أو نفيه حتى يعرف مراده ، فإن أراد حقاً قبل منه ، وإن أراد باطلاً رد عليه ، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقاً ، ولم يرد جميع معناه ويوقف اللفظ ويفسره المعنى كما تنازع الناس فى الجهة والتحيز وغير ذلك ، فيقول بعض الناس : ليس فى جهة ، ويقول آخرون : هو فى جهة ، فإن هذه الألفاظ مبتدعة فى النفى والإثبات ، وليس على أحدهما دليل من الكتاب ولا من السنة ، ولا من كلام الصحابة والتابعين ولا أئمة الإسلام فإن هؤلاء لم يقل أحد منهم : إن الله سبحانه وتعالى فى جهة ولا قال : إن الله ليس فى جهة ، ولا قال : هو متحيز ولا قال : ليس بمتحيز .

والناطقون بهذه الألفاظ قد يريدون معنى صحيحاً أو قد يريدون معنى فاسداً ، فإذا قال : إن الله فى جهة ، قيل له ما تريد بذلك ؟ ، أتريد أنه سبحانه فى جهة تحصره وتحيط به أم تريد أمراً عدمياً ؟ وهو فوق العالم ، فإنه ليس فوق العالم شيء من المخلوقات فهذا باطل .

وإن أردت أن الله تعالى فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق ، وليس فى ذلك أن شيئاً من المخلوقات حصره ولا أحاط به ولا علا عليه بل هو العالى عليها المحيط بها ، وقد قال تعالى : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ (١) سبحانه وتعالى مما يشركون ، وفى الصحيح

---

(١) ٦٧ ك الزمر ٣٩ .

عن النبى ﷺ « أن الله يقبض الأرض يوم القيامة ويطوى السماوات بيمينه ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض »[1] فمن تكون جميع المخلوقات بالنسبة إلى قبضته تعالى فى هذا الصغر والحقارة كيف تحيط به وتحصره؟!.

ومن قال : إن الله ليس فى جهة قيل له : ما تريد بذلك ؟ فإن أراد بذلك أنه ليس فوق السماوات رب يعبد ولا على العرش أن يصلى له ويسجد له، ومحمد لم يعرج إلى الله فهذا معطل .

وإن قال : مرادى بنفي الجهة أنه لا تحيط به المخلوقات فقد أصاب ونحن نقول به ، وكذلك من قال : إن الله متحيز . إن أراد أنه منحاز عن المخلوقات بائن عنها عال فقد أصاب ، ومن قال : إن الله ليس بمتحيز ، إن أراد أن المخلوقات لا تحوزه فقد أصاب ، وإن أراد بذلك أنه ليس بائن عنها بل هو لا داخل العالم ولا خارجه فقد أخطأ ؛ فإن الأدلة كلها متفقة على أن الله فوق مخلوقاته عال عليها قد فطر الله على ذلك الأعراب ، والصبيان ، كما فطرهم على الإقرار بالخالق تعالى ، وهذا معنى قول عمر بن العزيز « عليك بدين الأعراب والصبيان » أى عليك بما فطرهم الله عليه ، فإن الله فطر عباده على الحق كما فى الصحيح عن النبى ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة »[2] الحديث .

---

(١) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

(٢) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن الترمذى وابن ماجه .

فصل

وأما قوله تعالى : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (1) فاعلم أن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع : مفرد كهذه الآية ، وكقوله تعالى : ﴿ بيده الملك﴾(2)، وجاء مثنى كقوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ (3) وكقوله : ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ (4) ، وجاء مجموعاً كقوله : ﴿ عملت أيدينا ﴾ (5) فحيث ذكر اليد مثناه أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد ، وعدى الفعل بالباء فقال : ﴿خلقت بيدى ﴾ ، وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ولم يُعدِّ الفعل بالباء فلا يحتمل خلقت بيدى من المجاز ما يحتمل عملت أيدينا . فإن كل أحد يفهم من قولـه عملت أيدينا ما فهمه من قولـه : عملنا وخلقنا كما يفهم ذلك من قوله ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ (6).

---

(1) ١٠ م الفتح ٤٨ .

(2) ١ ك الملك ٦٧ .

(3) ٦٤ م المائدة ٥ .

(4) ٧٥ ك ص ٣٨ .

(5) ٧١ ك يس ٣٦ .

(6) سورة الشورى آية رقم « ٣٠ » .

وأما قوله : خلقت بيدى فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذلك اليد بعد نسبته الفعل إلى كفاعل معنى فكيف وقد دخلت الباء فى الفعل وقد يضاف إلى ذى اليد والمراد الإضافة إليه كقوله : ﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ (١) ، وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدى بالباء إلى يده مفرده أو مثناه فهو ما باشرته يده ، ولهذا قال عبد الله ابن عمرو ابن العاص : إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وغرس جنة الفردوس .

فلو كانت اليد هى القدرة لم تبن لها اختصاص بذلك ، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شىء مما خلق بالقدرة .

وقد صح عن النبى ﷺ : « أن أهل الموقف يأتون آدم فيقولون : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شىء (٢) .

فذكروا الأربعة أشياء كلها خصائص ، وكذلك قال آدم لموسى فى محاجته له اصطفاك الله بكلماته ، وخط لك الألواح بيده ، وفى لفظ آخر : كتب لك التوراة بيده ، وهو من أصح الأحاديث ، وكذلك فى الحديث المشهور: « إن ملائكة قالوا يارب : خلقت بنى آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال الله : لأجعل صالح ذرية من

---

(١) ٣٠ ك الشورى ٤٢ .

(٢) ورد فى صحيح البخارى .

خلقت بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان » [١] .

وأيضاً فإنه لو كان قوله خلقت بيدى مثل قوله عملت أيدينا ؛ لكان آدم والأنعام سواء ، وأهل الموقف قالوا : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ؛ فعلموا أن لآدم تخصيص وتفضيل لكونه مخلوقاً باليدين .

وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ : « يمين الله ملاء لا يفضيها نفقة»[٢] .

وفى صحيح مسلم : « فى أعلى أهل الجنة منزلة ملائكة الذين غرست كراماتهم بيدى وختمت عليها » [٣] .

وقال عبد الله بن الحارث : قال النبى ﷺ : « خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ، ثم قال: وعزتى لا يسكنها مدمن خمر ولا ديوث » [٤] .

وفى الصحيح عنه ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة جزة واحدة يتكفأها

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) وكذلك فى سنن ابن ماجه .

(٣) كذلك فى سنن النسائى .

(٤) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

الجبار كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلاً لأهل الجنة ، [1] .

وفى الصحيح مرفوعاً : ، أن الله يبسط يده بليلٍ ليتوب مسيء النهار،[2] . الحديث وفى الصحيح أيضاً مرفوعاً : ، المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، [3] .

وقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ، خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج ذريته منه فقال : خلقت هؤلاء إلى الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، [4] الحديث .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ : ، ما تصدق أحد بصدقة من طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فتربوا فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، [5] متفق على صحته .

وقال نافعة بن عمر : سألت ابن أبى مليكة عن يد الله أو احدة ام اثنتان؟

---

(١) كذلك فى صحيح ابن حبان .

(٢) كذلك فى سنن الدار قطنى .

(٣) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٤) كذلك فى سنن النسائى .

(٥) كذلك فى صحيح مسلم وابن حبان .

فقال : بل اثنتان ، وقال عبد الله بن عباس : ما السماوات السبع والأراضون السبع وما فيها في يده الله إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن عباس : أول شيء خلقه الله القلم . فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين ، فكانت الدنيا وما فيها من عمل معمول في بر وبحر ورطب ويابس فأحصاه عنده ، وقال ابن وهب عن أسامة عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قد أعلى المنبر والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه» ، قال : مطويات في كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة » (١) .

وهذه النصوص التي ذكرناها هي غيض من فيض ، وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

---

(١) ورد في سنن البيهقي والترمذي .

فصل

فى مسألة علو الرب على خلقه وأنه على عرشه المجيد فوق سماواتـه

روى بن اثنين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما قبض رسول الله ﷺ قال أبو بكر :

يا أيها الناس إن كان محمد إلهكم الذى تعبدون فإن إلهكم قد مات ، وإن إلهكم الذى فى السماء ؛ فإن إلهكم لم يمت ثم تلا :

﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ (١) الآيـة ، وروى البخارى فى تاريخه عن ابن عمر أن أبا بكر قال ، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله فى السماء حى لا يموت .

وروى ابن أبى شيبة عن قيس قال : لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا : يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً يلقاك عظماء الناس ووجوههم ، فقال عمر : ألا أراكم هاهنا ؟ إنما الأمر من هاهنا ، وأشار بيده إلى السماء .

---

(١) ١٤٤ م آل عمران ٣ .

وروى عثمان بن سعيد الدارمى أن امرأة لقيت عمر بن الخطاب وهو يسير مع الناس ؛ فاستوقفته ؛ فوقف لها ؛ ودنا منها أو أصغى إليها حتى انصرفت ، فقال له رجلٌ : يا أمير المؤمنين حبست رجالاً من قريش على هذه العجوز ؟ قال أتدرى من هذه ؟ قال : لا . قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات هذه حفالة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف عنى إلى العمل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها إلى أن تحضرنى ؛ فأصليها ثم أرجع حتى تقضى حاجتها ، وقال ابن عبد البر فى كتاب الاستيعاب : روينا من وجوه صحيحة أن عبد الله ابن رواحة مشى إلى أَمَةٍ له فنالها فرأته امرأته فجحدها فقالت : إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن ، فإن الجنب لا يقرأ ، فقالت : تشهدن بأن وعد الله حق وأن النار مثوى للكافرين ، وأن العرش فوق الماء طاف ، وفوق العرش رب العالمين ، ويحمله ملائكة شداد ملائكة الإله (١) فقالت آمنت بالله وكذبت عينى وكانت لا تحفظ القرآن ، وروى الدارمى بإسناده عن ابن مسعود قال : العرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شىء من أعمالكم .

قال الحافظ الذهبى : رواه عبد الله ابن الإمام أحمد وابن المنذر والطبرانى وأبو الشيخ واللاتكدى والبيهقى وابن عبد البر وإسناده صحيح .

وروى الأعمش عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : أن العبد يهم بالأمر من التجارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع

---

(١) كلمة غير واضحة .

سماوات فيقول للملك اصرفه عنه قال فيصرفه .

وقال عبد الله بن عباس : تفكروا فى كل شىء ولا تفكروا فى ذات الله، فإن بين السماوات السبع إلى كرسيه سبعة نور ، والله فوق ذلك رواه عبد الله بن الإمام أحمد ، وروى الدارمى أن ابن عباس قال لعائشة حين استأذن عليها وهى تموت وأنزل الله براءتك من سبع سماوات .

وروى الدارمى عن نافع قال : قالت عائشة : وايم الله لو كنت أحب قتله لقتلته تعنى عثمان ، وقد علم الله فوق عرشه أنى لا أحب قتله . .

وفى الصحيحين أن زينب كانت تفخر على نساء رسول الله ﷺ تقول : زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماوات وقد تقدم ذلك .

وفى لفظ لغيرهما كانت تقول : زوجنيك الرحمن من فوق عرشه كجبريل السفير بذلك ، وأنا ابنة عمتكم .

وقال على ابن الأحمر كان مسروق إذا حدث عن عائشة قال : حدثتنى الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرءة من فوق سبع سماوات .

وقال قتادة : قال بنو إسرائيل : يا رب أنت فى السماء ونحن فى الأرض، فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك ؟ قال : إذا رضيت عليكم استعملت عليكم خياركم ، وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم أشراركم . رواه الدارمى .

وقال سليمان التميمى : لو سئلت أين الله ؟ لقلت فى السماء .

وقال كعب الأحبار : قال الله فى التوراة : « أنا فوق عبادى ، وعرشى من فوق جميع خلقى ، وأنا على عرشى أدبر أمور عبادى لا يخفى عنى شىء من أعمالهم » .

وقال مقاتل فى قوله تعالى : ﴿ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾[1] قال : بعلمه ؛ فيعلم نجواهم ، ويسمع كلامهم ، وهو فوق عرشه وعلمه معهم .

وقال الضحاك : فى الآية هو الله على العرش وعلمه معه .

وقال عبيد بن عمير : ينزل الرب شطر الليل إلى السماء الدنيا ؛ فيقول من يسألنى ؟ فأعطه ، من يستغفرنى ؟ فأغفر له ، حتى إذا كان الفجر صعد الرب عز وجل ، أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد .

وقال الحسن : « ليس شىء عند ربك أقرب من إسرافيل ، وبينه وبينه سبعة حجب ، كل حجاب سيرة خمسمائة عام ، وإسرافيل أدنى هؤلاء ورأسه من تحت العرش ، ورجلاه فى تخوم السابعة»[2] .

---

(١) ٧ م المجادلة ٥٨ .

(٢) ورد فى الطبقات الكبرى .

وروى البيهقى بإسناد صحيح إلى الأوزاعى قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى جل ذكره فوق العرش ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته ، وقال أبو عمر بن عبد البر فى تمهيد علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل ، قالوا فى تأويل قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ [1] وهو على العرش وعلمه فى كل مكان ، وما خالفهم فى ذلك أحد يحتج بقوله .

وروى أبو بكر الخلال فى كتاب السنة عن الأوزاعى قال : سئل مكحول والزهرى عن تفسير الأحاديث ؟ فقال : أمرها كما جاءت .

وروى أيضا عن الوليد بن مسلم قال : سألت الأوزاعى ومالك ابن أنس وسفيان الثورى والليث ابن مسعد عن الأخبار التى جاءت فى الصفات ؛ فقالوا: أمرها كما جاءت ، وفى رواية قالوا : أمرها كما جاءت بلا كيف .

قولهم رضى الله عنهم : أمرها كما جاءت رد على المعطلة . وقولهم بلا كيف رد على الممثلة ، والزهرى ومكحول هما أعلم التابعين فى زمانهم ، والأربعة الباقون أئمة الدين فى عصر تابعى التابعين فمالك إمام الحجاز والأوزاعى إمام أهل الشام ، والليث إمام أهل مصر ، وسفيان الثورى إمام أهل العراق .

وقال الأوزاعى : عليك بآثار من سلف ، وإن رفضك الناس ، وإياك

---

(١) ٧ م المجادلة ٥٨ .

والاذا رجل ، وإن زخرفوه لك بالقول .

وقال سفيان الثورى فى قوله : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [1] قال : علمه.

وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة عن سفيان أن عيينة قال : سأل ربيعة ابن أبى عبد الرحمن عن قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [2] كيف استوى ؟ قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة وعلى الرسل البلاغ وعلينا التصديق ، وهذا الكلام ، ما روى عن مالك تلميذه ربيعة كما سيأتى بيانه إن شاء الله .

وقال عبد الرحمن : أين الهدى ؟ إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن الله كلم موسى ، وأن يكون على العرش . أرى أن يستتابوا ، فإن تابوا ، وإلا ضربت أعناقهم ، وأين مهدى هذا ، هو الذى قال فيه على ابن المدينى : لو حلفت بين الركن والمقام إنى ما رأيت أعلم منه لحلفت .

وروى ابن أبى حاتم عن سعد بن عامر الضبعى أنه ذكر عنده الجهمية فقال : هم شر قولاً من اليهود والنصارى ، وقد أجمع أهل الأديان من المسلمين على أن الله على العرش ، وقالوا هم : ليس على العرش .

---

(١) ٤ م الحديد ٥٧ .

(٢) ٥ ك طه ٢٠ .

وقال عباد بن العوام أحد أئمة الحديث بواسط كائمة بشر المريسى وأصحابه فرأيت آخر كلامهم يقولون : ليس على العرش أرى وأن لا يناكحوا ولا يوارثوا .

وقال على بن عاصم شيخ الإمام أحمد : أخذوا من المريسى وأصحابه فإن كلهم زنادقة ، وأنا كلمت أستاذهم فلم يثبت أن فى السماء إلهاً .

وقال حماد ابن زيد : الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا ليس فى السماء شيء وكان من أشد الناس على الجهمية ، وقال وهب ابن جرير : إياكم ورؤى جهم فإنهم يحاولون أن ليس فى السماء شيء وما هو إلا من وحى إبليس ، وما هو إلا الكفر .

وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى صاحب الشافعى له كتاب فى الرد على الجهمية قال فيه باب قول الجهمى فى قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ زعمت الجهمية أن معنى استوى استولى قال : فيقال له : هل يكون خلق الله أتت عليه مدة ليس بمستولٍ عليه؟ فإذا قال : لا: قيل له: فمن زعم ذلك فهو كافر قال : فيقال له يلزمك أن تقول إن العرش أتت عليه مدة ليس الله بمستول عليه ، وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه خلق العرش قبل السماوات والأرض ثم استوى عليه بعد خلقهن ؛ فيكون منك أن تقول : المدة التى كان على العرش قبل خلقه السموات ليس الله بمستولٍ عليه فيها ، ثم ذكر كلاماً طويلاً فى تقرير العلو والاحتجاج عليه .

وقال عبد الله ابن الزبير الحبيدى شيخ البخارى ؛ وما نطق به القرآن والحديث مثل قوله : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ (١) ، ومثل قوله : ﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ (٢) ، وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا تزيده فيه ولا تفسيره ، وتقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، ونقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٣) ، ومن زعم غير هذا ؛ فهو مبطل جهمى .

وروى بن أبى حاتم قال : جاء بشر بن الوليد إلى أبى يوسف فقال : تنهانى عن الكلام ، وبشر المريسى ، وعلى الأحول وفلان يتكلمون ، فقال : وما يقول ؟ قال : يقولون : إن الله فى كل مكان ؛ فبعث أبو يوسف ، وقال : علىّ بهم ، فانتهوا إليهم ، وقد قام بشر مخبىء بعلى الأحوال والشيخ ؛ فنظر أبو يوسف إلى الشيخ فقال : لو أن فيك موضع أدب ؛ لأوجعتك وأمر بالحبس ، وضرب علياً الأحول ، وطوف به ، وقد استتاب أبو يوسف بشراً المريسى لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه ، وهى واقعة مشهورةذكر بن أبى حاتم وغيره وأصحاب أبى حنيفة المتقدمون على هذا قال محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالقرآن ، والأحاديث التى جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ فى صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف

---

(١) ٦٤ م المائدة ٥ .

(٢) ٦٧ ك الزمر ٣٩ .

(٣) ٥ ك طه ٢٠ .

ولا تشبيه فمن فسر شيئاً من ذلك ؛ فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ ، وفارق الجماعة كلهم ، فإنهم لم يصفوا ، ولم يفسروا ، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا ، فمن قال بقول جهم : فقد فارق الجماعة لإنه وصف بصفة الأشياء ، وقال محمد أيضا في الأحاديث التي جاءت : إن الله يهبط إلى السماء الدنيا ، ونحو هذه الأحاديث رواها الثقاب فنحن نؤمن بها ولا نفسرها .

ذكر ذلك عند أبي القاسم اللكلائي ، وقال سفيان ابن عيينه : وقد سئل عن حديث : « إن الله يحمل السماوات على أصبع » ، وحديث : « القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن » ؟

فقال سفيان : هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيْفٍ .

وذكر بن أبي حاتم بإسناده عن الأصمعي : فإنه قدمت امرأة جهم ، فقال رجل عندها : الله على عرشه

فقالت : محدود على محدود .

فقال الأصمعي : هذه كافرة بهذه المقالة .

أما هذا الرجل وامرأته فما أولاه سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب .

وقال إسحاق بن راهويه إمام أهل المشرق نظير أحمد ، وقيل له : ما تقول : في قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ [1] ؟

---

(١) ٧ م المجادلة ٥٨ .

قال : حيثما كان فهو قريب إليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه ، ثم قال : وأعلى شيء في ذلك وأثبته قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (١) .

وروى الخلال في كتاب السنن قال : قال إسحاق بن راهويه : قال الله : ﴿الرحمن على العرش استوى ﴾ ، ويعلم كل شيء أسفل الأرض السابعة ، وفي مقود البخار ، وفي كل موضع كما يعلم ما في السماوات السبع ، وما دون العرش أحاط بكل شيءٍ علماً .

وقال قتيبة بن سعيد : قول أئمة الإسلام والسنة والجماعة : نعرف ربنا بأنه في السماء السابعة على عرشه كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقتيبة هو أحد أئمة الإسلام وحفاظ الحديث ، وقال عبد الوهاب الوراق : من زعم أن الله هاهنا فهو جهمي خبيث : إن الله فوق العرش ، وعلمه محيط بالدنيا والآخرة صح عنه ، وهو الذي قال فيه الإمام أحمد : وقد قيل له : من نسأل بعدكم ؟

قال : عبد الوهاب .

وقال خارجة ابن مصعب : الجهمية كفار أبلغ نسائهم أنهن طوالق لا يحللن لهم ، ثم تلا « طه » إلى قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبي ، وأبا زرعة عن مذهب

---

(١) ٥ ك طه ٢٠ .

أهل السنة فى أحوال الدين وما أدرك عليه العمى فى جميع الأمصار ومصر والشام واليمن ؟ فكان مع مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه فى الكتاب ، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علماً .

وقال أبو زرعة أيضا : هو على العرش استوى وعلمه فى كل مكان . من قال غير هذا فعليه لعنة الله .

وقال ابن المدنى الذى [1] البخارى سبيل المسلمين ، وقيل له : ما تقول

الجماعة فى الاعتقاد ؟

فقال : يثبتون الكلام والرواية ، ويقولون : إن الله على العرش استوى فقيل له : ما تقول فى قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾[2] ؟ فقال : أقر أولا بالآية يعنى بالعلم ؛ لأن فى أول الآية : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ﴾ [3] .

وقال عبد الله بن المبارك : نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماوات على العرش استوى باين من خلقه ، لا نقول كما قالت الجهمية . رواه عند الدارمى

(١) كلمة غير واضحة فى المخطوط .

(٢) ٧ م المجادلة ٥٨ .

(٣) ٧ م المجادلة ٥٨ .

والحاكم والبيهقى بأصح إسناد ، وصح عن ابن المبارك أيضاً أنه قال : إنا لا نستطيع أن تحكى كلام اليهود والنصارى ، ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية .

وقال نعيم بن حماد الخزاعى الحافظ فى قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (١) معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ الآية .

وقال محمد بن إسماعيل الترمذى : سمعت نعيم بن حماد يقول من شبه الله بخلقه ، فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيهاً .

---

(١) ٤ م الحديد ٥٧ .

فصل

فى ذكر أقوال الأئمة الأربعة رضى الله عنهم

ذِكْرُ قول الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه .

روى البيهقى فى كتاب الصفات عن نعيم بن حماد قال : سمعت نوحاً ابن أبى مريم يقول : كنت عند أبى حنيفة أول ما ظهر إذ جاءت امرأة من ترمذ كانت تجالس جهماً (١) فدخلت الكوفة فأظننى أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس فقيل لها : إن هاهنا رجل قد نظر فى المعقول يقال له : أبو حنيفة ، فأتته ، فقالت أتيت الذى تعلم الناس المسائل ، وقد تركت دينك أين إلهك الذى تعبده ؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ، ثم خرج إلينا ، وقد وضع كتاباً بأن الله عز وجل فى السماء دون الأرض

فقال له رجل : أرأيت قول الله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (٢) ؟ قال : هو كما تكتب إلى الرجل أنى معك وأنت غائب عنه ، ثم قال البيهقى : لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون فى الأرض ، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية ، وتبع مطلق السمع بأن الله

---

(١) هو ، جهم بن صفوان ، زعيم طائفة الجهمية .

(٢) ٤ م الحديد ٥٧ .

تعالى فى السماء .

وفى كتاب الفقه الأكبر المشهور المروى بالإسناد عن الحكم ابن عبد الله البلخى ، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض؟
قال : قد كفر ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[1] وعرشه فوق سماواته .

فقلت : إنه يقول : أقول على العرش استوى ، ولكن ربى فى السماء أو فى الأرض ؟

قال : قد كفر ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ، لا أدرى العرش فى السماء أم فى الأرض !

قال : : إذا أنكر أنه فى السماء فقد كفر ، لأنه تعالى فى أعلى عليين ، وأنه يدعى أعلى لا من أسفل .

وفى لفظ سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض ؟

قال : قد كفر إن الله يقول ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، وعرشه فوق سبع سماواته ، روى هذا شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى فى كتاب الفاروق .

---

(١) ٥ ك طه ٢٠ .

وقال الإمام أبو محمد موفق الدين ابن قدامة : بلغني عن أبى حنيفة رحمه الله أنه قال : من أنكر أن الله عز وجل فى السماء فقد كفر .

فتأمل هذا الكلام المشهور عن أبى حنيفة عند أصحابه أنه الواقف الذى يقول : لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض ، فكيف يكون حكم الجاحد النافي الذى يقول : ليس فى السماء ولا فى الأرض ؟ !!

واحتج أبو حنيفة على كفره بقوله تعالى : ﴿ الرحمن على الرش استوى﴾ بين أن الله فوق السماوات فوق العرش ، فقال : وعرشه فوق سبع سماوات ، وبين لهذا أن قوله : على العرش استوى فوق العرش ، ثم أردف ذلك بكفر من توقف فى كون العرش فى السماء أو فى الأرض ، قال لأنه أنكر أن يكون فى السماء ، وأن الله عز وجل فى أعلى عليين ، وأن يدعو من أعلى لا من أسفل، وكذلك أصحاب أبى حنيفة من بعده كأبى يوسف ومحمد كما قدمنا ما روى عنهم ، وكذلك هشام ابن عبيد الله صاحب محمد بن الحسن قاضى الرى حبس رجلاً فى التجهم فتاب فجيء به ليتحفه فقال : الحمد لله التوبة ، فامتحنه هشام ، فقال : تشهد أن الله على عرشه باين من خلقه ، فقال: أشهد أن الله على عرشه ولا أدرى ما باين من خلقه ، فقال : ردوه إلى الحبس ، فإنه لم يتب .

وسيأتى كلام الطحاوى إن شاء الله ، وفى الفقه الأكبر أيضا عن أبى حنيفة : لا يوصف الله بصفات المخلوقين ، ولا يقال : إن يده قدرة ولا نعمة؛ لأن فيه إبطال الصفة ، وهو قول أهل القدر والاعتزال ، ولكن يده صفة بلا

كيف .

وقال فى الفقه الأبسط : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ (1) ليست كأيدى خلقه وهو خالق الأيدى جل وعلا ، ووجهه ليس كوجه خلقه ، وهو خالق كل شىء الوجوه .

ونفسه ليس كنفوس خلقه ، وهو خالق كل النفوس ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ (2) .

وقال فى الفقه الأكبر أيضا ؛ وله تعالى يد ووجه ونفس بلا كيف ، كما ذكر الله تعالى فى القرآن وغضبه ورضاه وقضاءه وقدره من صفاته تعالى بلا كيف ولا مقال غضبه وعقوبته ورضاه وثوابه . انتهى .

---

(1) ١٠ م الفتح ٤٨ .

(2) ١١ ك الشورى ٤٢ .

ذكر قول الإمام مالك ابن أنس

إمام دار الهجرة رضى الله عنه

قال عبدالله بن نافع : قال مالك بن أنس : « الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو من شيء رواه عبدالله بن الإمام أحمد . وروى أبو الشيخ الأصبهانى وأبو بكر البيهقى عن يحيى بن يحيى قال : كنا عند مالك ابن أنس فجاءه رجل فقال : يا أبا عبدالله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى فطرق مالك رأسه حتى علاه الرمضاء ، ثم قال : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدع فأمر به أن يخرج ، وتقدم عن شيخه ربيعه مثل هذا الكلام ، فقول ربيعة ومالك : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول موافق لقول الباقين ، أمرها كما جاءت ، فإنما نقول الكيفية ، ولم ينفوا حقيقة الصفة ، ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، وإنما قالوا : أمرها بلا كيف ، فإن الاستواء حينئذ لا يكون معاوداً بلا مجهول بمنزلة حروف المعجم .

وأيضا فإنه لا يحتاج إلى نفى الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى ، وإنما يحتاج إلى نفى الكيفية إذا أثبت الصفات .

وأيضا فإن من ينفى الصفات لا يحتاج أن يقول : بلا كيف ، فمن قال : إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول : بلا كيف ، فلو كان مذهب

السلف نفى الصفات فى نفس الأمر ، لما قالوا بلا كيف .

وأيضا قولهم : أمرها كما جاءت يقتضى إبقاء دلالتها على ما هى عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معانى منفية كانت دلالتها منفية لكان الواجب أن يقال : أمر لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد .

ويقال : أمر لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دله عليه حقيقة ، وحينئذ فلا يكون قد أمرت كما جاءت ، ولا يقال حينئذ بلا كيف إذ نفى الكيف عما ليس بثابت لغو من القول ، وقال الذهبى بعد ذكر كلام مالك وربيعة الذى قدمناه ، وهذا قول أهل السنة قاله سطبة أن كيفية الاستواء لا نعلقها بل نجهلها ، وأن الاستواء معلوم كما أخبر به فى كتابه ، وأنه كما يليق به ولا تتعمق ، ولا نتخذ قولاً نخوض فى لوائه ذلك نفياً ولا إثباتاً ، بل نسكت ونقف ، كما وقف السلف ، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إليه الصحابة والتابعون ، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه . ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له فى صفاته ، ولا فى استوائه ، ولا فى نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد نقد ما رواه الوليد بن مسلم عن مالك بما أغنى عن إعادته ، وقال أبو حاتم الرازى : حدثنى ميمون بن يحيى البكرى قال : قال مالك : من قال: القرآن مخلوق يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

ذكر قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضى الله عنه

روى شيخ الإسلام أبو الحسن المكارى عن أبى شعب وأبى ثور كلاهما عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، قال : القول فى السنة التى أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن الله على عرشه فى سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى سماء الدنيا كيف يشاء. وذكر سائر الاعتقاد .

وقال بن أبى حاتم ثنا يونس ابن عبيد إلى على قال : سمعت الشافعي يقول : وقد سئل عن صفات وما يؤمن بها ؟ فقال : لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وخبر بها نبيه أمته ، لا يسمع أحداً من خلق الله قامت عليه الجنة ردها؛ لأن القرآن نزل بها ، وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فيما روى عن العدول ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر . أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرواية ، والفكر لا يكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها ، ونثبت هذه الصفات ، وننفى عنها التشبيه كما نفى سبحانه التشبيه عن نفسه فقال : ﴿ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير﴾ (1) .

وصح عن الشافعي أنه قال : خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه حق قضاها الله فى سمائه وجمع عليها قلوب عباده . انتهى .

ومعلوم أن المقضى فى الأرض والقضاء ، فعلمه سبحانه المتضمن المشيئة وقدرته ، وقال فى خطبة رسالته :

« الحمد لله الذى هو كما وصف به نفسه ، وفوق ما يصف به خلقه » .

---

(1) ١١ ك الشورى ٤٢ .

ذكر قول الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه

قال الخلال فى كتاب السنة : حدثنا يوسف بن موسى ، قال : أخبرنا عبدالله بن أحمد ، قال : قلت : يأبى ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه باين من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان ؟

قال : نعم لا يخلو الشيء من علمه .

قال الخلال : أخبرنى الميمونى قال : سألت أبا عبدالله عمن قال : إن الله تعالى ليس على العرش ؟

فقال : كله مهم كله يدور على الكفر ، وقال حنبل : قيل لأبى عبدالله:

ما معنى قول : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثه إلا وهو رابعهم ﴾ (١) ؟ ، وقوله : ﴿ وهو معكم ﴾ (٢) ؟ .

قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ، ولا وصف وسع كرسيه السماوات والأرض .

---

(١) ٧ م المجادلة ٥٧ .

(٢) ٧م المجادلة ٥٧ .

وقال أبو طالب : سألت أحمد عن رجل قال : إن الله معنا ، وتلا : مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ؟

قال يأخذون بآخر الآية ويدعون أولها هل هو فوات عليه ؟

ألم تر أن الله يعلم ما فى السماوات بالعلم معهم ، وقال فى سورة «ق» : ﴿ ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (١) .

وقال المرذوى : قلت لأبى عبدالله : إن رجلاً قال قولاً كما قال الله : ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ (٢) أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره ؟ .

فقال أبو عبدالله : هذا كلام الجهمية ؟ .

قلت : فكيف نقول : - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ؟ ولا خمسة إلا هو سادسهم ؟ .

قال : علمه فى كل مكان وعلمه معهم .

قال : أول الآية يدل على أنه علمه ، وقال فى موضع آخر : « إن الله عز وجل على عرشه فوق سماء السابعة ، يعلم ما تحت الأرض السفلى وأنه

---

(١) ١٦ ك ق ٥٠ .

(٢) ٧ م المجادلة ٥٧ .

غير مماثل لشيء من خلقه هو تبارك وتعالى باين من خلقه ، وخلقه باين منه .

وقال فى كتاب الرد على الجهمية الذى رواه الخلال ، وقال : كتب هذا الكتاب من خط عبدالله ابن الإمام أحمد ، وكتبه عبدالله من خط أبيه .

قال : فيه باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش ، وقال: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (١) ، قلنا لهم : ما أنكرتم أن يكون الله على العرش ؟ قالوا : تحت الأرض السابعة كما هو على العرش ، وفى السماوات وفى الأرض وفى كل مكان ، وتلوا : ﴿ وهو الله فى السماوات وفى الأرض ﴾ (٢) ، قال أحمد : فقلنا لهم : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء أجسادكم وأجوافكم والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها شيء من عظمة ، وقد أخبرنا الله عز وجل أنه فى السماء فقال : ﴿ أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ (٣) الآيتين ، وقال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ (٤) ، وقال لعيسى : ﴿ إنى متوفيك ورافعك إلىّ ﴾ (٥) ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (٦).

---

(١) ٥ ك طه ٢٠ .

(٢) ٣ ك الأنعام ٦ .

(٣) ١٦ ك الملك ٦٧ .

(٤) ١٠ ك فاطر ٣٥ .

(٥) ٥٥ م آل عمران ٣ .

(٦) ١٥٨ م النساء ٤ .

وقال أيضا فى الكتاب المذكور ، ومما أنكرت الجهمية الضُّلاَّل : أن الله ليس على العرش ، وقد قال تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، وقال : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ (١) ، ثم ساق أدلة القرآن ، ثم قال : ومعنى قوله : ﴿ وهو الله فى السماوات وفى الأرض ﴾ (٢) يقول : هو إله مَنْ فى السماوات وإله من فى الأرض ، وهو على العرش ، وقد أحاط علمه بما دون العرش ، لا يخلو من علمه مكان ، ولا يكون علم الله فى مكان دون مكان ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ﴾ (٣) ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً .

قال الإمام أحمد : ومن الاعتبار فى ذلك لو أنَّ رجلاً كان فى يده قدح من قوارير ، وفيه شىء كان بصر بن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم فى القدح ، فالله سبحانه وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق علماً من غير أن يكون فى شىء مما خلق .

قال : مما توالت تأولت الجهمية من قول الله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ (٤)؛ فقالوا : إن الله معنا وفينا ، فقلنا لهم : قطعتم الخبر

---

(١) ٣ ك يونس ١٠ .

(٢) ١٦ ك الملك ٦٧ .

(٣) ١٢ م الطلاق ٦٥ .

(٤) ٧ م المجادلة ٥٧ .

من أوله : إن الله افتتح الخبر بعلمه ، وختمه بعلمه .

قال أحمد : وإذا أردت أن تعلم أن الجهمى كاذب على الله حين زعم أنه فى كل مكان ، ولا يكون فى مكان دون مكان ؛ فقل له : أليس الله كان ولا شىء ؟! فيقول : نعم .

فقل له : فحين خلق الشىء خلقه فى نفسه أو خارجاً عن نفسه ؛ فإنه يصير إلى أحد ثلاثة أقاويل :

إن زعم أن الله خلق الخلق فى نفسه كفر حين زعم أن الإنس والجن والشياطين وإبليس فى نفسه ، وإن قال : خلقهم خارج نفسه ثم دخل فهو كفر أيضا حين زعم أنه دخل فى كل مكان وحش وقذن ، وإن قال خلقهم خارجاً عن نفسه ، ثم لم يدخل فهو رجع عن قوله كلمة أجمع ، وهو قول أهل السنة.

قال أحمد : وقلنا للجهمية حين زعمتم أن الله فى كل مكان : أخبرونا عن قول الله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ (١) ، أكان فى الجبل بزعمكم به فلو كان فيه كما تزعمون ، لم يكن جلى له بل سبحانه على العرش فتجلى لشىء لم يكن فيه ، ورأى الجبل شيئا ما رآه قط قبل ذلك . انتهى كلام الإمام أحمد الذى نقلناه من كتاب الرد على الجهمية .

---

(١) ١٤٣ ك الأعراف ٧ .

وروى الخلال عن حنبل قال : قال أبو عبدالله – يعني أحمد – : نحن نؤمن أن الله على العرش بلا كيف بلا حدٍ ولا صفةٍ يبلغها واصف ويحده حد، وصفات الله له ومنه ، وهو كما وصف نفسه لا تدركه الأبصار بحد ولا غاية .

وقال حنبل أيضا : سألت أبا عبدالله عن الأحاديث التى تروى أن الله سبحانه ينزل إلى السماء الدنيا ، وأن الله يرى فى الآخرة ، وأن الله يضع قدمه ، وأشباه هذه الأحاديث ؟ .

فقال أبو عبدالله : نؤمن بها ونصدق ، ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول هو ، ولا نرد على الله قوله ، ولا يوصف بأكثر مما ووصف نفسه بلا حد ولا غاية : ليس كمثله شيء فى ذاته كما وصف نفسه ، قد أجمل الله الصفات لنفسه صفة ليس يشبهه شيء ، وصفاته غير محدودة ، ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه ، قال : فهو سميع بصير بلا حدٍ ولا تقدير ، ولا يبلغ الواصفون صفة ، ولا نتعدى القرآن والحديث فنقول كما قال ، ونصفه بما وصف به نفسه ، ولا نتعدى ذلك ، ونؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ، ولا نزيد صفة من صفات الشناعة شنعت ، وما وصف به نفسه من كلام أو نزول وخلوه بِعبده يوم القيامة ، ووضع كنفه عليه ، فهذا كله يدل على أن الله سبحانه يرى فى الآخرة ، والتحديد فى هذا كله بدعة ، والتسليم فه بغير صفه ، ولا حد إلا بما وصف به نفسه سميع بصير ، لم يزل متكلماً عالماً غفوراً عالم الغيب والشهادة علام الغيوب ، فهذه صفات وصف بها نفسه لا

تدفع ولا ترد ، وهو على العرش بلا حدٍ .

قال ثم استوى على العرش ليس كمثله شىء وهو السميع البصير بلا حدٍ ولا تقدير لا نتعدى القرآن والحديث تعالى الله عما يقول الجهمية والمشبهة .

ما تقول :

قال من قال بصر كبصرى ، ويدٌ كيدى ، وقدم كقدمى فقد شبه الله بخلقه . انتهى .

وكلام الإمام أحمد فى هذا كثير فإنه امتحن بالجهمية رضى الله عنه وعن إخوانه من أئمة الدين .

فصـــل

قد بينا فيما تقدم عقيدة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أسكنه الله الفردوس يوم المآب ، وبينا أن عقيدته هو وأتباعه عقيدة السلف الماضين من الصحابة والتابعين وسائر أئمة الدين الذين رفع الله منازلهم فى العالمين وجعل لهم لسان صدق فى الآخرين .

فشيخنا رحمه الله وأتباعه يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله ﷺ ، ولا يتجاوزون القرآن والحديث ؛ لأنهم متبعون لا مبتدعون ، فلا يكيفون ولا يشبهون ولا يعطلون بل يثبتون جميع ما نطق به الكتاب من الصفات ، وما وردت به السنة بما رواه الثقات ويعتقدون أنها صفات حقيقية منزهة عن الشبه والتعطيل ، فالقول عندهم من الصفات كالقول فى الذات فكما أن ذاته ذات حقيقية لا تشبه الذوات ؛ فصفاته صفات حقيقية لا تشبه الصفات ، وهذا هو اعتقاد سلف الأمة وأئمة الدين ، وهو مخالف لاعتقاد المشبهين ، واعتقاد المعطلين فهو كالخارج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، فهو وسط بين طرفين وهدى بين ضلالتين وحق بين باطلين .

فلما قررنا عقيدتنا فى أول هذا الجواب ، وأوردنا على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة أتبعنا ذلك بفصل ذكرنا فيه بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين وتابعيهم يؤيد ما ذكرناه ، ويحقق ما قلناه ؛ لأنهم مصابيح الدين ،

وقدوة العالمين ، وهم أهل السنة الفصيحة ، واللسان الصديق ، فإن الصحابة رضى الله عنهم ، قد شاهدوا نزول القرآن وتعلموا الدين وفسروه .

منهم قد تلقوا ذلك عن نبيهم ﷺ وتعلمه عنهم التابعون ؛ فتعلموا من الصحابة ألفاظ القرآن ومعانيه، فنقلوا عنهم تأويله كما نقلوا تنزيله ، ونقلوا الأحاديث الواردة فى الصفات، ولم يتأولوها كما تأولها النفاة ، بل أثبتوها صفات حقيقية لرب العالمين منزهة عن تعطيل المعطلين وتشبيه المشبهين ، فإن الصحابة رضى الله عنهم أبو هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً ، وهم سادات الأمة وكاشفوا الغمة، فالمسلمون بهديهم يهتدون، وعلى منهاجهم يسلكون.

ثم إنا لما نقلنا كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم أتبعناه بفصل ذكرنا فيه كلام الأئمة الأربعة أئمة المذاهب المتبعة ليتبين صحة ما قلنا ، وما إليهم نسبناه ، ويعلم من كان قصده الحق أن الأئمة على عقيدة واحدة مجمعون وسلفهم الصالح متبعون ، فلما تبينت ما قلناه واتضح ما قررناه أحببت أن أختم هذا الجواب بفصل أذكر فيه بعض ما قاله العلماء بعدهم ليعلم الطوائف على هذا الجواب أن هذا الاعتقاد الذى ذكرناه هو اعتقاد أهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتأخرهم لأن إجماعهم حجة قاطعة لا تجوز مخالفته ، فكيف وقد بينا النصوص القرآنية والسنة النبوية ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصرا ﴾ (١) .

---

(١) ١١٥ م النساء ٤ .

فصـــل

أقوال بعض العلماء

قال الإمام حافظ الشرق وشيخ الأئمة عثمان بن سعيد الدارى فى كتاب النقض على بشر المريسى : قال الذهبى : لعله الزهرى ، وهو بحلب سمعناه من ابن حفص القواس قال فيه : وقد اتفقت الكلمة من المسلمين على أن الله فوق عرشه فوق سماواته لا ينزل قبل يوم القيامة إلى الأرض ، ولم يشكوا أنه ينزل يوم القيامة ليفصل بين عباده وحاسبهم ، وتشقق السماوات لنزوله ، فلما لم يشك المسلمون أن الله لا ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة لشىء من أمور الدنيا علموا يقيناً أن ما يأتى الناس من العقوبات إنما هو أمره وعذابه كقوله : ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ (١) إنما هو أمره وعذابه ، وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب :

وقد ذكر الحلولى ويحك هذا المذهب أنزه الله من السوء أم مذهب من يقول : هو بكماله وجلاله وعظمته وبهائه فوق سماواته فوق جميع الخلائق فى أعلى مكان وأطهر مكان حيث لا خلق هناك ولا إنس ولا جان أى الحزبين أعلم بالله وبمكانه تعظيماً وإجلالاً له ؟ .

---

(١) ٢٦ ك النحل ١٦ .

وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب : علمه بهم فوق العرش محيط وبصره فيهم نافذ ، وهو بكماله فوق عرشه ، ومع بعد المسافة بينه وبين الأرض يعلم ما فى الأرض .

وقال فى موضع آخر : والقرآن كلام الله وصفة من صفاته خرج منه كما شاء أن يخرج ، والله بكلامه وعلمه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته غير مخلوق ، وهو بكماله على عرشه .

وقال فى موضع آخر وقد ذكر حديث البراء بن عازب الطويل فى شأن الروح وقبضها وفيه :

« فتصعد روحه حتى تنتهى إلى السماء السابعة » وذكر الحديث .

ثم قال فى قوله : ﴿ ولا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ (١) ، دلالة ظاهرة أن الله فوق السماء لأنه لو لم يكن فوق السماء لما عرج بالروح والأعمال إلى السماء ، ولما غلقت أبواب السماء عن قوم وفتحت لآخرين ، وقال فى موضع آخر : ولكن نقول : رب عظيم وملك كبير نور السماوات والأرض وإله السماوات والأرض على عرشه مخلوق عظيم فوق السماء السابعة دون ما سواها من الأماكن من لم يعرفه بذلك كان كافراً به وبعرشه .

---

(١) ٤٠ ك الأعراف ٧ .

قال : وقد اتفقت كلمة المسلمين والكافرين على أن الله فى السماء وعرفوه بذلك إلا المريسى وأصحابه ، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث ، وساق حديث حصين : « كم تعبد ؟ قال سبعة : ستة فى الأرض وواحد فى السماء .

فقال له النبى ﷺ : من الذى تعده لرغبتك ورهبتك ؟ .

قال : الذى فى السماء .

وقال أيضاً فى قول رسول الله ﷺ للجارية: أين الله ؟ تكذيب لمن يقول: فى كل مكان، وأن الله لا يوصف بأين بل يستحيل أن يقال: أين هو والله فوق سماواته باين من خلقه فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذى يعبده .

هذا كله كلام عثمان ابن سعيد فى كتابه المذكور ، وهو الذى قال فيه أبو الفضل القراب : ما رأيت مثل عثمان بن سعيد ، ولا أرى عثمان مثل نفسه، أخذ الآداب عن ابن الأعرابى ، والفقه عن السيوطى ، والحديث عن يحيى ابن معين وعلى بن المدينى ، وأثنى عليه أهل العلم ، وقال الإمام أبو عيسى الترمذى فى جامعه لمَّا روى حديث أبى هريرة ، وهو خبر منكر : قال له الذهبى : لو أدلى أحدكم لحبل لهبط على الله ؟ .

قال معناه : لهبط على علم الله ، قال : وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان ، وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه ، وقال فى حديث أبى هريرة : « إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه » فلما عيروا واحداً من

أهل العلم فى هذا الحديث وما يشبهه من الصفات ، ونزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، قالوا : ثبتت الروايات فى هذا ونؤمن به أولا نتوهم ولا تقول: كيف هكذا أروى عن مالك وابن عيينه وابن المبارك . قال فى هذه الأحاديث : أمرها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات ، وقالوا : هذا تشبيه ، وفسروها على غير ما فسره أهل العلم ، وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده ، وإنما معنى اليد هاهنا النعمة ، وقال إسحاق بن راهوية : إنما يكون التشبيه أصل إذا قال يد كيدى أو مثل يدى ، أو سمع كسمعى ، فهذا التشبيه .

وأما إذا قال كما قال الله : يد وسمع وبصر ، ولا يقول : كيف ، ولا يقول: مثل سمع وكسمعى ، فهذا لا يكون تشبيهاً : قال تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١) .

هذا كلامه كله ، كلام الترمذى – توفى أبو عيسى الترمذى رحمه الله فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين للهجرة ، وقال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى كتاب صريح السنة .

وحسب المرء أن يعلم أن ربه الذى على العرش استوى ، فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر ، وقال فى تفسيره الكبير فى قوله تعالى :

---

(١) ١١ ك الشورى ٤٢ .

﴿ ثم استوى على العرش ﴾ [1] قال : علا وارتفع وقال فى قوله تعالى تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ [2] .

عن الربيع ابن أنس أنه يعنى ارتفع ، وقال فى قوله عز وجل : ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً ﴾ [3] .

يقول : وإنى لأظن موسى كاذباً فيما يقول ويدعى أن له رباً فى السماء أرسله إلينا ، وتفسيره هذا مشحون بأقوال السلف على الإثبات .

وقال فى كتاب التبصير فى معالم الدين : القول فيما أدرك علمه من الصفات خبراً ، وذلك نحو إخباره أنه سميع بصير ، وأن له يدين بقوله : ﴿بل يداه مبسوطتان ﴾ [4] ، وأن له وجهاً بقوله : ﴿ ويبق وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [5] ، وأن له قدماً بقول النبىﷺ « حتى يضع رب العزة فيها قدمه»[6] ، وأنه يضحك بقوله : « لقى الله وهو يضحك إليه » [7] ، وأنه يهبط

---

(١) ٣ ك يونس ١٠ .
(٢) ٢٩ م البقرة ٢ .
(٣) ٤٧ ك غافر ٤٠ .
(٤) ٦٤ م المائدة ٥ .
(٥) ٢٧ م الرحمن ٥٥ .
(٦) ورد فى صحيح البخارى .
(٧) ورد فى سنن ابن ماجه .

إلى سماء الدنيا يخبر النبى ﷺ بذلك ، وأن له أصبعاً بقول رسول الله ﷺ : «ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن» [1] ، فإن هذه المعانى التى وصلت ونظائرها ما وصف الله به نفسه ورسوله ، مما يثبت حقيقة علمه بالفكر والرؤية لا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهائها .

ذكر هذا الكلام عنه أبو يعلى فى كتاب «إبطال التأويل» .

ومن أراد معرفة أقوال السلف التى حكاها عنهم فى تفسيره فليطالع كلامه عن تفسير قوله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ [2] ، وقوله : ﴿ ثم استوى علىٰ العرش ﴾ [3] ، وقوله : ﴿ تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ﴾ [4] .

قال الخطيب : كان بن جرير قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعنى فقيهاً فى الأحكام عالماً بالسنن وبأقوال الصحابة والتابعين إلى أن قال : سمعت على ابن عبيد الله اللغوى يحكى أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب فى كل يوم أربعين ورقة .

---

(١) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٢) ١٤٣ ك الأعراف ٧ .

(٣) ٣ ك يونس ١٠ .

(٤) ٩٠ ك مريم ١٩ .

قال إمام الإئمـة ابن خـزيمة : مـا أعلم على أديم الأرض أحداً أعلم من محمد بن جرير – توفى رحمه الله سنة عشر وثلاثمائة ، وله نحو من تسعين سنة .

وقال إمـام الأئمة أبو بكر مـحمد بن إسحاق ابن خزيمة : مـن لم يقر بأن الله على عرشـه استـوى فوق سبـع سماواته باين من خلقه ؛ فهو كـافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

وأنفى على مـذبلة لئلا يتأذى بريـحه أهل القبلة وأهل الذمة ، وكـان ابن خـزيمة رسا فـى الفقـه ، أخذ الـفقـه عن المزنى ، وهو ممن يمزح أصحـاب الشافعى بما ينصره من مـذهبـه ، ويكاد يقال : ليس فيـهم أعلم منه – توفى سنة إحد عشرة وثلاثمائة عن بضع وثمانين سنة رحمه الله .

ذكر قول إمام الشافعية فى وقته

العباس ابن شريح رضى الله عنه

ذكر أبو القاسم سعد بن على بن محمد الزنجانى فى جوابات المسائل التى سئل عنها بمكة فقال : الحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ، وعلى كل حال ، وصلّ الله على سيدنا محمدٍ المصطفى ، وعلى آله الأخيار الطيبين من الأصحاب والآل ، مسألته أيدك الله بتوفيقه بيان ما صح الذى من مذهب السلف وصالح الخلف فى الصفات الواردة فى الكتاب والسنة ؟

فاستخرت الله عنه وأجبت عنه بجواب بعض الأئمة الفقهاء ، وهو العباس بن شريح رحمه الله ، وقد سئِل عن مثل هذا السؤال فقاله قول وبالله التوفيق : حرام على العقول أن تمثل الله فعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى النفوس أن تفكر وعلى الأفكار أن تحيط وعلى الألباب أن تصف إلا بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، وقد صح وتقدر واتضح عند جميع أهل الديانة والسنة والجماعة من السلف الماضين والصحابة والتابعين من الأئمة المعتمدين الراشدين المشهورين إلى زماننا هذا أن جميع الآى الواردة عن الله فى ذاته وصفاته والأخبار الصادقة الصادرة عن رسول الله ﷺ فى الله وفى صفاته التى صححها أهل النقل نجيب على المرء المسلم الإيمان بكل واحد منه كما ورد ، وتسليم أمره إلى الله كما أمر، وذلك مثل قوله سبحانه : ﴿ هل ينظرون إلا

يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾(1)، وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾(2) ، وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (3)، وقوله : ﴿ والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه ﴾ (4) ونظائرها مما نطق به القرآن كل فوقية والنفس واليدين والسمع والبصر والكلام والعين والنظر والإرادة والرضى والغضب والمحبة والكراهة والعناية والقرب والبعد والسخط والاستحياء والدنوكقاب قوسين أو أدنى ، وصعود الكلام الطيب إليه ، وعروج الملائكة والروح إليه ، ونزول القرآن منه ، وندائه للأنبياء ، وقوله للملائكة ، وقبضه وبسطه، وعلمه ووحدانيته ، وقدرته ومشيئته ، وحمديته ، وفردانيته ، وأوليته وآخريته، وظاهرته وباطنيته، وحياته وبقائه (5)، ونوره وتجليه والوجه ، وخلق آدم بيده، ونحو قوله : ﴿ أأمنتم من السماء ﴾ (6) وسماعه من غيره ، وسماع غيره منه، وغير ذلك من صفاته المذكورة فى كتابه المنزل ، وجميعما لفظ به المصطفى من صفاته كغرسه جنة الفردوس بيده ، وشجرة طوبى بيده ، وخط التوراة بيده، والضحك والتعجب، ووضع القدم ، ، وذكر الأصابع، والنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا ، وكغيرته وفرحه بتوبة العبد ، وأنه ليس بأعور ، وأنه يعرض عما يكره ولا ينظر إليه ، وأن كلتا يديه يمين ، وحديث

---

(1) ٢١٠ م البقرة ٢ .

(2) ٢٢ ك الفجر ٨٩ .

(3) ٥ ك طه ٢٠ .

(4) ٦٧ ك الزمر ٣٩ .

(5) كلمة غير واضحة .

(6) ١٧ ك الملك ٦٧ .

القبضتين ، وله كل يوم كذا نظرة فى اللوح ، وأنه يوم القيامة يحثو ثلاث حثيات من حثياته ، فيدخلهم الجنة ، وحديث القبضة التى يخرج بها من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط ، وحديث أن الله خلق آدم على صورته ، وفى رواية على صورة الرحمن ، وإثبات الكلام بالحروف والصوت، وكلامه للملائكة ولآدم ولموسى ومحمد وللشهداء والمؤمنين عند الحساب وفى الجنة، ونزول القرآن إلى السماء الدنيا، وكون القرآن فى المصاحف ، وما أذن الله لشىء كأنه ليس يتغنى بالقرآن، وصعود الأقوال ، والأعمال والأرواح إليه، وحديث معراج الرسول ﷺ ببدنه ونفسه، وغير هذا مما صح عنه ﷺ من الأخبار المتشابهة الواردة فى صفات الله فى صفات الله سبحانه ما بلغنا وما لم يبلغنا مما صح عن اعتقادنا فيه وفى الآية أى المتشابهة فى القرآن أن نقبلها ولا نردها ، ولا نتاولها بتأويل المخالفين ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها ولا نفسر ولا نكيف ولا نشير إليها بنحواظر القلوب، بل نطلق ما أطلقه الله ونفسر الذى فسره النبى ﷺ وأصحابه والتابعون والأئمة المرضيون من السلف المعروفين بالدين والأمانة ، ونجمع على ما أجمعوا عليه ، ونمسك عما أمسكوا عنه ، ونسلم الخبر لظاهره والآية لظاهرها، لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة ؛ بل نقبلها بلا تأويل ، ونؤمن بها بلا تمثيل ، ونقول الإيمان بها واجب ، والقول سنة ، وابتغاء تأويله بدعة .

هذا آخر كلام أبى العباس بن شريح الذى حكاه أبو القاسى الزنجانى فى أجوبته ، وكان ابن شريح إليه المنتهى فى معرفة المذهب بحيث أنه كان على جميع الشافعى حتى على المرء فى قال أبو إسحاق صاحب التنبيه : سمعت أبا الحسن الشيرحى يقول : إن فهرست كتاب العباس تجتمع على أربعمائه مصنف ، وتوفى فى سنة ستة وثلاثمائة ، رحمه الله .

ذكر قول الإمام الطحاوى إمام الحنفية فى وقته فى الحديث والفقه ومعرفة أقوال السلف

قال فى عقيدته المعروفة عند الحنفية : ذكر بيان السنة والجماعة على مذهب فقهاء ملة أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد رضى الله عنهم .

قول فى توحيد الله معتقدين أن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله مازال بصفاته قديماً قبل خلقه ، وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على نبيه وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حق ، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة ليس بمخلوق ، فمن سمعه ، وزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، والرؤية لأهل الجنة حق بغير إحاطة ولا كيفية ، وكل ما فى ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ ، فهو كما قال ، ومعناه على المراد لا ندخل فى ذلك متأولين بآرائنا ، ولا نثبت قدم الإسلام إلا على أظهر تسليم والاستسلام ، فمن رام ما حصر عنه علمه ، ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد ، وصحيح الإيمان ، ومن لم يتوق النفى والتشبيه زل ، ولم يصبه التنزيه – إلى أن قال : والعرش والكرسى حق كما بيّن فى كتابه ، وهو مستغن عن العرش وما دونه ، محيط بكل شيء وفوقه ، وذكر سائر الاعتقادات الطحاوى ، هذا هو أحمد بن محمد بن سلامة الأذرى انتهت إليه رياسة أصحاب أبى حنيفة فى زمنه ، وروى عن أصحاب ابن عيينة وابن وهب ، وتصانيفه شهيرة– توفى سنة إحدى وعشرين وثلاثمائه عن ثلاث وثمانين سنة .

ذكر قول الإمام أبى محمد عبد الله ابن سعيد الكلابــى إمام الطائفــة الكلابيــة

وكان من أعظم الناس إثباتاً للصفات والفوقية وعلو الله على عرشه منكراً لقول الجهمية ، وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب ، وأن القرآن معنى قائم بالذات ، وهو أربع معانٍ ، ونصر طريقته أبو العباس القلان ، وأبو الحسن الأشعرى ، وخالفه فى بعض الأشياء ، ولكن على طريقته فى إثبات الصفات والفوقية وعلو الله على عرشه كما سيأتى حكاية كلامه بألفاظه إن شاء الله تعالى .

حكى بن خورك فى كتاب المجرد فيما جمعه من كلام بن كلاب أنه قال وأخرج من النظر والخبر قول من قال : لا هو فى العالم ولا خارجاً منه ، فنفاه نفياً مستوياً لأنه لو قيل له صفه بالعدم لما قدر أن يقول أكثر من هذا ، ورد أخبار الله أيضاً ، وقال فى ذلك ما لا يجوز فى نص ، ولا معقول ، ثم قال : ورسول الله ﷺ ، وهو صفوة الله فى خلقه وخيرته من بريته أعلمهم بالأبعدين ، واستصواب قول القائل : إنه فى أسماء ، وشهد له بالإيمان عند ذلك ، وجهم بن صفوان وأصحابه لا يجيزون الأين ويحيلون القول به ، قال : ولو كان خط لكان رسول الله ﷺ أحق بالإنكار ، وكان ينبغى أن يقول لها : لا تقعد لى ذلك فتوهم أنه محدود ، وأنه فى مكان دون مكان ، ولكن قولى :

إنه فى كل مكان ، لأنه هو الصواب دون ما قلت كلا ، فلقد أجازه رسول الله ﷺ مع علمه بما فيه وأنه من الإيمان بالأمر الذى يجب له الإيمان لقائله ومن أجله شهد لها بالإيمان حين قالته ، وكيف يكون الحق فى خلاف ذلك والكتاب ناطق بذلك ، ومشاهد له ، وقد غرس فى بنيته الفطرة ، ومعارف الآدميين من ذلك ما لا شيء البين منه ولا أوكد ؛ لأنك لا تسأل أحداً من الناس عنه عربياً ولا عجمياً ، ولا مؤمناً ولا كافراً ، فنقول : أين ربك ؟ إلا قال فى السماء ، أفصح وأؤمن بيده أو أشار بطرفه إن كان لا يفصح ولا يشير إلى غير ذلك ، ولا رأيت أحداً دعا له دعاءً إلا رافعاً يده إلى السماء ، ولا وجدنا أحداً غير الجهمية يسأل عن ربه فيقول : فى كل مكان كما يقولون ، وهم يدعون أنهم أفضل الناس كلهم فتاهت العقول وسقطت الأخبار واهتدى جهم وخمسون رجلاً معه – نعوذ بالله من مضلات الفتن انتهى كلامه .

ذكر قول الإمام أبى الحسن الأشعرى

إمــام الطائفــة الأشعريــــــة

قال فى كتابه الذى سماه اختلاف المضلين ومقالات الإسلاميين ، فذكر فرق الخوارج الروافض والجهمية وغيرهم إلى أن قال : ذكر مقالات أهل السنة وأصحاب الحديث جملة قولهم : الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ، وأن الله على عرشه كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ؛ وأن أسماء الله لا يقال : إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن الله عالم ، ولم ينف ذلك عن الله كما نفت المعتزلة ، ويقولون القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويصدقون بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر ... كما جاء الحديث ، ويقرون أن الله يجىء يوم القيامة كما قال : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ (١) ، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء إلى أن قال : فهذا جملة ما يأسرون به ويستعملونه ، ويروونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول : وإليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله.

وذكر الأشعرى فى هذا الكتاب المذكور فى باب أهل البارى سبحانــه

---

(١) سورة الفجر آية رقم « ٢٢ » .

وتعالى فى مكان دون مكان ؟

فقال : اختلفوا فى ذلك على سبع عشرة مقالة : منها قال أهل السنة وأصحاب الحديث : إن الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء ، وأنه على العرش كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ولا ننفى بين بيد الله بالقول : بل نقول استوى بلا كيف وأن له يدين كما قال : خلقت ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء الحديث ، ثم قال : وقالت المعتزلة : استوى على عرشه بمعنى استولى ، وتؤلوا اليد بمعنى النعمة ، وقوله : ﴿ تجرى بأعيينا ﴾ [١] أى بعلمنا ، وقال أبو الحسن الأشعرى فى كتاب جمل المقالات هذه : حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما تلقاه الثقات من رسول الله ﷺ لا يردون شيئاً من ذلك ، وأن الله واحد فرد صمد ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن الله على عرشه كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، وأن له يدين بلا كيف كما قال : ﴿ خلقت بيدى ﴾ [٢] ، وكما قال : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ [٣] ، وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ [٤]،

---

(١) ١٤ ك القمر ٥٤ .

(٢) ٧٥ ك ص ٣٨ .

(٣) ٦٤ م المائدة ٥ .

(٤) ١٤ ك القـمـر ٥٤ .

وأن له وجهاً كما قال : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (١) .

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف للفظ من قال بالوقف أو باللفظ فهو مبتدع عندهم ، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون : إن الله يُرى بالأبصار يوم القيامة . كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون بيان عنه ولا يراه الكافرون لأنهم عنه محجوبون ، ثم ساق بقية قولهم ، وقال في هذا الكتاب : وقال المعتزلة : إن الله استوى على عرشه بمعنى استولى . هذا نص كلامه .

وقال في هذا الكتاب أيضاً : وقالت المعتزلة في قول الله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ يعني استولى ، قالت وتأولت اليد بمعنى النعمة ، وقوله : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ (٢) ، أي بعلمنا ، قال الأشعرى رحمه الله : إنما حكى تأويل الاستواء بالاستيلاء عن المعتزلة والجهمية ، وصرح بخلافه ، وأنه خلاف قول أهل السنة .

وقال الأشعرى أيضاً في كتاب الإبانة في أصول الديانة له في باب الاستواء قيل له : تقول : إن الله استوى على عرشه كما قال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾

---

(١) ٢٧ م الرحمن ٥٥ .

(٢) ١٤ ك القمر ٥٤ .

وقال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ (١) ، وقال : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ (٢) .

وقال حكاية فرعون : ﴿ يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً ﴾ (٣) كذب موسى فى قوله : إن الله فوق السماوات ، وقال عز وجل : ﴿ أأمنتم من السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ (٤) .

فالسماوات فوقها العرش ، فلما كان العرش فوق السماوات ، وكل ما علا فهو سماء ، وليس إذا قال : أأمنتم من السماء يعنى جميع السماوات ، وإنما أراد العرش الذى هو أعلى السماوات .

قال : ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله مستو على العرش الذى هو فوق السماوات فلو أدان الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى استوى استولى وملك وقهر ، وأنه تعالى فى كل مكان ، وجحدوا أن يكون على عرشه ، وذهبوا فى الاستواء إلى القدرة ، فلو كان كما قالوا ؛ كان

(١) ١٠ ك فاطر ٣٥ .

(٢) ١٥٨ النساء ٤ .

(٣) ٣٧ ك غافر ٤٠ .

(٤) ١٧ ك الملك ٦٧ .

لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة لأنه قادر على كل شيء ، وكان لو كان مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء مجازان يقال : هو مستوٍ على الأشياء كلها ، ولم نجد عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله مستوٍ على الأخيلة والحشوش ، فبطل أن يكون الاستواء على الاستيلاء وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك .

وكتاب الإبانة من أشهر تصانيف أبى الحسن المشهورة .

الحافظ بن عساكر اعتمد عليه ونسخه بخط الإمام محيى الدين النووى.

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذى ينسبون إليه الأشاعرة اليوم لأنه إمام الطائفة المذكورة ، كيف صرح بأن عقيدته فى آيات الصفات وأحاديثها اعتقاد أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين وأئمة الدين ، ولم يحك تأويل الاستواء بالاستيلاء واليد بمعنى النعمة ، والعين بمعنى العلم إلا المعتزلة والجهمية ، وصرح أنه خلاف قوله لأنه خلاف قول أهل السنة ، والجماعة ، ثم نجد المنتسبين إلى عقيدة الأشعرى قد صرحوا فى عقائدهم ومصنفاتهم من التفاسير وشروح الحديث بالتأويل الذى أنكره إمامهم ، وبين أنه قول المعتزلة والجهمية ، وينسبون هذا الاعتقاد إلى الأشعرى ، وهو قد أنكره ورده وأخبر أنه على عقيدة السلف من الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم ، وأنه على عقيدة الإمام أحمد كما سيأتى لفظه بحروفه إن شاء الله .

وأعجب من هذا أنهم يذكرون فى مصنفاتهم أن عقيدة السلف أسلم

وعقيدة الخلف أعلم وأحكم ، فسبحان مقلب القلوب كيف يشاء !! كيف يجتمع في قلب من عقل ومعرفة أن الصحابة أبو هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأنهم الذين شاهدو التنزيل وعلموا التأويل ، وأنهم أهل اللغة والفصاحة واللسان العربي ، والذين نزِّل القرآن بلغتهم ، وأنهم الراسخون في العلم حق ، وأنهم متفقون على عقيدة واحدة ، لم يختلف في ذلك منهم اثنان .

ثم التابعون بعدهم سلكوا سبيلهم ، واتبعوا طريقهم ، ثم الأئمة الأربعة وغيرهم مثل السفياني والأوزاعي وابن المبارك وإسحق وغيرهم من أئمة الدين رفع الله قدرهم بين العالمين ، وجعل لهم لسان صدق في الآخرين ، كل هؤلاء على عقيدة واحدة مجموعون ، ولكتاب ربهم وسنة نبيهم متبعون، ثم بعد معرفته لهذا وإقراره بقوم من القبلة أن عقيدة الخلف أعلم وأحكم من طريقة السلف ، فسبحان من يحول بين المرء وقلبه ؛ فيهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله ، ولا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ! .

وكيف يكون الخالفون أعلم من السابقين ، بل من زعم هذا فهو لم يعرف قدر السلف بل ، ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين حقيقة المعرفة المطلوبة ، فإن هؤلاء الذين يفضلون طريقة الخلف ، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث عن فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : ﴿ لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ (١) .

---

(١) ٧٨ م البقرة ٢ .

وإن طريقة الخلف هى استخراج معانى النصوص عن حقائقها بأنواع المخازن وغراسة اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة كما قدمنا ، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا فى تصويب طريقة الخلف ؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة الخلف والسلف ، وبين الجهل وضلال بتصويب طريقة ، وكيف يكون الخلف أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم فى باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من أهل العلم والإيمان ، الذين هم أعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذا هدانا ، وأن يهب لنا ولإخواننا المسلمين من لدنه رحمة إنه هو الوهاب .

وإنما ذكرنا فى أثناء هذا الكلام آراء الإمام أبى الحسن الأشعرى لأن أهل التأويل اليوم الذين يأخذون بطريقة الخلف ينتسبون إلى عقيدة الأشعرية ، فيظن من لا علم عنده أن هذا التأويل طريقة أبى الحسن الأشعرى ، وهو رضى الله عنه قد صرح أنه على طريقة السلف ، وأنكر من تأول النصوص، كما هو مذهب الخلف ، وذكر أن التأويل مذهب المعتزلة والجهمية .

قال الإمام : مذهبى فى كتاب العلو : قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : سمعت أبا على الدقاق يقول : سمعت زاهر بن أحمد الفقيه يقول : مات الأشعرى رحمه الله ، ورأسه فى حجرى ، فكان يقول شيئاً فى حال نزعه : لعن الله المعتزلة . موّهوا ومخرقوا .

وقال الحافظ الحجة أبو القاسم ابن عساكر كتاب تبيين كذبة المفترى فيما

نسب إلى الأشعرى ؛ فإذا كان أبو الحسن رحمه الله كما ذكر عنه من حسن الاعتقاد مستصوب المذهب عند أهل المعرفة والانتقاد يوافقه فى أكثر ما يذهب إليه أكابر العباد ، ولا يقدح فى مذهبه غير أهل الجهل والعناد ، فلابد أن يحكى عنه معتقده على وجهه بالأمانة ؛ لتعلم حاله فى صحة عقيدته فى الديانة ، فاسمع ما ذكره فى كتاب الإبانة فإنه قال :

الحمد لله الواحد العزيز الماجد المتفرد بالتوحيد المتمجد بالتمجيد الذى لا تبلغه صفات العبيد وليس له مثل ولا نديد .

وساق خطبة رد فيها على المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، وبين فيها مخالفة المعتزلة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة – إلى أن قال : فإن قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا حق لكم الذى تقولون وديانتكم التى بها تدينون ، قيل له : قولنا الذى به نقول وديننا التى بها ندين: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصون وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضَّر الله وجهه ، قائلون وعن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به المبتدعين وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم وكبير معهم وعلى جميع أئمة المسلمين ، وجملة قولنا : أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لا

نرد من ذلك شيئاً ، وأن الله إله واحد فرد صمد لا إله غيره لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله تعالى مستو على عرشه كما قال: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، وأن له وجهاً كما قال تعالى : ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ [١] وأن له يدين كما قال : ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ [٢] ، وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿ تجرى بأعيننا ﴾ [٣] ، وأن من زعم أن اسم غيره كان ضالاً ، وأن الله عالم كما قال : ﴿ أنزله بعلمه﴾ [٤] ، ونثبت لله قدره ، ونثبت له السمع والبصر ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة ، والخوارج والجهمية ، ونقول : إن كلام الله غير مخلوق وأنه لا يكون فى الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله ، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة له ، كما قال : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ (٥) ، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره ، ونقول : إن القرآن كلام الله غير مخلوقٍ وأن من قال

---

(١) ٢٧ م الرحمن ٥٥ .

(٢) ٦٤ م المائدة ٥ .

(٣) ١٤ ك القمر ٥٤ .

(٤) ١٦٦ م النساء ٤ .

(٥) ٩٦ ك الصافات ٣٧ .

بخلق القرآن كان كافراً ، ولدينا أن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ، ونقول : إن الكافرين إذا رآه المؤمنون محجوبون ، كما قال : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ (١) .

ونقول : إن الإسلام أوسع من الإيمان ، وليس كل إسلام إيمان ، وندين أن الله تعالى مقلب القلوب ، وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه ، وأنه يطأ السماوات على أصبع والأراضين على إصبع كما جاءت الرواية به عن رسول الله ﷺ ، وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ونصدق الرويات التى رواها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا ، وأن الرب يقول : هل من سائل هل من مستغفر ، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلاف ما قاله أهل الزيغ والتضليل ، ولا نبتدع فى دين الله بدعة لم يأذن الله بها ، ولا نقول على الله ما لا نعلم ، ونقول : إن الله يجيء يوم القيامة كما قال : ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾(٢) ، وأن الله يقرب من عباده كيف يشاء ، كما قال : ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (٣) .

---

(١) ١٥ ك المطففين ٨٣ .

(٢) ٢٢ ك الفجر ٨٩ .

(٣) ١٦ ك ق ٥٠ .

وكما قال : ﴿ ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ [1] ، إلى أن قال : ونرى مفارقة كل داعية إلى بدعة ومجانبته أهل الأهواء ، وسنحتج لما ذكرناه مما قلنا ، وما بقي منه باباً باباً ، وشيئاً شيئاً ، ثم قال بن عساكر : فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه ، واعترفوا بفضل هذا الإمام الذى شرحه وبينه . انتهى .

وكان أبو الحسن الأشعرى أول معتزلى أخذ عن أبى على الجبائى ثم نابذه وصار متكلماً للسنة ، ووفق أئمة الحديث فى جمهور ما يقولون وهو ما سقناه عنه – توفى فى سنة أربعة وعشرين وثلاثمائة وله من العمر أربعة وستون سنة رحمه الله تعالى .

---

(١) سورة النجم الآيتان ، ٨،٩ .

ذكر قول أبى الحسن على ابن مهدى
الطبـرى المتكلم تلميـذ الأشعـرى

قال فى كتاب مشكل الآيات له فى باب قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ .

اعلم أن الله فى السماء فوق كل شىء مستوٍ على عرشه بمعنى أنه عالٍ عليه ، ومعنى الاستواء : الاعتلاء ، كما تقول العرب : استويت على ظهر الدابة ، واستويت على السطح بمعنى علوته ، واستوت الشمس على رأسى ، واستوى الطير على رقبة رأسى بمعنى علا فى الجو فوجد فوق رأسنا ، فالقديم جل جلاله عالٍ على عرشه بذلك على أنه فى السماء على عرشه قوله : ﴿أأمنتم من السماء ﴾ (١) ، وقوله :

﴿ يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ﴾ (٢) .

وزعم البلخى أن استواء الله على العرش هو الاستيلاء عليه المأخوذ من قولهم: استوى بشر على العراق أى استولى عليها .

---

(١) ١٧ الملك ٦٧ .

(٢) ٥٥ م آل عمران ٣ .

قال : ويدل على أن الاستواء هاهنا ليس الاستيلاء أنه لو كان كذلك لم يكن ينبغى أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه ، إذ هو مستولٍ على العرش ، وعلى الخلق ، ليس للعرش مزية على ما وصفته ، فإن بذلك فساد قوله : ثم يقال له أيضاً : إن الاستواء ليس هو الاستيلاء الذى هو من باب قول العرب : استوى فلان : أى استولى إذا تمكن بعد أن يكون متمكناً ، فلما كان البارى عز وجل لا يوصف بالتمكين بعد أن لم يكن متمكناً لم يُصرف معنى الاستواء إلى الاستيلاء ، ثم قال : فإن قيل ما يقولون فى قوله تعالى : ﴿أأمنتم من السماء﴾ ؟ قيل له معنى ذلك أنه فوق السماء على العرش كما قال: ﴿ فسيحوا فى الأرض ﴾ [١] بمعنى على الأرض ، قال : ﴿ ولأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ [٢] ، فإن قيل : ما تقولون فى قوله تعالى : ﴿ وهو الله فى السماوات وفى الأرض ﴾ [٣] ؟

قيل له : إن بعض القراء يجعل الوقف ﴿ فى السموات ﴾ ثم يبدأ : ﴿ وفى الأرض يعلم سركم ﴾ [٤] ، وكيف ما كان ، فلو أن قائلاً قال : فلان بالشام والعراق ملك يدل على أن ملكه بالشام والعراق ؛ لأن ذاته فيهما .

---

(١) ٢ م التوبة ٩ .

(٢) ٧١ ك طه ٢٠ .

(٣) ٣ ك الأنعام ٦

(٤) ٣ ك الأنعام ٦ .

ذكر قول الإمام الزاهر

أبى عبد الله بن بطة

قال فى كتاب الإبانة ، وهو ثلاث مجلدات – باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه ، وعلمه محيط بخلقه أجمع .

المسلمون من الصحابة والتابعين على أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه ، فأما قوله : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [1] ، فهو كما قالت العلماء.

واحتج الجهمى بقوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ [2] فقال معنا وفينا ، وقد فسر العلماء أن ذلك علمه ، ثم قال تعالى فى آخرها : ﴿إن الله بكل شىء عليم ﴾ [3]، ثم إن ابن بطة سرد بأسانيده من أقوال مَنْ قال علمه ، فذكره عن الضحاك والثورى ونعيم بن حماد وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهويه ، وكان ابن بطة من كبار الأئمة رضى الله عنه ، سمع من البغوى وطبقته ، وتوفى فى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة .

---

(١) ٤ م الحديد ٥٧ .

(٢) ٧ م المجادلة ٥٨ .

(٣) ٩٧ م المائدة ٥ .

ذكر قول الإمام أبى محمد ابن أبـى زيد المغربى القيروانى شيخ المالكية وقته

قال فى أول رسالته المشهورة فى مذهب الإمام مالك : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ، وأنه فى كل مكان بعلمه .

قال الإمام أبو بكر محمد بن موهب المالكى فى شرحه رسالة ابن أبى زيد :

لما ذكر قوله : وأنه تعالى فوق عرشه المجيد : معنى فوق وعلى واحد عند جميع العرب ، ثم ساق الآيات والأحاديث – إلى أن قال : وقد تأتى لفظة فى لغة العرب بمعنى : فوق كقوله : فأشرفى منك بها فأكبها :

﴿ أأمنتم من السماء ﴾ (١) ، قال أهل التوحيد : يريد فوقها ، وهو قول مالك مما فهمه عن التابعين مما فهموا عن الصحابة مما فهموه عن النبى ﷺ أن الله فى السماء يعنى فوقها ، فذلك قال الشيخ أبو محمد : إنه فوق عرشه ، ثم بيّن كون أن فوق عرشه إنما هو بذاته بائن عن جميع خلقه بلا كيف ، وهو بكل مكان بعلمه لا بذاته ولا تحويه الأماكن ؛ لأنه أعظم منها . انتهى كلام الشارح .

---

(١) ١٧ ك الملك ٦٧ .

وذكر ابن أبى زيد رحمه الله : الفرد فى السنة تقريراً لعلو واستواء الرب على العرش بذاته وقدره تقديراً .

وقال فى مختصر المدون : إنه تعالى فوق عرشه بذاته فوق سماواته دون أرض .

وقال الحافظ الذهبى : لما ذكر قول بن أبى زيد ، وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته ، وقد تقدم مثل هذه العبارة عن أبى جعفر ابن أبى شيبة ، وعثمان بن سعيد الدارمى ، وكذلك أطلقها يحيى بن عمار واعظ سجستان فى رسالته ، والحافظ أبو النصر السجزى فى كتاب الإبانة له فإنه قال : وأئمتنا كالثورى ، ومالك والحمادين وابن عيينة وابن المبارك والفضيل وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته ، وأن علمه بكل مكان ، وكذلك أطلقها ابن عبد البر ، وكذا عبارة شيخ الإسلام أبى إسماعيل الأنصارى ؛ فإنه فى أخبا الشىء : إن الله فى السماء السابعة على العرش بنفسه ، وكذا قال أبو حسن الكرخى الشافعى فى تلك القصيدة

عقائدهم أن الإله بذاته   على عرشه مع علمه ...

وعلى هذه القصيدة مكتوب بخط العلامة تقى الدين ابن الصلاح ، وهذه عقيدة أهل السنة وأصحاب الحديث ، وكذا أطلق هذه اللفظة أحمد بن الطرقى الحافظى ، والشيخ عبد القادر الجيلانى ، والمفتى عبد العزيز القحطى، وطائفة .

والله تعالى خلق كل شيء بذاته ، ومدبر الخلائق بذاته بلا معنى ولا موازر ، وإنما أراد ابن أبى زيد وغيره التفرقة بين كونه معنا ، وبين كونه فوق العرش ، فهو معنا بالعلم ، وهو على العرش كما أعلمنا : حيث يقول :

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [1] ، وقد تلفظ بالكلمة المذكورة جماعة من العلماء كما قدمنا، وبلا ريب، إن فضول الكلام تركه من حسن الإسلام .

وكان ابن أبى زيد من العلماء العاملين بالمغرب ، وكان يلقب بمالك الصغير ، وكان غاية فى معرفة الأصول ، وقد تعمقوا عليه فى قوله بذاته فليته تركها . انتهى كلام الذهبى .

توفى ابن أبى زيد سنة ستة وثمانين وثلاثمائة ، وقيل سنة تسعة وثمانين وثلاثمائة .

---

(١) ٥ ك طه ٢٠ .

ذكــر قــول القاضـــى
أبى بكر بن الطيب البلقانى الأشعرى

قال فى كتاب التمهيد فى أصول الدين ، وهو من أشهر كتبه : فإن قال قائل : فهل تقولون : إن الله فى كل مكان ؟

قيل : معاذ الله ، بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر فى كتابه فقال : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (١) وقال : ﴿ أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ (٢) ، ولو كان فى كل مكان لكان فى جوف الإنسان وفى فمه وفى الحشوش والمواضع القذرة التى يرغب عن ذكرها تعالى الله عن ذلك .

ثم قال فى قوله: ﴿ وهوالذى فى السماء إله وفى الأرض إله ﴾ (٣) المراد أنه إله عند أهل السماء وإله عند أهل الأرض كما تقول العرب : فلا نبيل فى المصريين أى عند أهلها ولا يعنون ذات المذكور بالحجاز والعراق موجودة ، وقوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (٤) يعنى باللفظ النصر والتأييد، ولم يرد أن ذاته معهم تعالى، وقوله: ﴿ إنى معكما أسمع وأرى ﴾ (٥)

---

(١) ٥ ك طه ٢٠ .
(٢) ١٧ ك الملك ٦٧ .
(٣) ٨٤ ك الزخرف ٤٣ .
(٤) ١٢٨ م النحل ١٦ .
(٥) ٤٦ ك طه ٢٠ .

محمول علمه هذا التأويل ، وقوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾[1] يعنى أنه عالم بهم ، وبما خفى من سرهم ونجواهم ، وهذا إنما يستعمل كما ورد به القرآن ، فلذلك لا يجوز أن يقال : قياسياً على هذا : إن الله بالغير ، وأن ومجانبه الإسلام ودمشق وأنه مع الثور والحمار ، وأنه مع الفساق ومع المصعدين إلى الخلوان حلوان قياساً على قوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ فوجب التأويل على ما وصفناه ولا يجوز أن يكون معنى استوائه على العرش هو استيلائه كما قال الشاعر : استوى بشر على العراق .

لأن استيلاءه هو القدرة والقهر ، والله تعالى لم يزل قادراً قاهراً وقوله : ﴿ ثم استوى ﴾ يقتضى استفتاح هذا الوصف بعد ان لم يكن ، فبطل ما قاله .

ثم قال : باب فإن قال قائل : فَفَصِّلوا لنا صفات ذاته عن صفات أفعاله لنعرف ذلك .

قيل له : صفات ذاته هى التى لم يزل ولا يزال موصوف بها ، وهى الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام والبقاء والوجه واليدان والعينان والغضب والرضى .

وصفات فعله : هى الخلق والرزق والعدل والإحسان والتفضل ، والإنعام والثواب والعقاب والحشر والنشر .

---

(١) ٧ م المجادلة ٥٨ .

وكل صفة كان موجود قبل فعله لها ، ثم ساق الكلام فى الصفات .

وقال فى كتاب : الذب عن أبى الحسن الأشعرى : كذلك قولنا فى جميع المروى عن رسول الله ﷺ فى صفات الله إذا صح من إثبات اليدين والوجه والعينين ، ونقول : إنه يأتى يوم القيامة فى ظلل من الغمام ، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما فى الحديث ، وأنه مستوٍ على عرشه – إلى أن قال : وقد بينا دين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت بغير تكييف ولا تحديد ولا تجسيد ولا تصوير كما روى عن الزهرى عن مالك فى الاستواء : فمن تجاوز هذا فقد تعدى وابتدع وضل . انتهى .

قال الحافظ شمس الدين الذهبى : لما ذكر كلامه هذا ، فهذا نص الإمام وأين مثله فى تبحره وذكائه وبصر بالملل والنحل ، فلقد امتلأ الوجود بقوم لا يدرون ما السلف ، ولا يعرفون إلا السلب ونفى الصفات وردها صم بكم عمى بما يدعون إلى العقل ولا يكون على النقل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

مات القاضى أبو بكر فى سنة ثلاث وأربعمائة وهو فى عشر السبعين .

ذكر قول الإمام الحافظ أبى عمر أحمد ابن محمد ابن عبدالله الأندلسى الطلمنكى المالكى فى كتاب الأصول

وهو مجلدان :

أجمع المسلمون من أهلِ السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته . وقال فى هذا الكتاب أيضاً : أجمع أهل السنة علماً أن الله على عرشه عن حقيقة لا علم المجاز ، ثم ساق بسنده عن مالك قوله تعالى : الله فى السماء وعلمه فى كل مكان ثم قال فى هذا الكتاب : وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ (١) ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السماوات بذاته مستوٍ عليه كيف يشاء . هذا لفظه فى كتابه .

فانظر إلى حكايته إجماع المسلمين من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته وأطلق هذه اللفظة غير واحد من أئمة السنة ، وحكاها كثير من العلماء من الأئمة الكبار كما تقدم عن الحافظ أبى النصر السجزى وغيره،

(١) ٤ م الحديد ٥٧ .

فكيف نقومها على ابن أبى زيد وحده لما ذكرها فى رسالته كما ذكره الذهبى.

وكان الطلمنكى هذا من كبار الحفاظ وأئمة القراء بالأندلس – عاش بضع وثمانين سنة ، وتوفى سنة تسعة وعشرين وأربعمائة .

ذكر قول أبى عثمان شيخ الإسلام ابن
عبد الرحمن النيسابورى الصابونى

قال فى رسالته فى السنة : ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سماواته على عرشه كما نطق به كتابه ، وعلماء الأئمة وأعيان من السلف لم يختلفوا أن الله على عرشه فوق سماواته وإمامنا الشافعى احتج فى المبسوط فى مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة فى الكفارة بخبر معاوية بن الحكم فسأل رسول الله ﷺ الأمة السوداء ، ليعرفوا أهى مؤمنة أم لا .

فقال لها : أين ربك ؟

فأشارت إلى السماء إذ كانت أعجمية .

فقال: أعتقها فإنها مؤمنة .

حكم بإيمانها لما أقرت بأن ربها فى السماء ، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية .

كان الصابونى هذا فقيهاً محدثاً وصوفياً واعظاً ، كان شيخ نيسابورى فى زمانه له تصانيف حسنة من أصحاب بن خزيمة والسراج ، وتوفى سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

ذكر قول الإمام العالم العلامة حافظ المغرب إمام السنة فى زمانه أبى عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمرى الأندلسى

صاحب التمهيد والاستذكار والتصانيف النفيسة .

قال فى كتاب التمهيد فى شرح الحديث الثامن لابن شهاب حديث النزول : هذا حديث صحيح الإسناد لايختلف أهل الحديث فى صحته ، وفيه دليل على أن الله عز وجل فى السماء على العرش من فوق سبع سماواته كما قالت الجماعة ، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية فى قولهم : إن الله فى كل مكان وليس على العرش ، والدليل على صحته ما قاله أهل الحق فى ذلك قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [١] ، وقوله : ﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ [٢] ، ومعنى من فى السماء يعنى على العرش ، وقد تكون فى بمعنى على ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ فسيحوا فى الأرض ﴾ [٣] أى على الأرض ، وكذلك قوله : ﴿ لأصلبنكم فى جذوع النخل ﴾ [٤] ، وهذا يعضد قوله :

---

(١) ٥ ك طه ٢٠ .   (٢) ١٧ ك الملك ٦٧ .

(٣) ٢ م التوبة ٩ .   (٤) ٧١ ك طه ٢٠ .

﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ (١) ، وما كان مثله من الآيات ، وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة ، وأما دعواهم المجاز في الاستواء ، وقولهم في تأويل استوى استولى فلا معنى لأنه غير ظاهر في اللغة ، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة ، والله لا يغلبه أحد ، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الألسنة ، إنه يريد به المجاز إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل من ربنا لا على ذلك ، ولو ساغ أدى المجاز لكل مدع فأثبت لشيء من العبادات ، وجل الله أن يخاطب الأمة إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطبتها مما يصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم باللغة مفهوم وهو العلو والارتفاع على الشيء والاستقرار والتمكين فيه .

قال أبو عبيدة في قولة : ﴿ الرحن على العرش استوى ﴾ قال : علا ، قال : وتقول العرب : استويت فوق الدابة واستويت فوق البيت ، وقال غيره : استوى أبي : استقر ، واحتج بقوله : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ (٢) أي انتهى شبابه ، واستقر فلم يكن في شبابه مزيد .

قال بن عبد البر : والاستواء الاستقرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله عز وجل في كتابه فقال : ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ (٣) الآية .

---

(١) ٤ ك المعارج ٧٠ .

(٢) ١٤ ك القصص ٢٨ .

(٣) ١٣ ك الزخرف ٤٣ .

وقـال : ﴿ فـإذا اسـتـويت أنت ومن مـعك على الفلك ﴾ [١] ، وقـال ، ﴿واستوت على الجودى ﴾ [٢] .

وأما من منعهم بحديث يرويه عبدالله بن داود الواسطى عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبدالله بن مـجاهد عن أبيـه عن ابن عباس فـى قوله : ﴿الرحـمن على العرش استوى ﴾ استوى على جـميع بريتـه فلا يخلوا من مكان ؟

فالجواب : أن هذا حديث منكر ونـقلته مجهولون وضعيـف . فأما عبدالله ابن داود الواسطى وابن مجاهد فضعيفان ، وإبراهيم ابن عبد الصمد مجـهول لا يعرف ، وهم لا يقولون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتـجاج بمثل هذا من الحديث ؟ .

لو عقلوا ما سمعوا قوله تعالى : ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنه لأظنه كاذبا ﴾[٣] فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول : إلهى فى السماء ، وفرعون يظنه كاذباً ، فإن احتج بقوله تعالى : ﴿ وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ﴾،

---

(١) ٢٨ ك المؤمنون ٢٣ .

(٢) ٤٤ ك هود ١١ .

(٣) ٣٧ ك غافر ٤٠ .

وبقوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ ، وزعموا أن الله فى كل مكان بنفسه وذاته تبارك اسمه وتعالى جده قيل لهم : لا خلاف بيننا وبينكم وبين سائر الأمة أنه ليس فى الأرض دون السماء بذاته ، نوجب حمل هذه الآيات على المعنى الصحيح المجتمع عليه ، وذلك فى السماء أنه معبود أهل السماء ، وفى الأرض أنه معبود أهل الأرض ، وكذلك قال أهل التفسير .

وظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش ، فالاختلاف فى ذلك ساقط وأسعد الناس به من السعادة الظاهرة .

وأما قوله فى الآية الأخرى : ﴿ وفى الأرض إله ﴾ فالإجماع والاتفاق قد بيّن أن المراد بأنه معبود أهل الأرض ؛ فتدبر هذا فإنه قاطع ، ومن الحجة أيضاً فى أنه عز وجل على العرش فوق السماوات السبع ، أن الموحدين من العرب والعجم إذا أكبرهم أمر أو نزل بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء ونصبوا أيديهم رافعين لها مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى .

هذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج إلى كثير حكاية ، وقد قال ﷺ للأَمَةِ السوداء : أين الله ؟ فأشارت إلى السماء ، ثم قال لها من أنا ؟ قالت رسول الله . قال فاعتقها فإنها مؤمنة ، فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفعها رأسها إلى السماء .

قال: وأما احتجاجهم بقوله: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾

فلا حجة لهم فى ظاهر هذه الآية ، وهو على العرش وعلمه فى كل مكان ، وذلك سنيد عن الضحاك فى هذه الآية ، قال : هو على العرش وعلمه معهم أينما كانوا ، قال ويلفظ عن سفيان الثورى مثله ، وقال عبدالله ابن مسعود قال: « ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام ، وأمّا ما بين السماء السابعة إلى الكرسى مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسى إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله تبارك وتعالى على العرش ويعلم أعمالكم » .

وقد ذكر هذا الكلام أو قريباً منه فى كتاب الاستذكار ، وقال أبو عمر أيضا : أجمع العلماء والصحابة والتابعون الذين حمل عنهم التأويل قالوا فى تأويل قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ هو على العرش وعمله فى كل مكان ، وما خالفهم فى ذلك أحد يحتج بقوله ، وقال أيضا : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة فى الكتاب والسنة وحملها على الحقيقة لاعلى المجاز ؛ لأنهم لم يكيفوا شيئاً من ذلك .

وأما الجهمية والمعتزلة والخوارج ينكرونها ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبهة ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود .

قال الحافظ الذهبى : صدق والله فإن من تأوّلَ سائر الصفات وحمل ما ورد منها على مجاز الكلام أداه ذلك السلب إلى تعطيل الرب وأن يشابه المعدوم ، ولقد كان أبو عمر ابن عبد البر من بحور العلم ومن أئمة الأثر قلَّ

أن ترى العيون مثله واشتهر فضله - مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن ست وسبعين سنة .

ذكر قول الإمام أبى القاسم عبدالله
ابن خلف المقدسى الأندلسى

قال فى شرح المختص : لمَّا ذكر حديث النزول ، وفى هذا الحديث دليل على أنه تعالى فى السماء على العرش فوق سبع سماواته من غير مماسة ولا تكييف كما قال أهل العلم ، ودليل قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى﴾ وقوله : ﴿ استوى العرش ﴾ ، وقوله : ﴿ ليس له دافع من الله ذى المعارج ﴾.

والعروج هو الصعود ، قال مالك بن أنس : الله عز وجل فى السماء ، وعلمه فى كل مكان .

يريد بعلمه فى السماء أى على السماء – إلى أن قال : وكلما قدمت دليلاً واضحاً فى إبطال قول من قاله بالمجاز فى الاستواء ، وأن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، وأن الاستيلاء فى اللغة بعد المغالبة ، والمغالبة ، والله لا يغالبه أحد ، ومن حق الكلام ، أن الكلام يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة على أنه أريد به المجاز ، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك ، وإنما يوجه كلام الله إلى الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له ، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات ، وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمة العرب من معهود مخاطبتها

ممايصح معناه عند السامعين ، والاستواء معلوم فى اللغة ، وهو العلو والارتفاع والتمكن فى الشيء ، فإن احتج أحد علينا وقال : لو كان كذلك لأشبه المخلوقات لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته فهو مخلوق ، قيل لا يلزم ذلك لأنه تعالى ليس كمثله شيء ولا يقاس بخلقه ، كان قبل الأمكنة ، وقد صح فى العقول وثبت بالدليل أنه كان فى الأزل لا فى مكان وليس بمعدوم ، فكيف يقاس على شيء من خلقه أو يجرى بينه وبينهم تمثيل أو تشبيه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، فإن قال قائل : وصف ربنا أنه كان فى الأزل فى مكان ثم خلق فصار فى مكان وفى ذلك إقرار منا بالتغيير .

ومثله انتقال إذا دل عن صفة فى الأزل ، وصار فى مكان دون مكان؟ قيل له : وكذلك زعمت أنت وأنه كان لا فى مكان ثم صار فى كل مكان ؛ فقد تغير عند معبودك ، وانتقل من الإمكان إلى كل مكان ، فإن قال : إنه كان فى الأزل فى كل مكان كما هو الآن ؛ فقد أوجد الأشياء والأماكن معه فى الأزلية ، وهذا فاسد ، فإن قال : هل يجوز عندكم أن ينتقل من الإمكان فى الأزل إلى مكان ؟ قيل له : أما الانتقال وتغيّر الحال فلا سبيل إلى إطلاق ذلك عليه لأن كونه فى الأزل لا يوجد مكاناً ؛ وكذلك نعلم نقلته لا يوجب كان ، وليس فى ذلك كل الخلق ولكن نقول : استوى من الإمكان إلى مكان ؛ ولا نقول : انتقل ، وإن كان المعنى فى ذلك واحداً كما نقول : له عرش ، ولا نقول : له سرير ، ونقول : هو الحكيم ، ولا نقول : هو العاقل ، ونقول : خليل إبراهيم : ولا نقول : صديق إبراهيم ؛ لأنّا لا نسميه ، ولا نصفه ولانطلق عليه إلا ما سمى به نفسه ، ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفع للقرآن .

ذكر قول الإمام الحافظ

أبى بكر الخطيب رحمه الله

قال : أما الكلام فى الصفات فمذهب السلف إثباتها ، وأجروها على ظواهرها ، ونفى الكيفية والتشبيه عنها ، والكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات ، ويحذو فى ذلك حذوه وقتله .

فإذا كان معلوم ما أثبت رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد ولا تكييف ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد ولا تكييف ، فإذا قلنا : يد وسمع وبصر ، فإنما هو إثبات صفات أثبتها الله لنفسه ، ولا نقول : إن معنى اليد القدرة ، ولا معنى السمع والبصر العلم ، ولا نقول : إنها جوارح وأدوات للفعل ولا نشبه بالأيدى والأسماع والأبصار التى هى جوارح.

ونقول : إنما وجب إثباتها ؛ لأن التوفيق وارد بها ، ووجب نفى الشبيه عنها لقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [١] ، وقوله ﴿ ولم يكن له كفواً أحد﴾[٢]. انتهى .

---

(١) ١١ ك الشورى ٤٢ .

(٢) ٤ ك الإخلاص ١١٢ .

قال الحافظ الذهبي : المراد بظاهرها أي لا باطن .

فأصل الكتاب والسنة غير ما وصفته له كما قال مالك وغيره : الاستواء معلوم ، وكذلك القول : السمع والبصر والعلم والإرادة والوجه ونحو ذلك .

هذه الأشياء معلومة فلا تحتاج إلى بيان وتفسير ، لكن الكيف في جميعها مجهول عندنا .

قال : والمتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولده ما علمت أحداً سبقهم إليها ، قالوا هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤّل منع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ؛ فتفرع من هذا أن الظاهر يعني به أمران :

أحدهما : أنه لا تأويل غير دلالتة الخطاب كما قال السلف : الاستواء معلوم ، كما قال سفيان وغيره : قراءتها تفسيرها ، يعني أنها بينة معروفة واضحة في اللغة لا ينبغي بها مضائق التأويل والتحريف ، وهذا هو مذهب السلف مع اتفاقهم أنها لا تشبه صفات البشر بوجه ، إذ الباري لا مثل له في ذاته ، ولا في صفاته .

الثاني : أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر .. فهذا غير مراد .. فإن الله فرد صمد ليس له نظير ، وإن تعددت صفاته ، فإنها حق ، ولكن مالها مثل ، ولا نظير ، فمن ذا الذي مما بينه ونعته لنا والله هم إنا لعاجزون كالون حائرون باهتون في حد الروح التوقيف ، وكيف تعرج كل ليلة إذا توفاها بارئها ، وكيف يرسلها تستقل

بعد الموت ، وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد ، وكيف حياة النبيين الآن ، وكيف شاهد النبى ﷺ أخاه موسى يصلى فى قبره ثم رآه فى السماء السادسة وحاوره وأشار عليه بمراجعة رب العالمين وطلب التخفيف منه على أمته ؟!

وكيف موسى وأبوه آدم وحجة آدم يتحدد بالقدر السابق ، وبان الدم بعد التوبة وقبولها إلا عائدة فيه ، وكذلك نعجز عما وصف هيئاتنا فى الجنة ، ووصف الحور العين ، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتها ، وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا فى لقمة مع رونقتم وجنسهم وصف وجوههم الوردانى ، فالله أعلى وأعظم ، وأيضا وله الملأ الأعلى والكمال المطلق ، ولا مثل له أصلاً آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . انتهى كلام الذهبى .

توفى الخطيب سنة ثلاثة وتسعين وأربعمائة ، ولم يكن ببغداد مثله فى معرفة هذا الشأن .

ذكر قول الإمام عالم المشرق أبى المعالى
عبد المالك بن عبد الله الجوينى الشافعى

قال فى كتاب الرسالة النظامية : اختلف مسالك العلماء فى هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلهم ، والتزم ذلك فى آى الكتاب وما يصح من السنة ، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل ، وأجروا الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب عز وجل ، والذى نرتضيه دنياً وندين لله به عقيدة ، اتباع سلف الأمة والدليل القاطع : السمع فى ذلك ، وإن إجماع الأمة حجة متبعة .

قالوا : كان تأويل هذه الظواهر مسوغاً ، أو محتوماً ، ولا ننكر أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بروح الشريعة ، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع ، فلتجريه الاستواء وأئمة(١) .

وقوله : ﴿ لما خلقت بيدى ﴾(٢) على ذلك قال الإمام أبو الفتوح محمد ابن على: دخلنا على الإمام أبى المعالى الجوينى نعوده فى مرض موته؛ فقال لنا: اشهدوا علىّ أنى قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف ما قال السلف

---

(١) كلمة غير واضحة فى المخطوط .

(٢) ٧٥ ك ص ٣٨ .

الصالح ، وإني أموت على ما تموت عليه عجائز نيسابور - توفي إمام الحرمين سنة ثمان وسبعين وأربعمائة وله ستون سنة ، وكان من بحور العلم في الأصول والفروع ، يتوقد ذكاءً .

ذكر قول الإمام الحافظى أبى القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمى الأصبهانى مصنف كتاب الترهيب والترغيب

قال فى كتاب الحجة : قال علماء السنة : إن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه .

وقالت المعتزلة : هو بذاته فى كل مكان .

قال : وروى عن ابن عباس فى تفسير قول : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ قال هو على عرشه وعلمه محيط فى كل مكان ، ثم ساق الآثار ، قال وزعم هؤلاء أن معنى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ أى ملكه، وأنه اختصاص له بالعرش أكثر عما له بالأمكنة ، وهذا أنفى لتخصيص العرش وتشريفه .

قال أهل السنة : استوى على العرش بعد خلق السماوات والأرض ، على ما ورد به النص ، وليس معناه المماسة ، بل هو مستوٍ على عرشه ، بلا كيف كما أخبر عن نفسه قال : وزعم هؤلاء إنه لا يجوز الإشارة بالرءوس والأصابع إلى فوق ، فإن ذلك يوجب التحديد ، وأجمع المسلمون على أن الله هو العلى الأعلى ، ونطق ذلك القرآن فزعم هؤلاء أن ذلك بمعنى علو فعلية لا علو

الذات ، وعند المسلمين أن الله علو الغلبة ، والعلو من سائر وجوه العلو لأن العلو صفة مدح فثبت أن الله تعالى علو الذات وعلو الصفات وعلو القهر ، والغلبة ، وفى منعهم الإشارة إلى الله من جهة الجهة الفوق خلافاً لسائر جماهير المسلمين ، وقع منهم الإجماع على الإشارة . قالوا : الله من جهة الفوق فى الدعاء والسؤال واتفاقهم بإجماعهم على ذلك حجة ، وقد أخبر عن فرعون أنه قال : ﴿ يا هامان ابن لى صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذباً ﴾ فكان فرعون قد فهم عن موسى أنه يثبت إلهاً فوق السماء رام بصرحه أن يطلع إليه ، واتهم موسى بالكذب فى ذلك ، والجهمية لا تعلم أن الله فوقها بوجود ذاته ، فهم أعجز فهماً من فرعون ، بل وأضل .

وقد صح عن النبى ﷺ : أنه حكم بإيمان الجارية حيث قالت : إن الله فى السماء ، وحكم الجهمى بكفر من يقول ذلك . انتهى كلام أبى القاسم رحمه الله. توفى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة .

ذكر كلام العالم العلامة أبى عبد الله القرطبى صاحب التفسير الكبير

قال فى تفسير قوله : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ هذه مسألة قد بينا فيها كلام العلماء فى الكتاب الأسنى عن شرح الأسماء الحسنى ، وذكرنا فيها أربعة عشرة قولاً إلى أن قال : وقد كان السلف الأول رضى الله عنهم يقولون : بنفى الجهة ، ولا ينطقون بذلك ، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله ، ولم يقل أحد من السلف الصالح أنه استوى على العرش حقيقة وخص عرشه بذلك ؛ لأنه أعظم المخلوقات وإنما جهلوا كيفية الاستواء ؛ فإنه لا يعلم حقيقه كما قال الإمام مالك : الاستواء معلوم ، يعنى فى اللغة ، والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة .

قال الحافظ الذهبى ، وقال القرطبى أيضاً فى الاستواء الأكثر من المتقدمين والمتأخرين . ويعنى المتكلمين يقولون : إذا أوجب تنزية البارى عز وجل جلاله عن الجهة والتحيز فمن الضرورة ذلك ولو احق الملازمه أنه من اختص بجهة أن يكون فى مكان وحيز ويلزم على المكان والحيز والحركة والسكون المتحيز والتغير والحدوث وهذا قول المتكلمين ، ثم قال الذهبى : قلت نعم هذا ما اعتقده نفاة الرب عز وجل أعرضوا عن الكتاب والسنة وأقوال السلف وخطر الخلائق وإنما يلزم ما ذكروه فى حق الأجسام ، والله تعالى

الامثل له ولارام صرائح النصوص حق ولكن لا نطلق عبارة إلا بالأثر ثم نقول : لا نسلم أن كون البارى على عرشه فوق السموات يلزم منه انه فى حيز وجهه إذ مادون العرش يقال فيه : حيز وجهات وما فوقه فليس هو كذلك والله فوق عرشه كما أجمع عليه العرب الاول ونقله عنهم الأئمة وقالوا ذلك رادين على الجهمية القائلين بأنه فى كل مكان محتجين بقوله : ﴿ وهو معكم ﴾ (١) فهذان القولان هما اللذان كانا فى زمن التابعين وتابعيهم .

فأما القول الثالث : المتولد بآخره فإنه تعالى ليس فى الأمكنة ولا خارجاً عنها ، ولا فوق عرشه ، ولا هو متصلاً بالخلق ولا ينفصل عنهم ولا ذاته المقدسة متحيزة ولا بائنة عن مخلوقاته ولا فى الجهات ولا خارجاً عن الجهات .

فهذا شىء لا يعقل ولا يفهم مع ما فيه من مخالفة الآيات والأخبار ففر بدينك وإياك وآراء المتكلمين ، وآمن بالله ، وما جاء عن الله على مراد الله وفوض أمرك إلى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . انتهى كلام الذهبى .

---

(١) ٤ م الحديد ٥٧ .

ذكر قول الإمام محيى السنة أبى محمد الحسن
ابن مسعـود البغـوى صاحـب معالـم التنزيـل

قال عند قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ قال الكلبى ومقاتل استقر ، وقال أبو عبيدة : صعد ، وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء .

وأما أهل السنة فيقولون : الاستواء على العرش حق الله بلا كيف يجب الإيمان به ، وقال فى قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ . قال ابن عباس؛ وأكثر المفسرين من السلف ارتفع إلى السماء .

وقال فى قوله : ﴿ هلى ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾.

الأولى فى هذه الآية وما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها ، ويكل علمها إلى الله ، ويعتقد أن الله منزه عن سمات الحدوث على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء الأمة والسنة ، وقال فى قوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ بالعلم كان محى السنة من كبار أئمة مذهب الشافعى زاهداً ورعاً – توفى سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وقد قارب الثمانين .

قال الحافظ الذهبى لما ذكر قول الكلبى ، ومقاتل المتقدم : لا يعجبنى قوله : استقر بل أقول كما قال : الإمام مالك : الاستواء معلوم . انتهى كلامه .

وهذا الذى حكاه البغوى عن الكلبى ومقاتل ، ذكر البيهقى عن ابن عباس أنه قال فى قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : استقر ، وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير فى قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ قال : ارتفع وعلا ، وقال الشيخ أبو العباس ابن تيمية رحمه الله : وقد علم أن بين مسمى الاستواء والاستقرار والقعود فرقاً معروفة .

ذكر قول الإمام العالم العلامة الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن عمر ابن كثير فى تفسيره فى سورة الأعراف

وأما قوله : استوى على العرش فللناس فى هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها ، وإنما نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعى والثورى والليث بن سعد والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفى عن الله ، فإن الله لا يشبه بشىء من خلقه ﴿ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ﴾ (١) بل الأمر كما قال الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى : من شبه الله بخلقه فقد كفر (٢) ، ومن جحد ما وصف به الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل

---

(١) ١١ ك الشورى ٤٤ .

(٢) فى المخطوط فى خلقه والصواب ما أثبتناه .

الهدى . انتهى كلام ابن كثير [1] ، وفيما نقلناه من كلام الأئمة خير كثير ، ولو تتبعنا كلام العلماء فى هذا الباب لحصل منه مجلداً كبيراً ، وقد أضربنا صفحاً عن كلام الحنابلة فلم أنقل منه إلا اليسير لأنه قد اشتهر عنهم إثبات الصفات ونعم التكيفات ، فمذهبهم من الناس مشهور ، وفى كتبهم مسطور ، وكلامهم فى هذا الباب أشهر من أن يذكر ، وأكثر من أن يسطر ، ولهذا كان أهل البدع جميعهم يسمونهم الحشوية لإنهم قد أبطلوا التأويل ، واتبعوا ظاهر التنزيل ، وخالفوا أهل البدع والتأويل ، وأما غيرهم من أهل المذاهب فكثيراً منهم قد خالف طريقة السلف وسلكوا مسلك الخلف ، فلهذا نقلنا كلام أئمة الحنيفة والمالكية والشافعية وأئمة أهل الكلام كابن كلاب والأشعرى وأبى الحسن ابن مهدى والباقلانى ؛ ليعلم الواقف على ذلك أن هؤلاء الأئمة متبعون للسلف يثبتون لله الصفات ، وينفون عنه مشابهة المخلوقات ، ويعرفون أن هذا الاعتقاد الذى حكيناه عن شيخنا محمد ابن عبد الوهاب وأتباعه هؤلاء واعتناقه الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة وكلام الصحابة وسائر الأمة ؛ فنحن لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا نتجاوز القرآن والحديث ، وما تأوّله السابقون الأولون تأولناه ، وما أمسكوا عنه أمسكنا عنه ، ونعلم أن الله سبحانه ليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، فكما يثبتون أن الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية فكذلك له صفات حقيقية وليس كمثله شيء ، وكلما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، تفسير سورة الأعراف ص ٢٢٠ ، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى ، الجزء الثانى .

منزه عنه حقيقة ؛ فإنه سبحانه مستحق للكمال الذى لا غاية فوقه ، ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدوم عليه فلا نمثل صفات الله بصفات الخلق كما أنّا لا نمثل ذاته بذات الخلق ، ولا ننفى عنه ما وصف به نفسه ولا نعطل أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى . بخلاف ما عليه أهل التعطيل والتمثل فالمعطلون لم يفهموا من صفات الله إلا ما هو اللائق بالمخلوق ؛ فشرعوا فى نفى تلك المفهومات بأنواع التأويلات ؛ فعطلوا حقائق الأسماء والصفات ، وشبهوا الرب تبارك وتعالى بالجمادات العارية عن صفات الكمال ونعوت الجلال ؛ فجمعوا من التعطيل والتمثيل ، عطلوا أولاً ومثلو آخراً .

والممثلون عطلوا حقيقة ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال ، وشبهوا صفاته بصفات خلقه ، فمثلوا أولاً وعطلوا آخراً ، فمن فهم من نصوص الكتاب والسنة فى صفات الرب جل وعلا ما يفهمه من صفات المخلوقين ، فقد ظل فى عقله ودينه ، وشبه الله بخلقه. تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيراً ليس كمثله شىء . وهو السميع البصير ، ومن نفى ظاهر النصوص ، وزعم أنه ليس لها فى الباطن مدلول هو صفة الله ، وأن الله لا صفة له ثبوتية أو يثبت بعض الصفات كالصفات السبع ويؤّلون ما عداها كقولهم: استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكان والقدر ، وكقولهم : بل يداه مبسوطتان : أى نعمتاه نعمة الدنيا ، ونعمة الآخرة ، ونحو ذلك مما قد عرف من مذاهب المتكلمين ، فهو لنفات الصفات ومذهبهم مأخوذ عن جهم ابن صفوان ؛ فإن أول من حفظ إنكار الصفات هو الجعد ابن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها ؛ فنسبت مقالة الجهمية إليه ، والجعد أخذ

مقالته عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد ابن الأعصم ، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر الذى سحر النبى ﷺ ، وكان انتشار مقالة الجهمية فى المائة الثانية بسبب بشر بن غياث المريسى وطبقته ، وكلام الأئمة مثل مالك وسفيان ابن عيينة وأبى يوسف والشافعى وأحمد وإسحاق وغيرهم فى بشر المريسى فى ذمه وتضليله كثير جداً ، وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدى الناس هى بعينها التأويلات التى ذكرها بشر المريسى فى كتابه وتلقاها عنه الخلف ونصروها وقرروها ، وكثير منهم يحكى القولين ؛ فيذكر مذهب السلف ومذهب الخلف ثم يقول مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم وأحكم ، فصدقه فى قوله : مذهب السلف أسلم ، وكذب وافترى فى قوله : ومذهب الخلف أعلم وأحكم ، بل مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم كما تقدم تقريره ، فنسأل الله أن يهدينا وإخواننا الصراط المستقم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين ، وأن يجنبنا طريق المنحرفين عن المنهج القويم من المغضوب عليهم والضالين ، وصلّ اللهم على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

وأفّت الفراغ من نسخ الجواب المبارك يوم الأحد أول يوم من شهر الله المحرم سنة ثلاثة وعشرين ومأتين وألف تاريخه سنة ١٢٢٣ .

اللهم صلى على محمد وعلى آله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد : فقد تأملت هذه الرسالة المشتملة على نقل أقاويل السلف فى الاعتقاد ، وهى منقولة عنهم مشهورة بذلك من أنهم يقرون ما جاء فى القرآن والسنة كما جاء ، ويكلون بيان المراد منها إلى الله تعالى مع اعتقادهم التنزيه لله سبحانه وتعالى عن مشابهة مخلوقاته ، وعن الجوارح وما يوهم حلولاً أو غيره ، وأسلم الأقوال أن نقول كما قال الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه: آمنت بالله وبما جاء من عند الله على مراد الله ، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ .

وفى هذه الرسالة من العبارات والتقريرات مايفى ، وأما مذهب الخلف الذين هم أهل التأويل فإنهم لا ينكرون مذهب السلف ، وإنما احتاجوا إلى هذه التأويلات للرد على المشبه فليعذروا ، وأما قوله فيها إنما عقيدة محمد بن عبد الوهاب فالأمر ليس كذلك ، وإنما هذا من زخرف القول ؛ فإنه كانت لوائح دعوى النبوة تملى عليه ، ومنها تسمية أصحابه الأنصار والمهاجرين ، ومنها عكوفه على مطالعة كتب من ادعى النبوة ، ومنها تكفير المسلمين ، واعتقاده حل دمائهم وأموالهم وسبى ذراريهم وعن ذلك واحد ألف العلامة المحقق

والفهامة المدقق عبد الله بن داود كتاباً مشهوراً سمى بالصواعق والرعود فى الرد على ابن مسعود ، ففيه إطالة فى ابتداء أمره ، وسيرته وسيرة من بعده ومن خلفه ، وفصّل وحقق ورد عليهم بما فيه كفاية ؛ فارجع إليه إن كنت تريد نصح نفسك وإخوانك وقد باشر هذا الكتاب واطلع عليه الفحول ، وأحسنوا الثناء على مؤلفه ، وقد ألف غيره من الرسائل العددية فى بيان ضلالة وطغيان

جزاهم الله تعالى عن الإسلام وعن المسلمين خيراً .

كتبه الفقير إلى عفو ربه العلى

حسن بن علىّ

كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب كما ذكره صديق حسن خان فى ترجمته .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

كتاب التوحيد وقو الله تعالى :

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١)

وقوله : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾(٢) ، وقوله : ﴿ وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾(٣)، وقوله : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم ﴾ (٥) الآية .

---

(١) ٥٦ ك الذاريات ٥١ .

(٢) ٣٦ ك النحل ١٦ .

(٣) ٢٣ ك الإسراء ١٧ .

(٤) ٣٦ م النساء ٤ .

(٥) ١٥١ م الانعام ٦ .

قال بن مسعود : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التى عليها خاتمه ؛ فليقرأ : ﴿ قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم – إلى قوله – وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ﴾ (١) الآية ،

وعن معاذ بن جبل قال : كنت رديف النبى ﷺ على حمار ، فقال يا معاذ : « أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

فقلت يا رسول الله : أفلا أبشر الناس ؟

قال : لا تبشرهم ؛ فيتكلوا » (٢) . أخرجاه فى الصحيحين .

فى المسألة الأولى : الحكمة من خلق الجن والإنسن .

الثانية : أن العبادة هى التوحيد ؛ لأن الخصومة فيه .

---

(١) ١٥١ م الانعام ٦ .

(٢) ورد فى صحيح البخارى ومسلم

الثالثة [1] : أن من لم يأت به لم يعبد الله ، ففيه معنى ، ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ [2] .

الرابعة : الحكمة فى إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة ، أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت. ففيه معنى : ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله ﴾ [3] ، الآية .

الثامنة : أن الطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله .

التاسعة : عظم شأن الثلاث آيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل أولها النهى عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات فى سورة الإسراء وفيها ثمانية عشر مسألة أيدها الله بقوله تعالى : ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر – وختمها بقوله – ولا

---

(١) فى المخطوط الثالث والصواب ما أثبتناه .

(٢) سورة الكافرون آية رقم ٣ ، ٥ .

(٣) ٢٥٦ م البقرة ٢ .

تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ﴾ [1] الآية ، وبينها الله سبحانه عظم شأن هذه المسئل بقوله : ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ [2] .

الحادية عشر : آية الحقوق وفيها آية سبحان ، وفيها واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ [3] .

الثانية عشر : التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته .

الثالثة عشر : معرفة حق الله علينا .

الرابعة عشر : معرفة حق العباد على الله إذا أدوا حقه .

الخامسة عشر : أن هذه فيها أكثر الصحابة .

السادسة عشر : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشر : بشارة المسلم فيما يسره .

الثامنة عشر : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

---

(١) ٣٩ ك الإسراء ١٧ .

(٢) ٣٩ ك الإسراء ١٧ .

(٣) ١٥١ الأنعام ٦ .

التاسعة عشر : قول المسئول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

المسألة العشرين : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الرديف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة إذا طاقت .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسائل والله أعلم .

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب وقول الله تعالــى : ﴿ والذين آمنو ولم يلبســوا إيمانهـــم بظلـــم ﴾ (١) الآية

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مـريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ؛ أدخله الله الجنة على مـا كان من العمل » (٢) أخرجاه (٣) .

ولهما فى حديث عتبان : « فإن الله حرم على النار مَنْ قال لا إله إلا الله ؛ يبتغى بذلك وجه الله » (٤) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله : « قال موســى:

---

(١) ٨٢ ك الأنعام ٦ .

(٢) صحيح البخارى ومسلم .

(٣) المقصود : أى البخارى ومسلم .

(٤) السابق .

يارب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به .

قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله .

قال : يارب كل عبادك يقولون هذا .

قال : ياموسى لو أن السماوات السبع وعمّارهن والأراضين السبع فى كفيه ، ولا إله إلا الله فى كِفة ؛ لمالت بهن لا إله إلا الله » [1] .

عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله: « يا بن آدم إنك لو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لآتينك بقرابها مغفرة »[2].

مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذكر الذنوب مع تفسير الآية التى فى سورة الأنعام .

الرابعة : تأمل الخمس اللواتى فى حديث عتبان .

السادسة: أنك إذا جمعت بين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم وصححه ، والترمذى ، وحسنه .

(٢) متفق عليه .

لا إله إلا الله ، وتبين لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه بالشرط الذى فى حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون لتنبيه على معنى لا إله إلا الله .

التاسعة : التنبية لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيراً ممن يقولها ، ونحن بها ميزانه .

العاشرة : على النص أن السماوات السبع كالأراضين السبع .

الحادية عشر : أن لهن عماراً .

الثانية عشر : إثبات هذا خلافاً للأشعرية .

الثالثة عشر : أنك إذا تأملت فى حديث أنس أن قوله فى حديث : فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله : أى ترك الشرك وليس قولها باللسان يكفى .

الرابعة عشر : تأمل بين عيسى ومحمد .

الخامسة عشر : معرفة كون أنه روح منه .

السادسة عشر : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

السابعة عشر : معنى قوله على ما كان من العمل .

الثامنة عشر : معرفة أن الميزان له كفتان .

التاسعة عشر : ذكر الوجه .

باب من حقق التوحيـد

دخل الجنة بغير حساب

قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله ﴾ (١)، وقال : ﴿ والذين هم بربهم لا يشركون ﴾ (٢)، وعن حصين بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكوكب الذى انقضى البارحة ؟ قلت أنا ، ثم قلت : أما إنى لم أكن فى صلاة ولكنى لدغت .

قال : فما صنعت ؟

قلت : ارتقيت .

قال : فما حملك على ما صنعت ؟

قلت : حديث حدثنيه الشعبى .

قال وما حدثكم ؟

قلت حدثنا عن بريدة ابن حصين أنه قال : لا رقية إلا من عين أو حمة.

---

(١) ١٢٠ ك النحل ١٦ .

(٢) ٥٩ ك المؤمنون ٢٣ .

قال : وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع .

ولكن حدثنا بن عباس عن النبى أنه قال : عرضت علىّ الأمم ؛ فرأيت النبى ومعه الرجل والرجلان ، والنبى ومعه الرهط ، والنبى وليس معه أحد ، أذرف إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى ، فقيل لى : هذا موسى وقومه ، ثم نظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، ثم نهض ودخل منزله ؛ فخاض الناس فى أولئك ؛ فقال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا رسول ! ، وقال بعضهم : لعلهم الذين ولدوا فى الإسلام ، ولم يشركوا بالله شيئاً ، ونكروا أشياءً ؛ فخرج عليهم رسول ﷺ ،فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يسترقون ولا يكذبون ولا ينظرون ، وعلى ربهم يتوكلون ؛ فقال عكاشة بن محصن فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم ، فقال : أنت منهم ، ثم قال رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلنى منهم . فقال : سبقك بها عكاشة .

مسائل .

الأولى : الأولى معرفة مراتب الناس فى التوحيد .

الثانية : تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأول بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : ترك الرقية والكى ، والتوكل على الله من تحقيق التوحيد .

السادسة : أن كون الجامع لتلك الخصال التوكل على الله .

السابعة : عمق علم الصحابة أنهم علموا أنهم لم ينالوا ذلك إلا بالعمل.

الثامنة : حرصهم على الخيرات .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى عليه السلام .

الحادية عشر : عرض الأمم عليه .

الثانية عشر : كل أمة تحشر مع نبيها .

الثالثة عشر : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشر : أن من لم يجبه أحد يأتى وحده .

الخامسة عشر : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد فى القلة .

السادسة عشر : الرخصة فى الرقية من العين والحمة .

السابعة عشر : بُعد السلف عن مدح الإنسان ما ليس فيه .

الثامنة عشر : قوله : أنت منهم علم من أعلام النبوة .

التاسعة عشر : فضيلة عكاشة .

العشرون : استعمال المعارض .

الحادية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

باب الخوف من الشرك

وقوله تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ (1) الآية .

وقال الخليل عليه السلام : ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ (2) .
وفى الحديث : « أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، فسئل عنه ؟ فقال : الرياء » (3) .

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « من مات وهو يدع الله دخل النار » (4) .

ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « من لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار » (5) .

---

(1) ٣٥ ك إبراهيم ١٤ .

(2) سورة إبراهيم جزء الآية رقم « ٣٥ » .

(3) اضافة من المسند .

(4) رواه البخارى .

(5) انظر صحيح مسلم .

فيه مسائل .

الأولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك الأصغر .

الثالثة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الرابعة : قرب الجنة والنار .

الخامسة : الجمع بين قربهما فى حديث واحد .

السادسة : أن من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان أعبد الناس .

السابعة : المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه أن يقيه عبادة الأصنام .

الثامنة : اعتباره بحال الأكثر لقوله : إنهن أضللن كثيراً من الناس .

التاسعة : فيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكر البخارى .

العاشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا اللـه

وقول اللـه تعالـى : ﴿ قل هـذه سبيلـى أدعوا إلى الله على بصيرة ﴾ [1] الآية

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن ، وقال له : إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب ؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفى رواية – إلى أن يوحدوا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعملهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » [2] .

وعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ؛ فبات الناس يدوكون [3] ليلتهم أيهم يعطاها ؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ

---

(١) ١٠٨ ك يوسف ١٢ .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

(٣) يدوكون : أى يخوضون فيه .

كلهم يرجون أن يعطاها ، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل : هو يشتكى عينيه ، فأرسل إليه فأتَوْا به ، فبصق فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كان لم يكن به وجع ، وأعطاه الراية وقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعوهم إلى الإسلام ، وأخبِرهم بما يجب عليهم من الله ، فوالله لإن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حمرِ [١] النعم » [٢] .

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة بطريق من اتبعه ﷺ .

الثانية : التنبيه على الإخلاص لأن كثيراً لو دعا إلى الحق أنه يدعو لنفسه .

الثالثه : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد أن ننزه الله عن المشبه .

الخامسة : أن من أقبح الشرك كونه مشبه لله .

السادسة : وهى من أهمها إبعاد لا يصير منهم ولو لم يشرك .

---

(١) حمر النعم : وهى كرائم الإبل .

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة .

التاسعة : معنى يوحدون أنه هو معنى لا إله إلا الله .

العاشرة : أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشر : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشر : البدء بالأهم فالأهم .

الثالثة عشر : مَصْرِفُ الزكاة .

الرابعة عشر : النهى عن كرائم الأموال .

الخامسة عشر : اتقاء دعوة المظلوم .

السادسة عشر : الإخبار بأنها لا تحجب .

السابعة عشر : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من الأوباء والجوع .

الثامنة عشر : قوله لأعطين « علم من أعلام النبوة » .

التاسعة عشر : تفله فى عينيه علم من أعلامها .

العشرون : فضيلة علىٍّ رضى الله عنه .

الحادية والعشرون : فضائل الصحابة فى دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح .

الثانية والعشرون : الإيمان بالقدر لحصولها لمن لا يسعى ومنعها ممن يسعى .

الثالثة والعشرون : الآيات على قوله على رسلك .

الرابعة والعشرون : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال .

الخامسة والعشرون : إنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السادسة والعشرون : بالدعوة بالحكمة لقوله: أخبرهم بما يجب عليهم .

السابعة والعشرون : المعرفة بحق الله فى الإسلام .

الثامنة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل .

التاسعة والعشرون : الحلف على الفتيا .

باب تفسير التوحيد وشهادة

أن لا إلـه إلا اللـــــه

قال الله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ (١) الآية .

وقوله : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى ﴾ (٢) الآية ، وقوله : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾(٣) الآية ، وقوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ (٤) الآية .

وفى الصحيح أن النبى ﷺ قال « إنه من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد

---

(١) ٥٧ الإسراء ١٧ .

(٢) ٢٧ ك الزخرف ٤٣ .

(٣) ٣١ م التوبة ٩ .

(٤) ١٦٥ م البقرة ٢ .

من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل ،[1] .

وهذه الترجمة شرحها ما بعدها من الأبواب وهى أهمها ، وهو تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة ، وتبيينها بأمور واضحة منها آية الإسراء التى بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين .

ففيها بيَّن أن هذا هو الشرك الأكبر ، ومنها آية براءة بيَّن فيها أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وبيَّن أنهم لم يؤمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً مع أن تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلمه والعباد فى المعصية لا دعائهم إياهم ، ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : إننى براء مما تعبدون فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هى شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال: ﴿ وجعلها كلمة باقية فى عقبه﴾[2] ، ومنها آية البقرة الذين قال الله فيهم : ﴿ وما هم بخارجين من النار ﴾ [3] .

وذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً ، ولم يدخلهم فى الإسلام ، فكيف بمن لم يحب إلا الندّ وحده ، ولم يحب الله ؟!

---

(١) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

(٢) ٢٨ ك الزخرف ٤٣ .

(٣) ١٦٧ م البقرة ٢ .

ومنها قوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه » فإنه لم يجعل التلفظ عاصماً بها للدم والمال بالإقرار بها ولكنه لا يدعو إلى الله بل يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فانسك وتوقف لم يحرم ماله ودمه فيالها من مسألة ما أوضحها ويالها من بيّن واضح وحجة قاطعة النزاع كله .

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

قال الله تعالى : ﴿ أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضرٍ هل هن كاشفات ضره ﴾ (١) الآية .

وعن عمران بن حصين أن النبى ﷺ رأى فى يد رجل حلقة من صفر فقال : « ما هذه ؟ قال : عن الواهنة .

قال : انزعها ؛ فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، ولو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً » (٢).

وعن عقبة بن عامر مرفوعاً : من تعلق تميمة فلا أتمَّ الله له ، ومن تعلق ودعة فلا أودع الله له ، وفى رواية : من تعلق تميمة فقد أشرك .

ولأبى حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً خيطاً من الحُمَّة فقطعه ، وتلى قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (٣) .

---

(١) ٣٨ ك الزمر ٣٩ .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

(٣) ١٠٦ ك يوسف ١٢ .

فيها مسائل .

الأولى : التغليظ فى لبس الحلقة ونحوها مثل ذلك .

الثانية : أن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح ، وفيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر لجهالة بجهله .

الرابعة : إنها لا تنفع للعلاج بل تضر لقوله : لا تزيدك إلا وهناً .

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل ذلك .

السادسة : التصريح بأن من تعلق شيئاً وُكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط عن الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الأكبر على الأصغر .

العاشرة : أن تعليق الودعة من العين من ذلك .

الحادية عشر : الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له أى تركه .

باب ما جاء فى الرقى والتمائم

وفى الصحيح عن أبى بشر الأنصارى أنه كان مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً إلى يبقين فى رقبة بعير قلادة من وتر ، ولا قلادة إلا قطعت (١) .

« وعن ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرقى والتمائم والتِّوَلة شرك » (٢) .

وعن عبد الله بن حكيم مرفوعاً : « من تعلق شيئاً وكل إليه » (٣) .

والتمائم شيء يعلق على الأولاد ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فقد رخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ، ويجعله من المنهى عنه، منهم ابن مسعود .

والرقى: هى التى تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك،

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه أحمد والترمذى .

فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمّى .

والتولة : أشياء يصنعونها يزعمون أنها تحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

وروى الإمام أحمد عن رويفع قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يا رويفع لعلّ الحياة ستطول بك ، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً برىء منه » (١) .

ومن سعيد بن جبير قال : من قطع تميمة من إنسان كانت له كعدل رقبة ، رواه وكيع ، وله عن إبراهيم : كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن .

فيه مسائل .

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التولة .

الثالثة : أن هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة: أن الرقية من كلام الحق من المنهى والحمى ليست من ذلك.

---

(١) ورد فى صحيح مسلم .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هى من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوقار على الدابة من ذلك عن العين .

السابعة : الوعيد الشديد فيمن تعلق وتراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .

التاسعة : كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ؛ لأن مراده أصحاب عبد الله .

باب من تعلق بشجر أو حجر ونحوهما

وقوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ [1] الآية

وعن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثى عهد بالكفار ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها ويربطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط.

فقال : الله أكبر إنها السنن قلتم ، والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل إلها كما لهم إله .

لتركبن سنن من كان قبلكم ، [2] .

فيه مسائل .

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : موقفه من الأمر الذى طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

---

(١) سورة النجم آية رقم ، ١٩، .

(٢) رواه الترمذى .

الرابعة : إذا جهلوا هذا ، فغيرهم أولى بالجهل .

الخامسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السادسة : أن النبى ﷺ لم يعذرهم بالجهالة بل رد عليهم بقوله لتركبن سنن من كان قبلكم ، فلفظ الأمر بهذه الثلاثة .

السابعة : الأمر الكبير ولمقصود أخبر أن طلبتهم كطلب بنى إسرائيل .

الثامنة : أن فى هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك الناس .

التاسعة : أنه خشى على الفتى وهى لا يحنو إلا على المصلحة .

العاشرة : أن الشرك فيه الكبير والصغير لأنهم لم يرتدوا بذلك .

الحادية عشر: ونحن حديثو عهد بالكفر دليل على أن غير لا يجهل.

الثانية عشر : التكبير عند التعجيل خلافاً لمن كرهه .

الثالثة عشر : سد الذرائع .

الرابعة عشر : النهى عن التشبيه بأمر الجاهلية .

الخامسة عشر : الغضب عند التعظيم .

السادسة عشر : القاعدة الكلية لقوله : إنها السنن .

السابعة عشر : أن هذا من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر .

الثامنة عشر : أنه كما ذم الله به اليهود والنصارى أنه لنا .

التاسعة عشر : أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر فصار فيها التنبيه على مسائل القبر الثلاثة . أما من ربك فوضح ، وأما من نبيك فإخباره بالغيب وأما ما دينك فمن قولهم : اجعل لنا إلها .

العشرون : سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الحادية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة الفاسدة لقولهم : ونحن حديثو عهد بالكفر .

باب ما جاء فى الذبح لغير الله

قال الله تعالى : ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ (١) وقال : ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ (٢) ، وعن على رضى الله عنه قال : حدثنى رسول الله ﷺ بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والدية ، لعن الله من غير منار الأرض ، لعن الله من أولى محدثاً (٣) .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجل فى ذباب ، ودخل النار رجل فى ذباب .

قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟

قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئا، فقالوا لأحدهما قرب ، قال : ما عندى شىء أقربه ، قالوا : قرب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً ، فخلوا سبيله ؛ فدخل النار ؛ فقالوا للآخر قرب ، قال : ما كنت

---

(١) ١٦٢ ك الأنعام ٦ .

(٢) ٢ ك الكوثر ١٠٨ .

(٣) الحديث رواه مسلم .

لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ؛ فضربت عنقه ؛ فدخل الجنة [1].

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : البدء بلعن من ذبح لغير الله .

الثالثة : لعن من لعن والديه ومنه أن تلعن والدى رجلاً فيلعن والديك .

الرابعة : لعن من غير منار الأرض ، وهى المراسى التى تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير .

الخامسة: لعن من أوى محدثاً وهو الرجل يحدث شيئاً يجلب عليه فيه حق الله فيحتاج إلى من يجيره .

السادسة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعصية على سبيل العموم .

السابعة : هذه القصة العظيمة وهى قصة الذباب .

الثامنة : كونه دخل النار بذلك السبب الذى لم يقصده بل فعله تخليصاً من شرهم .

---

(١) رواه أحمد .

التاسعة : قـدر الشـرك فـى قلـوب المؤمنـين كيـف صبـر علـى القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع أنهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر .

العاشرة : أن الذى دخل النار مسلم لأنه لو كان كافراً لم يقل دخل النار فى ذباب .

الحادية عشر : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عباد الأوثان .

الثانية عشر : فيـه شاهد الحديث الجنة أقرب إلى أَحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك .

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

قال الله تعالى : ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ (١) الآية .

عن ثابت ابن الضحاك قال : نذر رجل أن ينحر اللابوانه ؛ فأرسل النبى ﷺ فقال : « هل كان فيها من أوثان الجاهلية يعبد ؟

قالوا : لا .

قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟

قالوا : لا .

قال : أوف بنذرك ؛ فإنه لا وفى لنذر فى معصية ، ولا فى مالا يملك ابن آدم » (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

---

(١) ١٠٨ م التوبة ٩ .

(٢) رواه أبو داود وإسناده على شرط البخارى ومسلم .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذا الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة الواضحة ليزول الإشكال .

الرابعة : استقصاء المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : تخصيص البقعة للإنسان إذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد إزالته .

السابعة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بالنذر فيما لا يملك .

باب من الشرك النذر لغير الله

قال الله تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ [1] ، وقال ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر ﴾ [2] الآية .

وفى الصحيح عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه ، [3] .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة فصرفه إلى غير الله أشرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

---

(١) ٧ م الإنسان ٧٦ .

(٢) ٢٧٠ م البقرة ٢ .

(٣) ورد فى صحيح مسلم وسنن ابن ماجه .

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

قال الله تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً ﴾ [1] .

وعن خولة بنت حكيم قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نزل منزلاً ؛ فقال : أعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك ، [2] .

فيه مسائل :

الأولى: تفسير الآية .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق . قالوا : لأن الاستعاذات بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة الدعاء مع اختصاره .

---

(١) سورة الجن آية رقم ، ٦ ، .

(٢) رواه مسلم .

الخامسة : كون الشيء تحصل فيه منفعة دنيوية من جلب خير أو دفع ضرر لا يدل على أنه من الشرك .

باب من الشرك أن تستغيث بغير الله ، أو تدعو غيره

قال : ﴿ ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ﴾ [1] الآية .

وقال : ﴿ وابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ﴾ [2] ، وقال : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دونه من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ﴾ [3] الآية .

وقال : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ [4] الآية .

وروى الطبرانى أنه كان فى زمن النبى ﷺ منافق يؤذى المؤمنين ؛ فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ؛ فقال النبى ﷺ : « إنه لا يستغاث بى إنما يستغاث بالله » [5].

---

(١) ١٠٦ ك يونس ١٠ .

(٢) ١٧ ك العنكبوت ٢٩ .

(٣) ٥ ك الأحقاف ٤٦ .

(٤) ٦٢ ك النمل ٢٧ .

(٥) ورد فى المختارة ، وانظر عمل اليوم والليلة .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ﴿ ولا تدعو من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ ، وقوله : ﴿ فابتغوا عند الله الرزق ﴾ .

الثانية : عطف الدعاء على العبادة عطف العام على الخاص .

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : إن أصلح الناس لدفعك صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التى بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفر .

السابعة : إن طلب الرزق لا ينبغى إلا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا منه .

الثامنة : ذكر أنه لا أضل ممن يدعو غير الله .

التاسعة : أنه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه .

العاشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو وعداوته .

الحادية عشر : كفر المدعو بتلك الدعوة .

الثانية عشر : أن هذه الأمور هى سبب كونه أضل الناس .

الثالثة عشر : تفسير الآية .

الرابعة عشر : الأمر العجيب وهى إقرار عبادة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلى الله ولا حد ذلك يدعو له فى التدين مخلصين له الدين .

الخامسة عشر : حماية المصطفى ﷺ جانب التوحيد .

باب قول الله تعالى : ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ﴾ (١) الآية

وقوله : ﴿ والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ (٢) الآية .

وفى الصحيح عن أنس قال لشيخ النبى ﷺ يوم أحد ، فقال : كيف يفلح قوم شجر بينهم ؛ فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ (٣) .

وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الأخيرة من الفجر « اللهم العن فلاناً وفلاناً ؛ فنزلت ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ (٤) . وفى رواية يدعو على صفوان ابن أمية ، وسهل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، بعد ما يقول : سمع الله لمن حمده فنزلت ﴿ ليس لكِ من الأمر شيء ﴾ .

---

(١) ١٩١ ك الأعراف ٧ .

(٢) ١٣ ك فاطر ٣٥ .

(٣) ورد فى صحيح البخارى ومسلم .

(٤) ١٢٨ م آل عمران ٣ .

وفيه عن أبى هريرة قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وأنذرعشيرتك الأقربين ﴾ [1] ؛ فصعد الصفا فقال : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا غنى عنكم من الله لشيء ، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا غنى عنك من الله لشيء ويا فاطمة بنت محمد سلينى مالى وما شئتى لا أغنى عنك من الله شيئاً » [2] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمّنون فى الصلاة .

الثالثة : أن المدعو عليهم كفار .

الرابعة : أنهم فعلوا أشياء لم يفعلها غالب الكفار ، منها شجهم نبيهم ، وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

الخامسة : ﴿ نزول الآية فى ذلك : ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ [3] .

---

(١) ٢١٤ ك الشعراء ٢٦ .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٣) ١٢٨ م آل عمران ٣ .

السادسة : أفيتوب عليهم فتاب عليهم فأمنوا .

السابعة : القنوت في النوازل .

الثامنة : تسمية المدعو عليهم بأسمائهم وأسماء آبائهم .

التاسعة : لعنته المعين .

العاشرة : قصته ﷺ لما نزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين .

الحادية عشر : جده ﷺ في هذا الأمر بحيث فعل ما فعل ما نسب به إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثانية عشر : قوله للأبعد والأقرب : لا أغني عنك من الله بشيء ، فإذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغني شيئاً عن سيدة نساء العالمين وآمن الناس لايؤل إلا الحق ثم انظر فيما وقع في قلوب خواص الناس ، الآن يتبدى لك التوحيد وغربة الدين .

باب قول الله تعالى : ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبكم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ﴾ (١)

وفى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضوعاً لقوله كأنه سلسلة على صوان ما وحتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم قال الحق وهو العلى الكبير ؛ فيستمعها مسترق السمع هكذا بعضه على بعض ، وصفه سفياف بكفير فحرفها . وبرد بين أصابعه ؛ فسيمع الكلمة فيلتها على من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلتها على لسان الساحر أو الكاهن ؛ فيكذبون معها مائة كذبة ، فيقال أليس قد قلنا يوماً كذا وكذا فيصدق كذبه بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » (٢) .

وعن النواس ابن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد أن يوحى بالخوف من الله عز وجل فإذا سمع هذا أهل السماوات صفقوا وقال : خروا سجداً لله فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة للملأ بسماء رسالته إلى أول ما قال : ماذا قال ربنا يا

---

(١) ٢٣ ك سبا ٣٤ .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

جبريل ثم ينتهى جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله عز وجل .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً من تعلق على الصالحين ، ومن الآية التى قيل : إنها تغطى عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله : ﴿ قالوا الحق وهو العلى الكبير ﴾ .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل يخبرهم عن ذلك .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقول لأهل السماوات كلهم لاهم السائلة .

الثامنة : أن ذلك يعم أهل السماوات .

التاسعة : رجف السماوات لكلام الله .

العاشرة : أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى حيث أمره الله .

الحادية عشر : كون الكاهن يصدق بعض الأخبار .

الثانية عشر : استرقاق الشياطين .

الثالثة عشر : صفة ركوبهم بعضهم على بعض .

الرابعة عشر : إرسال الشهب .

الخامسة عشر : أنه تارة يدركه قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه .

السادسة عشر : أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التى سمعها من السماء .

السابعة عشر : كونه يكذب معها مائة كذبة .

الثامنة عشر : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون لواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة .

التاسعة عشر : كونهم يلقى بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : إثبات الصفات خلافاً للمعطلة .

الحادية والعشرون : أن تلك الرجفة والغشى خوف من الله عز وجل.

باب ما جاء فى الشفاعة

وقول الله عز وجل : ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم * ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع ﴾ (1) ، وقوله : ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾(2)، وقوله : ﴿ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ (3) ، وقوله : ﴿ كم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾(4) ، وقوله : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض ﴾ (5).

وقال أبو العباس : صفات الله عما سواه كلما يتعلق به المشركون ننفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عون الله ولم يبق إلا الشفاعة ؛ فيبين

---

(1) ٥١ ك الأنعام ٦ .

(2) ٤٤ ك الزمر ٣٩ .

(3) ٢٥٥ م البقرة ٢ .

(4) ٢٦ ك النجم ٥٣ .

(5) ٥٦ ك الإسراء ١٧ .

أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال : ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾(١)، فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأخبر النبى ﷺ : أنه يأتى محمد فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يقال له ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطى ، واشفع تشفع (٢) .

وقال أبو هريرة : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة يا رسول الله ؟ قال : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » (٣) .

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقة أن الله سبحانه هو الذى يتفضل على أهل الإخلاص ؛ فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التى نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى موضع ، وقد بينّ النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

---

(١) ٢٨ ك الأنبياء ٢١ .

(٢) ورد فى صحيح مسلم .

(٣) ورد فى صحيح البخارى .

الثانية : صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبوتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى وهى المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله ﷺ ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد ، فإذا أذن له شفع .

السادسة : من أسعد الناس .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .

الثامنة : بيان حقيقتها .

باب قول الله تعالى :

﴿ إنك لا تهدى من أحببت ﴾ (1) الآية

فى الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ ، وعنده عبدالله ابن أبى أمية وأبو جهل ، فقال : « يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عندالله ، فقال : له : أترغب عن ملة عبد المطلب ، فأعاد عليه النبى ﷺ مغاد ، فكان آخر كلامه هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فقال ﷺ : لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ (2) .

وأنزل فى أبى طالب : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ (3) .

---

(1) ٥٦ ك القصص ٢٨ .

(2) ١١٣ م التوبة ٩ .

(3) ٥٦ ك القصص ٢٨ .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : تفسير قوله : ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين.

الثالثة : وهى المسألة الكبرى تفسير قول : لا إله إلا الله ، بخلاف ما عليه من يدعى العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبى ﷺ ، إذا قال لرجل: قل لا إله إلا الله ، فقبح الله رجلاً أبا جهل ومن معه أعرف منه بأهل الإسلام.

الخامسة : جِدُّه ﷺ فى إسلام عمه .

السادسة : الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .

السابعة : كونه يستغفر له فلم يغفر له بل نهى عن ذلك .

الثامنة : مضرة أصحاب السوء على الإنسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة المبطلة فى ذلك الاستدلال ؛ لأن فى القصد لم يجادلوا إلا بها .

الحادية عشرة : كون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته .

بـاب ما جاء أن سبـب كفر بنـى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين

وقو الله عز وجل : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ﴾ (١)

وفى الصحيح عن ابن عباس فى قول الله تعالى : ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ (٢) .

قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجلسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموها بأسمائهم ؛ ففعلوا، ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطرونى كما أطرت النصار ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبدالله ورسوله » (٣) .

---

(١) ١٧١ م النساء ٤ .

(٢) ٢٣ ك نوح ٧١ .

(٣) انظر صحيح البخارى ومسلم .

وفى الصحيحن : قال ، قال رسول الله ﷺ : « إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو » (١) .

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً .

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ، ورأى من قدرة الله تعالى وتقليبه القلوب ورأى العجب العجاب.

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض ، وأنه شبهة الصالحين .

الثالثة : أول شيء تغير به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك مع معرفة الله أن الله أرسلهم .

الرابعة : سبب قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها .

الخامسة : أسبب ذلك كله مخرج الحق بالباطل والأولى محبة الصالحين، والثانية فعل أناس من أهل العلم والدين أشياء أرادوا بها خيراً فظنّ من بعدهم أنه أرادوا غيره .

---

(١) السابق .

السادسة : تفسير الآية .

السابعة : حيلة الهادى فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد .

الثامنة : فيه مشاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب للكفر ، ولو حسن قصد الفاعل .

التاسعة : القاعدة الكلية وهي النهى عن العكوف .

العاشرة : مضرة على القبور لأجل عمل صالح .

الحادية عشر : عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الثانية عشر : وهى أعجب قراءاتهم إياها فى كتب التفسير والحديث ، وكون الله حال بين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح من أفضل العبادات واعتقدوا أن ما نهى الله عنه ورسوله هو الكفر المبيح للدم والمال .

الثالثة عشر : التصريح بأنهم لا يريدون إلا الشافعة .

الرابعة عشر : ظنهم أن العلماء الذين هم صورا صوراً أرادو ذلك .

الخامسة عشر : البيان العظيم في قوله : « لا تطرونى كا أطرت النصارى عيسى ابن مريم » .

السادسة عشر : نصيحته إيانا بهؤلاء المتنطعين .

السابعة عشر : أنها لم تعبد حتى نسى العلم ، ففيها معرفة قدر العلم ومضرة فقده .

الثامنة عشر : أن سبب موت العلماء .

باب ما جاء فى التغليظ فيمن عبدالله

عند قبر رجل صالح ، فكيف إذا عبده ؟

فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقيل : « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله ، هؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل » (١) .

ولها عنها قالت : نزل برسول الله ﷺ الموت ، فطفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك : « فلعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » (٢) ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً .

ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال : سمعت النبى ﷺ يقول قبل موته بخمس ، وهو يقول : « إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل ، فإن الله قد اتخذنى خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً »

---

(١) حديث صحيح .

(٢) انظر البخارى ومسلم .

ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك ، [1] .

فقد نهى عنه فى آخر حياته ، ثم إنه لعن ، وهو فى السياق من فعله والصلاة عندها من ذلك ، وإن لم يبن مسجداً ، وهو معنى قوله : « خشيت أن يتخذ مسجداً ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً بكل موضع يصلى فيه يسمى كما قال النبى ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً »[2].

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود أن من أشرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد [3] .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنَى مسجداً يعبد فيه على قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهى عن التماثيل ، فإذا اجتمع الأمران تغلظ الأمر .

---

(١) انظر : مفتاح كنوز السنة .

(٢) متفق عليه .

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ، وصحيح أبى حاتم .

الثالثة : العبرة في مبالغته من ذلك كيف بين لهم هذا أولاً ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في النزاع لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن العبادة عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصار في قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيرنا عن قبره .

الثامنة : في إبراز قبره .

التاسعة : أنه قرن بين من اتخذها ، وبين من تقوم عليه الساعة فذكر سد الذريعة عند الشرك قبل وقوعه عندها عنه .

العاشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد علي الطائفتين لتبين أنهما أشر أهل البدع ، بل أخرهم بعض السلف من الثنتين والسبعين الفرقة ، وهم الرافضة والجهمية ، وسبب الرفض حدوث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الحادية عشر : شدة ما بلي به ﷺ من شدة النزاع .

الثانية عشر : ما أكرمه به من الخلق .

الثالثة عشر : إنها على المحبة .

الرابعة عشر : التصريح بأن الصديق أفضل الأمة .

باب ما جاء أن الغلو من قبور الصالحين
يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك فى الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ﴾ (١) .

شددغضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً ﴾ .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد :

« أفرأيتم اللات والعزى » قال : كان يلت السويق للحاج ، فمات فعكفوا على قبره ، كذلك قال بن الجوزى عن ابن عباس : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها مساجد والسرج » (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : الأولى تفسير الأوثان .

---

(١) انظر الموطأ .

(٢) رواه أهل السنة .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه ﷺ لا يستعيذ إلا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا مع اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الخامسة : شدة الغضب من الله .

السادسة : وهي من أهمها : معرفة صفة عبادة اللات التي هي أكبر عبادة الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذُكر مع التسمية .

التاسعة : لعنه زائرات القبور .

العاشرة : لعنه من أسرجها .

باب ما جاء فى حماية المصطفى جانب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ (١) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا قبرى عيداً، وصلوا علىّ أينما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم »(٢).

وعن على بن الحسن أنه رأى رجلاً كان يجىء إلى فرجة عند قبر النبى ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو فيها ؛ فنهاه ، وقال :

« ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله ﷺ ؟ قال: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا قبرى عيداً ، وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنت » (٣) .

---

(١) ١٢٨ م التوبة ٩ .

(٢) رواه أبو داود بسند حسن ، ورواته ثقات .

(٣) رواه فى المختارة .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : الإبعاد منه عن هذا الحى غاية البعد .

الثالثة : حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة فى البيت .

السابعة : تقرر عندهم أنه لا يصلى فى المقبرة .

الثامنة : تعليله ذلك أن صلاة الرجل وسلامه تبلغه وإن بعد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القربة .

التاسعة : كون الأعمال تعرض عليه فى البرزخ من الصلاة والسلام.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقول الله تعالى : ﴿ ألم تـر إلى الذين أوتـوا نصيباً مـن الكتـاب يؤمنـون بالجبت والطاغوت ﴾ [١] .

وقال : ﴿ هل أنبئكم بشر مـن ذلك مثوبـة عند اللـه من لعنـه اللـه ﴾ الآية[٢] .

وقال : ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ [٣] .

وعن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن » ؟ [٤] .

---

(١) ٥١ م النساء ٤ .

(٢) ٦٠ م المائدة ٥ .

(٣) ٢١ ك الكهف ١٨ .

(٤) أخرجاه فى الصحيحين .

وعن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لى الأرض ؛ فرأيت مشارقها ومغاربها ، إن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإنى سألت ربى لأمتى ألا يهلكها بسنة عامة ، ولا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ؛ فيستبيح بيضتهم ، وإن ربى قال : يا محمد ! إنى إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإنى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة ولا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ؛ فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطاها حتى يكون بعضهم يهلك بعض ، ويسبى بعضهم بعضاً »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

---

(١) رواه مسلم ، والبرقانى فى صحيحه ، وزاد : إنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان ، وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبى بعدى ، ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى .

ومعنى كلمة زوى . أى طوى لى الأرض ، وزوى بمعنى طواه وجمعه وقبضه . انظر المعجم الوسيط جـ١ ص ٤٢٣ مادة (زوى) .

الثانية : وهـى من أهمها ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت فـى هـذا الموضع ؟ هل هو اعتقاد قلب ، أو هـو موافقـة أصحابها مـع بعضهـا ، ومعرفة بطلانها .

الثالثة : قولهم الكفار الذين يعرفون كفرهم : أهدى سبيلاً من المؤمنين.

الرابعة : وهو المقصود بالترجمة أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة ، كما ورد فى حديث أبى سعيد .

الخامسة : التصريح لوقوع (١) عن عبادة الأوثـان عنـد هـذه الأمة فـى جموع كثيرة .

السادسة : العجب العجاب لخـروج من يدعـى النبـوة مثل المختـار مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحـه أنـه من هـذه الأمة، وأن رسـول اللهﷺ والقرآن حـق، ومن القـرآن أن محمداً خاتـم النبيين، وهـذا يصدق من هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خـرج المختار فـى آخـر عصر الصحابة وتبعه فى أيام كثير من الناس.

السابعة : البشارة أن الحـق لا يـزول كما زال فيما مضى ، بل لا تـزال عليه طائفة ظاهرة لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم .

الثامنة : الآية العظيمة أنهم لا يضرهم من خذلهم مع قلتهم ولا من خالفهم.

---

(١) فى المخطوط لوقوف .

التاسعة : أن ذلك من شروط الساعة .

العاشرة : ما فيه من الآيات العظيمات منها بإخباره بأن الله زوى له الأرض مشارقها ومغاربها ، وأخبر بمعنى ذلك ؛ فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال ، وإخباره بأنه أعطى الكنزين بإجابة دعوته لأمته في الآيتين، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً ، وخوفه على أمته من الأئمة ، وإخباره ببقية الطائفة ، وكل هذا واقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها أبعد ما يكون في العقل .

الحادية عشر : الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الثانية عشر : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

باب ما جاء فى السحر ، وقول الله تعالى :

﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق ﴾ (١)

وقوله : ﴿ يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ (٢)

قال عمر : الجبت: السحر ، والطاغوت : الشيطان ، وقال جابر : الطاغوت : كُهَّان كان ينزل عليهم الشيطان فى كل حى واحد .

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا يا رسول الله : وما هنَّ ؟ ، قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٣) .

وعن جندب مرفوعاً ، ﴿ حد الساحر ضربه بالسيف ﴾ (٤) .

(١) ١٠٢ م البقرة ٢ .

(٢) ٥١ م النساء ٤ .

(٣) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

(٤) رواه الترمذى ، وقال صحيح ، والصحيح أنه موقوف .

وفى صحيح البخارى عن نجالة ابن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب « أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر » [١] .

وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقُتلت ، وكذلك صح عن جندب قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبى ﷺ .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : معرفة الجبت والطاغو والفرق بينهما .

الثالثة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الإنس .

الرابعة : معرفة السبع الموبقات المخصوصة .

الخامسة : أن الساحر يكذب .

السادسة : أنه يقتل ولا يستتاب .

السابعة : وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر فكيف بعده .

---

(١) انظر صحيح البخارى .

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد ابن محمد بن جعفر بن عوف عن حبان ابن العلا القطان ابن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال في العيافة والطرق والطيرة من الجبت[1] .

قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطرق : الخط يخط بالأرض ، والجبت : قال الحسن : رنة الشيطان ، إسناده جيد .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » [2] .

وللنسائي من حديث أبي هريرة : « من عقد عقدة ، ثم نفث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق بشيء وكل إليه » [3] .

---

(١) سنن أبي داود ، والنسائي ، وابن حيان في صحيح المسند منه .

(٢) رواه أبو داود ، وإسناده صحيح .

(٣) سنن النسائي .

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم ما القصة ؟ هى التميمة بين الناس »[1] .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « البيان من السحر »[2] .

فيه مسائل :

الأولى : العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة .

الثالثة : أن علم النجوم من السحر[3] .

الرابعة : العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : التميمة من ذلك .

السادسة : بعض الفصاحة من ذلك .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) البخارى ومسلم ، وفيه « إن من البيان لسحراً » .

(٣) المقصود هنا التنجيم ، وليس علم اكتشاف أسرار الفلك ، والتدبر فى ملكوت السماوات .

باب ما جاء فى الكهان ونحوهم

روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبى ﷺ قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه ؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » [1] .

وعن النبى ﷺ قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » [2] .

وعن عمران بن حصين مرفوعاً : ﴿ ليس منا من تَطَيَّر أو تُطيِّرَ له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو تسحر أو تسحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول : فقد كفر بما نزل على محمد ﷺ ﴾ [3] .

قال البغوى : العراف الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات ، يستدل بها على المعرفة ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل : هو الكاهن ، والكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل ، وقيل : الذى يخبر عما فى الضمير .

---

(١) صحيح مسلم .

(٢) رواه الأربعة ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما .

(٣) رواه البزار بإسناد جيد ، ورواه الطبرانى بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : «ومن أتى كاهنا» .

وقال أبو العباس بن تيمية : العراف : اسم الكاهن والمنجم والرمَّال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس فى قوله : يكتبون أبا جاد وينظرون فى النجوم ، ما رواه من فعل ذلك – ما له عند الله من خلاق .

فيه مسائل :

الأولى : أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : أنه كفر .

الثالثة : ذكر من تكهن أو تكهن له ، أو تطير أو تطير له ، أو تسحر أو تسحر له .

الرابعة : تعلم أبا جاد .

الخامسة : الفرق بين الكاهن والعراف .

باب ما جاء فى النشْرَة

عن جابرأن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة ؟ فقال : « هى من عمل الشيطان » [1] .

وقال : سأل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يذكر هذا كله ،

وفى البخارى عن قتادة قلت لابن المسبب : رجل به طب [2] أو لو أخذ عن امرأتة [3] ، أيحل له نشرة ؟

قال لابأس إنما يريدون به الإصلاح وما ينفع فلم ينف . انتهى .

وروى عن الحسن أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر ،

قال ابن القيم : النشرة : حل السحر ، وهى نوعان : حل بسحر مثله ،وهو الذى من عمل الشيطان ، وعليه عمل قول الحسن : تقرب الناشر والمنشور إلى الشيطان بما يحب ؛ فيبطل عمله عن المسحور .

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد ، وأبوه داود .

(٢) طب : أى سحر .

(٣) المقصود ربط عنها وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ويفرقون به بين المرء وزوجه ﴾ آية رقم ١٠٢ من سورة البقرة .

والثاني : النشرة بالقرآن والتعويذات والدعوات والأدوية المباحة فهو جائز[1] .

---

(١) هذا ما أتى به المصنف فى باب أنواع السحر وما تلاه من أبواب توضح حقيقة السحر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، أما ورد فى القرآن من تواتر الآيات التى تؤكد حقيقة السحر ، ما نقرأه فى الآيات التالية من سورة البقرة آية ١٠٢ ، وسورة يونس الآيتان ٨١ ، ٨٢ ، وسورة الأعراف الآيات ١١٧ ، ١٢٢ ، وسورة طه الآيه ٦٩ ، وسوف تكتب هذه الآيات بالنص الكريم من القرآن عند حديثنا عن طرق العلاج إن شاء الله تعالى ، فى هذا التحقيق .

وأما ما ورد فى السنة هو قصة سحر النبى ﷺ التى جاءت فى صحيح البخارى (٢٢٢/١٠) فتح البارى ، ومسلم فى كتاب باب السحر . والحديث هو .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم – أو ذات ليلة – وهو عندى لكنه دعا ودعا ، ثم قال : « يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه؟ أتانى رجلان فقعد أحدهما عندى رأسى والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال مطبوب (أى مسحور) ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال فى أى شيء ؟ قال : فى مشط ومشاطة (وهى الشعر المتساقط من الرأس واللحية عند ترجيلها) وجف طلع نخلة ذكر (وهو الغشاء الذى يكون على الطلع) .

قال : وأين هو ؟ قال فى بئر ذروان ؛ فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه فجاء فقال : يا عائشة . كان ماءها نقاعة الحناء ، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين قلت : يا رسول الله : أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً ، فأمر بها فدفنت ، =

فيه مسائل :

- فقد اتفق اليهود عليهم لعائن الله مع لبيد بن الأعصم ، وهو من أسحر اليهود أن يعمل سحراً لرسول الله ﷺ وهو من أشد أنواع السحر ، وكان غرضهم قتله ﷺ (وهذا هو المسمى بالسحر الأسود) الذى يراد به القتل ولكن الله عصمه من كيدهم فخفف إلى أخف أنواع السحر وهو الربط .

ولكن ما طرق الوقاية من الإصابة بالسحر ، ووقاية الإنسان من تلاعب السحرة والجان ؟ هذا توضحه السطور التالية من الهامش .

علمنا الله تبارك وتعالى كيف نتقى السحر فى شخص رسول الله ﷺ ، وذلك عن طريق تلك الأذكار والتحاصين النبوية التى ينبغى على كل إنسان مسلم أن يأتى بها بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ، وقبل أن يأخذ مضجعه من النوم ، وتلك هى الوقاية التى يقى الإنسان بها نفسه من تلاعب السحرة والشياطين ؛ لأن الوقاية خير من العلاج .

ومن هذه التحاصين دعاء سيد الاستغفار – وأن يقول المسلم بعد صلاة الصبح ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة إن استطاع ، أو عشر مرات ثم يقول عقبها : ، اللهم أجرنا من النار ، سبعاً ، ويقول أيضا : أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون ، ثلاث مرات ، وأن يقول أيضاً : ، أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة ، ثلاث مرات ويقول أيضا : ، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات .

وقراءة سورة الإخلاص ، والفلق ، والناس على هذا الترتيب ثلاث مرات على هذه الكيفية : يجمع يديه إلى فيه ، ثم يقرأ ، ثم ينفث فى يده بعد القراءة ثم يمسح ما استطاع من جسده كما كان يفعل رسول الله ﷺ.-

الأولى : النهى عن النشرة .

- تلك هى الوقاية التى علمنا إياها رسول الله ﷺ ، ولكن ما العلاج إذا أصيب الإنسان بالسحر ؟

الحق أن هناك عدة طرق تستعمل فى علاج السحر ، سوف أذكر بعضاً منها

الطريقة الأولى : يقرأ على المريض آيات الرقية التى تستعمل فى علاج المصروع أو المصاب بمس أو لبس من الجان ، وهذه الرقية مذكورة فى كتب العلاج من هذا النوع من المرض فليرجع إليها .

والطريقة الثانية : تقرأ آيات الرقية ، وهى فاتحة الكتاب ، وفواتح سورة البقرة من (١ - ٥) ، والآية رقم (١٠٢) ، والآية ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ ، وآية الكرسى ، وخواتيم سورة البقرة ، مع هذه الآيات ٧ مرات على ماء ويشرب ويغتسل منها المسحور لمدة سبعة أيام فيبطل السحر إن شاء الله تعالى والآيات هى :

﴿ قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾

﴿ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون* فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وألقى السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون ﴾

﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾

﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ -

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال .

- ﴿ وقل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد ﴾

ملحوظة : تقرأ هذه الرقية أيضاً فى الأذن اليمنى للمريض .

الطريقة الثالثة : تحضر ٧ ورقات سدر (نبق) أخضر وتدقهم دقاً جيداً بين حجرين ، ثم تضعهم فى إناء به ماء ، ثم تقرب فاك من الإناء وتقلب الأوراق فى الماء وتقرأ آيات الرقية السابقة مضافاً إليها خواتيم سورة المؤمنون والعشر آيات الأولى من سورة الصافات ، وخواتيم سورة الحشر بدءً من قوله : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن ﴾ وتختم بسورة الإخلاص والفلق والناس (ثلاثا)

ثم تأمر المريض يشرب ويغتسل من هذا الماء ٧ أيام ولا يزيد عليه ماءً آخر ولا يسخنه على النار ، فإن شاء أن يسخنه ففى حرارة الشمس ، ولا يسكبه فى مكان نجس ، ولا يغتسل به فى مكان نجس كالحمام والغائط مثلاً ،

هذه هى بعض الطرق ، وهناك طرق أخرى من أراد الاستزادة فليرجع إليها فى الكتب المختصة بذلك .

باب ما جاء فى الطيرة

باب ما جاء فى الطير وقول الله تعالى : ﴿ إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [1] ، وقوله : ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾ [2] الأية ،

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى ، ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » أخرجاه فى الصحيحين ، وزاد مسلم ولا نوه ، ولا غول » [3].

ولهما عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوة ولا طير ، ويعجبنى الفأل ، قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة » [4] .

ولأبى داود بسند حسن عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : « أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا أراد أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت »

---

(١) ١٣١ ك الأعراف .

(٢) ٤٧ ك النمل ٢٧ .

(٣) انظر صحيح البخارى ومسلم .

(٤) صحيح البخارى ومسلم .

ولا حول ولا قوة إلا بك » [1] .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا تطير أو تطير له ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » [2] .

ولأحمد من حديث ابن عمر : من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ، وطير إلا طيرك ، وإله غيرك » [3] .

وله من حديث الفضيل بن عياض : الطير ما أمضاك أو ردك» .

فيه مسائل :

الأولى : الأولى تفسير الآيتين .

الثانية : نفى العدوى ، ونفى الطيرة ، ونفى الهامة .

الثالثة : فى صفر .

الرابعة : الفأل ليس من ذلك بل مستحب .

---

(١) سنن أبى داود .

(٢) رواه دواود والترمذى وصححه ، وجعل آخره من قول بن مسعود .

(٣) مسند الإمام أحمد .

الخامسة : تفسير الفأل .

السادسة : الواقع فى القلب ليس من ذلك بل لديه التوكل .

السابعة : ذكر ما يقول من جده .

الثامنة : التصريح بأن الطيرة شرك .

التاسعة : تفسير الطيرة المذمومة .

باب ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى صحيحة : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم الثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن ناول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ، [1] . انتهى .

وذكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يرخص ابن عيينة فيه ، ذكره حرب عنهما ، ورخص فى تعلم المنازل أحمد وإسحاق ، .

وعن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ، مدمن الخمر ، وقاطع الرحم ، ومصدق السحر ، [2] .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة فى خلق النجوم .

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .

---

(١) صحيح البخارى .

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند ، وابن حبان فى صحيحه .

الثالثة : ذكر الخلاف فيمن تعلم المنازل .

الرابعة : فى من صدق بشىء من السحر ، ولو عرف أنه باطل .

باب ما جاء في الاستسقاء بالنوء

وقول الله تعالى : ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ [1] .

وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « أربع فى أمتى لا يتركونهن من أمر الجاهلية : الفخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » [2] .

وقال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب » [3] .

ولهما عن زيد بن خالد قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف [4] أقبل على الناس [5] ؛

(١) ٨٢ م الواقعة ٥٦ .

(٢) ورد فى سنن ابن ماجه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) أى عارض السماء ظناً منهم أنه ممطرهم .

(٥) أى رسـول الله ﷺ .

فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنؤ كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب (١) .

ولهما من حديث بن عباس معناه ، وفيه قال بعضهم : لقد صدق نوء كذا وكذا ؛ فأنزل الله هذه الآية : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم – إلى قوله – تكذبون ﴾ (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأولى .

الثانية : الأربع التى من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر فى بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرج من الملة .

---

(١) البخارى ومسلم .

(٢) سورة الواقعة بدءً من الآية ٧٥ – ٨٢ .

الخامسة : قولــه: أصبح مـن عبادى مؤمـن بـى وكافــر بسبب نــزول النوء[1].

السادسة : لفظ الإيمان فى هذه المواضع .

السابعـة : التفطن لقوله صدق نوء كذا وكذا .

الثامنـة : استخراج العلم بالاستفهام لقوله : هل تدرون ما قال ربكم ؟

التاسعة : الوعيد للنائحة .

---

(١) أناءَت السماء : كساها الغيم ، وأنوأت السماء : أناءت ، والنوء : المطر الشديد . انظر المعجم الوسيط ص ٩٩٩ جـ ٢ .

باب ما جاء فى قول الله تعالى
﴿ ومن الناس من يتخذ من دون
الله أنـداداً يحبونهم كحب ﴾ [1]

وقوله : ﴿ قل إن كان آباؤكم – إلى قوله – أحب إليكم من الله ورسوله ﴾[2] الآية .

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحـدكم حـتى أكـون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » [3] .

وعن أنس أيضاً قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه اللـه منه كما يكره أن

---

(1) ١٦٥ م البقرة ٢ .

(2) ٢٤ م التوبة ٩ .

(3) أخرجاه فى الصحيحين .

يقذف فى النار » [1] .

وفى رواية : « لا يجد أحد حلاوة الإيمان – إلى آخره .

وعن ابن عباس قال : من أحب فى الله ، وأبغض فى الله ، ووالى فى الله ، وعادى فى الله ، فإنما ينال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبد طعم الإيمان ، وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك » .

وقد صارت عامة مؤاخات الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدى أهله شيئاً » [2] .

وقال ابن عباس فى قوله : ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ [3] قال المراد بابه.

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آيات براءة .

الثانية : وجوب محبته ﷺ على النفس والمال والأهل .

الثالثة : أن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام .

---

(1) صحيح البخارى وصحيح مسلم .

(2) رواه ابن جرير الطبرى .

(3) ١٦٦ م البقرة ٢ .

الرابعـة : أن الإيمان له حلاوة ، وقد يجدها وقد لا يجدها .

الخامسة : أعمال القلب الأربعة التى لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها .

السادسة : فهم الصحابة للواقع على أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

السابعـة : تفسير : وتقطعت بهم الأسباب .

الثامنـة : أن فى المشركين من يحب الله حباً شديداً .

التاسعة : أن من اتخذ نداً طغت محبته على حب الله فهو الشرك الأكبر.

باب قول الله تعالى :

﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافــــون إن كنتـــــم مؤمنيـــن ﴾ [1]

وقوله : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ﴾ [2] الآية .

وقوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ [3] . الآية .

عن أبى سعيد مرفوعاً أن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ، وأن تحمد على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يأتك الله ، وإن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهة كريه .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « من التمس رضا الله بسخط الناس

---

(١) ١٧٥ م آل عمران ٣ .

(٢) ١٨ م التوبة ٩ .

(٣) ١٠ م العنكبوت ٢٩ .

رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه والناس »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : أن اليقين يقوى ويضعف .

الثالثة : على آية ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث .

الرابعة : أن إخلاص الخوف من الفرائض .

الخامسة : ذكر ثواب من فعله وعقاب من تركه .

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه .

باب قول الله تعالى :

﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ [1]

وقوله : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ [2] الآية .

وقوله : ﴿ يا أيها النبى حسبك الله .. ﴾ [3] الآية .

وقوله : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ [4] الآية .

عن ابن عباس : « حسبنا الله ونعم الوكيل ، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ﴾ الآية [5] .

---

(1) ٢٣ م المائدة ٥ .

(2) ٢ م الأنفال ٨ .

(3) ٦٤ م الأنفال ٨ .

(4) ٣ م الطلاق ٦٥ .

(5) رواه البخارى .

فيه مسائل :

الأولـى : أن التوكل من الفرائض .

الثانيـة : أنه من [1] شرائط الإيمان .

الثالثـة : تفسير الآيات الأربع .

الرابعة : شأن هذه الكلمة ؛ لأنها قول إبراهيم ومحمد فى الشدائد .

---

(١) « من » من عندنا .

باب قول الله تعالى :

﴿ أفامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ [1]

وقوله : ﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ [2] .

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ سُئل عن الكبائر ؟ فقال : : « الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأَمَنُ من مكر الله » [3] .

وعن ابن مسعود قال . أكبر الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله » [4] .

---

(١) ٩٩ ك الأعراف ٧ .

(٢) ٥٦ ك الحجر ١٥ .

(٣) ورد في سنن الترمذي .

(٤) رواه عبد الرازق .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : شدة الوعيد فى القنوط .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن أَمِنَ مكر الله .

باب من الإيمان بالله الصبر على قدر الله

وقوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن بالله يهدى قلبه ﴾ (١) .

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة ؛ فيعلم أنها من عند الله فيصبر ويسلم .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر : الطعن فى النسب والنياحة على الميت » (٢) .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « ليس مِنَّا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب، ودعا بدعاء الجاهلية » (٣).

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبه فى الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة » (٤) .

---

(١) ١١ م التغابن ٦٤ .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

(٤) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

وقـال النبى ﷺ : « إن أعـظم الجـزاء مع عظم البلية ، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط »[1].

فيه مسائل :

الأولـى : تفسير الآية .

الثانيـة : أن هذا من الإيمان .

الثالثـة : الطعن فى النسب .

الرابعـة : الوعيد فيمن ضرب الخدود .

الخامسة : علامة حب الله للعبد .

السادسة : علامة سخط الله للعبد .

السابعـة : تحريم السخط .

الثامنـة : ثواب الرضى بالبلاء .

---

(١) حسنه الترمذى .

باب ما جاء فى الرياء

وقول الله تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ﴾ [1] الآيـة

عن أبى هريرة مرفوعاً قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء من الشرك ، من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » [2] .

وعن أبى سعيد مرفوعاً : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى ؛ قال : الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى فيزن صلاته لما يرى من نظر رجلٍ » [3] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : هذا الأمر العظيم رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله .

---

(١) ٦ ك فصلت ٤١ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد .

الثالثـــة : ذكر السبب .

الرابعـــة : أن من الأسباب أنه خير الشركاء .

الخامسة : خوفه على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسره بأنه يصلى الرجل الصلاة فيزينها لما يرى من نظر الرجل .

باب ما جاء من الشرك

إرادة الإنسان بعمله الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفى إليهم أعمالهم فيها ﴾ [1] .

فى الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث راسى مغبر قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة مكان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع » [2].

فيه مسائل :

الأولى : إرادة الإنسان بعمله الدنيا عمل الآخرة .

الثانية : تفسير الآية .

---

(١) ١٥ ك هود ١١ .

(٢) متفق عليه .

الثالثـة : تسمية الإنسان المسلم عبد الدنيا والدرهم والخميصة .

الرابعـة : تفسير ذلك بأنه إذا أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : تعس وانتكس وإذا شيك فانتقش .

السادسة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

باب من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً .

وقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجرة من السماء ، وقوله : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر ، وقال أحمد بن حنبل .

عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأى سفيان والله تعالى يقول : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ﴾ (١) .

أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شىء من الزيغ فيهلك .

عن عدى بن حاتم أنه سمع النبى ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ (٢) الآية فقلت له : إنا لسنا نعبدهم.

قال : أليس تحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟

---

(١) ٦٣ م النور ٢٤ .

(٢) ٣١ م التوبة ٩ .

فقلت : بلى .

قال : فتلك عبادتهم ، [1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : التنبيه على العبادة التى أنكرها عدى .

الثالثة : تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .

الرابعة : تفسير [2] الأحوال إلى هذه الحال حتى صار عند الأكثرين عبادة الأحبار من أفضل الأعمال والعبادات وتسميتها بالولاية ، وعبادة الأحبار هى أفضل العلم والفقه ثم تغير الحال أن عُبد عبدٌ ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثانى ما هو من الجاهلين .

---

(1) رواه أحمد والترمذى وحسنه .

(2) ربما تكون تغيير .

باب قول الله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ﴾ (١) الآيات

وقوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾(٢) .

وقوله : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ (٤) الآية .

عند عبدالله ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ﴾ (٥) .

---

(١) ٦٠ م النساء ٤ .

(٢) ١١ م البقرة ٢ .

(٣) ٨٥ ك الأعراف ٧ .

(٤) ٥٠ م المائدة .

(٥) قال النووي حديث صحيح رواه في كتاب الحجةبإسناد صحيح .

وقال الشعبى : كان بين رجل من المنافقن ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : نتحاكم إلى محمد – عرف أنه لا يأخذ الرشوة – وقال المنافق : لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ؛ فاتفقا على أن يأتيا كاهنا فى جهينة فيتحاكمان إليه فنزلت : ﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون ﴾ (١) الآية.

وقيل : نزلت فى رجلين اختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبى ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة للذى لم يرض برسول الله ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم ؛ فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : الآية التى بعدها .

الثالثة : قول الشعبى فى سبب نزول الآية .

الرابعة : تفسير : أفحكم الجاهلية يبغون .

الخامسة : تفسير الإيمان الصادق والكاذب .

---

(١) ٦٠ م النساء ٤ .

السادسة : قصة عمر مع المنافق .

السابعة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

باب من حجد شيئاً من الأسمـاء والصـفات

وقول الله تعالى : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ (1) الآية .

وفى صحيح البخارى قال على : حدثنى الناس بما يعرفون : أتريدون أن يكذب على رسوله ، وروى عبد الرازق عن معمر ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثا عن النبى ﷺ فى الصفات ، استنكاراً لذلك ؛ فقال : ما فرق هؤلاء يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه . انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك ؛ فأنزل الله فيهم : ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾ (2) .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الإيمان بشىء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير الآية .

---

(1) ٣٠ م الرعد ١٣ .

(2) ٣٠ م الرعد ١٣ .

الثالثة : ترك المحدث ما لا يفهم السامع .

الرابعة : يفضى إلى الكذب فيه ، ولو لم يتبعده المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر لشيء من ذلك ، وأنه هلك .

باب قول الله تعالى :

﴿ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ﴾ [1] الآية

قال مجاهد ما معنى : هو قول الرجل : هذا مالى ورثته عن آبائى .

وقال عون بن عبدالله : يقولون قولاً : فلان لم يكف كذا ، وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبو العباس : بعد حديث زيد ابن خالد الذى فيه أن الله تعالى قال : ﴿ أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ﴾ الحديث وقد تقدم ، وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من أنعامه إلى غيره ، ويشرك به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة والملاح حاذق ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة الكثير .

فيه مسائل :

الأولى : معنى الآية .

الثانية : أن هذا جارى على ألسنة الكثر .

---

(1) ٨٣ ك النحل ١٦ .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكار النعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين فى القلب .

باب قول الله تعالى :

﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ (١)

قال ابن عباس فى الآية : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفات سود فى ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله ، وحياتك يافلان ، وحياتى، ويقول : لولا كليبة هذا ؛ لأتانا اللصوص ، ولولا البط فى الدر لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلان » .

هذا كله به شرك ، ولابن أبى حاتم عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك كفراً والشرك » (٢) .

وقال ابن مسعود : لأن أحلف بالله كذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً .

وعن حذيفة عن النبى ﷺ قال : « لا تقول ما شاء الله وشاء فلان ولكن

---

(١) ٢٢ م البقرة ٢ .

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، وصححه الحاكم .

قولوا : ما شاء الله وحده ، ثم شاء فلان »[١] .

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول : أعز بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ، قال : ويقول لولا الله ثم فلان . ولا تقولوا : لولا الله وفلان .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : أن الصحابة يفسرون الآية في الأكبر بالأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فإنها أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين الواو ، وثم في اللفظ .

---

(١) رواه البزار وأبو داود بسند صحيح .

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حلف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله في شيء »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن الحلف بالآباء .

الثانية : أمر المحلوف له أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

---

(١) رواه ابن ماجة بإسناد جيد .

باب قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة : أن يهودياً أن النبى ﷺ قال : إنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ؛ فأمرهم النبى ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: « ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ، ثم شئت » (١) .

وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبى ﷺ : « ما شاء الله وشئت

قال : أجعلتنى لله نداً ؟! ما شاء الله وحده » (٢) .

وعن الطفيل أخى عائشة لأمها قال : رأيت كأنى أتيت على نفر من اليهود قلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : عزير ابن الله ؟ قال : وأنتم القوم لولا تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله ؟ قالوا وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ؛ ثم أتيت النبى ﷺ فأخبرته ، قال : « هل أخبرت بها أحداً ؟ قلت نعم قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أما بعد : فإن الطفيل رأى رويا أخبر بها من أخبر

---

(١) رواه النسائى وصححه .

(٢) النسائى .

منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعنى كذلك أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده ﴾ [١] .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

الثانية : قوله ﷺ : أجعلتنى لله نداً ؟ فكيف بمن قال : يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك والبيتين الذين بعده .

الثالثة : أن هذا ليس فيه الأكبر .

الرابعة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحى .

الخامسة : أنها قد تكون سبباً لتشريع بعض الأحكام .

---

(١) سنن ابن ماجة .

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقو الله تعالى : ﴿ ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ (١) الآية .

فى الصحيح عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : «يؤذينى ابن آدم ؛ يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلب الليل والنهار » ، وفى رواية: « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن سب الدهر .

الثانية تسميه آذى الله .

الثالثة : التأمل فى قوله : إن الله هو الدهر .

الرابعة : أنه قد يكون سبباً له ، ولو لم يقصده القلب .

---

(١) ٢٤ ك الجاثية ٤٥ .

(٢) ورد فى سنن الترمذى .

باب التسمي بقاضى القضاة ونحوه

ففى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن أخنع اسم عند الله رجل تسمي ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله ».

قال سفيان : مثل شاهان شاه .

وفى رواية : أغيظ رجل عند الله يوم القيامة وأخبثه ، قوله أخنع أوضع.

فيه مسائل :

الأولى : التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه .

الثانية : ما فى معناه وأمثاله .

الثالثة : أن هذا الإجلال لله تعالى .

باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبى شريح أنه كان يكنى « أبا الحكم » فقال النبى ﷺ : « إن الله هو الحكم وإليه الحكم » ، فقال : إن قومى اختلفوا فى شىء أتونى فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين ؛ فقال : ما أحسن هذا ؛ فما لك من الأولاد ؟ فقال : شريح ، ومسلم ، وعبدالله .

قال : فمن أكبرهم ؟ فقلت : شريح . قال : فأنت أبو شريح [1] .

فيه مسائل :

الأولى : احترام صفات الله وأسمائه ، ولو فى الكلام الذى لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

---

(١) رواه أبو داود وغيره .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله

والقرآن والرسول

وقول الله : ﴿ ولئن سألتهم ليقولُن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴾ (١) .

عن بن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم فى بعض أن فى غزوة تبوك ما رأينا مثل قرّائنا هؤلاء أرغب بصراً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ؛ فقال له عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ ؛ فذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره ؛ فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ ، وقد ارتحل وركب ناقته ؛ فقال يارسول الله : إنما كنا نعلب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق .. قال ابن عمر كأنى أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ ، وأن الحجارة لتنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونعلب ؛ فيقول له الرسول ﷺ : ﴿ أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ﴾ ؟ ما يلتفت إليه وما يزيد عليه (٢) .

---

(١) ٦٥ م التوبة ٩ .

(٢) ورد فى مفتاح كنوز السنة .

فيه مسائل :

الأولى : وهى العظيمة أن من هزل بشىء فيه ذكر الله أنه كافر .

الثانية : الآية الثالثة فيمن فعل هذا كائناً ما كان .

الرابعة : الفرق بين النميمة والنصيحة لله ورسوله .

الخامسة : الفرق بين العفو الذى يحبه وبين الغلظة على أعداء الله .

السادسة : أن من الأعذار بألاَ ينبغى أن يقبل .

باب ما جاء فى قوله الله تعالى :
﴿ وإذا أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لى ﴾ (١)

قال مجاهد : هذا بعمل وأنا محقوق به ، وقال ابن عباس : يريد من عندى ، وقوله : قال إنما أوتيته على علم – قال قتادة : على علم منى بوجه المكسب ، وقال آخرون : على علم من الله أنى له أصل ، وهذا معنى قول مجاهد : وآتيته على شرف عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ : « أن ثلاثة من بنى إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم ؛ فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ، ويذهب عنى الذى قذرنى الناس .. قال : فمسحه فذهب عنه ، فرآه وأعطاه لوناً حسناً وجلداً حسناً .. قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر [شك اسحاق] (٢) فأعطى ناقة عشراء قال : بارك الله لك فيها .

---

(١) ٢١ ك يونس ١٠ .

(٢) شك من راوى الحديث .

قـال : فـأتـى الأقـرع فـقـال : أى شىء أحب إليك ؟ قـال : شعـر حـسن ويذهب عنى الذى قذرنى الناس ؛ فمسح فذهب عنه ، وأعطى شعراً حسناً ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل .. فأعطى بقرة حاملاً .. قال: بارك الله لك فيها .

فـأتـى الأعـمـى فـقـال : أى شىء أحب إليك ؟ قـال : أن يرد الله على بصرى فأبصر به الناس ، فمسحه فرد الله إليه بصره ، قال : فأى المال أحب إليك ؟ قـال : الغنم ، فـأعطى شاة والداً ، فـأنتج هذان [1] ، وولـد هذا ؛ فكان لهذا واد من الإبل ولـهـذا واد من البقر ولهـذا واد من الغنم ، قـال : ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وأن السبيل قد انقطعت بى الحبال فى سفرى ، ولا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً اتبلغ به فـى سفرى ، فقـال الحقوق كثـيـرة ، فقـال له كأنى أعـرفك ، ألم تكن أبرص ؟! يقـذرك الناس فقـيراً ؛ فأعطاك الله عز وجل ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كـابر ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

قال : وأتى الأقرع فى صورته فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما ردَّ عليه هذا ، فقال إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت عليه .

---

(١) المقصود بالإبل والبقر للاثنين الأولين الذين كانا أحدهما أبرص والثانى أقرع .

قال : وأتى الأعمى فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها فى سفرى ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرى ؛ فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله ما أجهدك اليوم شيئاً أخذته ، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك (١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى القول هذا لى .

الثالثة : معنى قوله : إنما أوتيته على علم عندى .

الرابعة : ما فى هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

---

(١) ورد الحديث فى البخارى ومسلم .

باب قول الله تعالى :

﴿ فلما آتاهما صالحاً جعل له شركاء ﴾(١) الآية

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو ، وعبد الكعبة ، وما اشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب .

وعن ابن عباس فى الآية قال : لما غشاها آدم حملت فأتاها إبليس فقال : إنى صاحبكما الذى أخرجتكما من الجنة لتطيعانى أو لأجعلن له قرن أئيل فيخرج من بطنك ؛ فيشقه ولأفعلن ، ولأفعلن ... يخوفهما .. سمياه عبد الحارث ؛ فأبى أن يطيعاه فيخرج ميتاً ، ثم حملت فأتاهما فذكرهما ، فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله جعلا له شركاء فيما أتاهما﴾(٢) .

---

(١) الأعراف آية ١٩٠ .

(٢) رواه ابن أبى حاتم ، وله سند صحح عن قتادة ، وتحدث فيه كثير من العلماء بالضعف ، وغيرهم بالوضع .. والحقيقة أن هذه القصة ملفقة من قبل الإسرائيليات انظر سفر التكوين وغيره عند بدء الخليقة ، والمتأمل لهذه النصوص التى وردت فى شأن تفسير هذه الآية وما استدل به العلماء عن زيف هذه القصة لأنها ليس لها دليل لا من كتاب ولا ومن السنة ولا من إجماع العلماء ، لهذا سوف أورد كلام ابن كثير فى تفسيره لهاتين الآيتين مع شيء من التصرف : =

قال قتادة : نشركك فى طاعه ، ولم يكن فى عبادته ، وله سند صحيح عن مجاهد فى قوله : لأن أتينا صالحاً .. قال : اتفقا أن يكون إنساناً ، وذكر أيضاً بعده عن الحسن وسعيد وغيرهما .

= ، ذكر المفسرون ها هنا آثاراً وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ثم نتتبع ذلك ببيان الصحيح فى ذلك إن شاء الله وبه الثقة .

قال الإمام أحمد فى مسنده حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن ابن سمرة عن النبى ﷺ قال : لما ولدت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره ، وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، ورواه الترمذى فى تفسيره هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به، وقال : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعاً ، ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ورواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى زرعة الرازى عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعاً ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعاً :

قلت : وشاذ هو هلال ، وشاذ لقبه ، والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه .

أحدهما : أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصرى وقد وثقه بن معين ولكن قال أبو حاتم الرازى لا يحتج به ، ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً فالله أعلم.=

باب قول الله تعالى :

﴿ ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ﴾ (١) الآية

وذكر بن أبى حاتم عن ابن عباس : يلحدون فى أسمائه : يشركون وعنه سموا اللات من والإلالة ، والعزى من العزيز ، وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

= الثانى : أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً كما قال ابن جرير : حدثنا ابن أبى الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا بكر ابن عبد الله عن سليمان التيمى عن أبى العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم ابنه عبد الحارث .

الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه ، قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمر وعن الحسن ﴿ جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ قال : كان هذا فى بعض أهل الملل ولم يكن بآدم ، وحدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد ابن ثور عن معمر قال : قال الحسن : عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعنى : ﴿ جعلا له شركاء فيمال آتاهما ﴾ وحدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول : هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا ، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضى الله عنه أنه فسر=

---

(١) ١٨٠ ك الأعراف ٧ .

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

الثالثة : العلة في ذلك .

الرابعة : تعليم التحية الذى لا يصلح إلا لله .

= الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان عنده هذا الحديث محفوظاً عن رسول الله ﷺ لما عدل عنه هو ولا غيره ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابى ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ومن آمن منهم مثل كعب أو وهب ابن منبه وغيرهما كما سيأتى بيانه إن شاء الله الا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم .

فأما الآثار فقال محمد بن إسحاق بن يسار عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال : كانت حواء لا تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبدوهم الله ويسميهم عبدالله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال : إنكما لو سميتماه بغير الذى تسميانه به لعاش ، قال : فولدت له رجلاً فسماه عبد الحارث ففيه أنزل الله يقول: ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة – إلى قوله – فمرت به﴾ شكت أحملت أم لا ؟ ﴿ فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين ﴾ فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما ؟ أم تدريان أبهيمة أم لا ؟ وزين لهما الباطل إنه غوى مبين ، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا ، فقال لهما الشيطان إنكما إن لم تسمياه بى لم يخرج سوياً ومات كما مات الأول فسميا ولدهما عبد الحارث فذلك قول الله تعالى : ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء =

باب : لا قول السلام على الله

فى الصحيح عن ابن مسعود ، قال : كنا مع النبى ﷺ فى الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان فقال النبى ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله ؛ فإن الله هو السلام » (١) .

= فيما آتاهما ﴾ قال : قال الله تعالى : ﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها ﴾ آدم ﴿ حملت ﴾ فأتاهما إبليس لعنه الله فقال : إنى صاحبكما الذى أخرجتكما من الجنة لتطيعانى أو لأجعلن له قرنى إيل فيخرج من بطنك فيشقه ولأفعلن ، ولأفعلن ما فعلت أو لأفعلن – يخوفهما – فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضاً فذكر لهما فأدركهما حب الولد فسمياه عبد الحارث – فذلك قوله تعالى : ﴿ جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾ (٢) رواه أبى حاتم وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدى وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين ومن المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة وكأنه والله أعلم أصله مأخوذ من أهل الكتاب ، فإن ابن عباس رواه عن أبى بن كعب كما رواه ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعلى بن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال : لما حملت حواء أتاها الشيطان ، فقال لها : أتطيعينى ويسلم لك ولدك ، سميه عبد الحارث ، فلم تفعل ، فولدت فمات ثم حملت فقال لها مثل ذلك فلم تفعل ثم =

---

(١) حديث صحيح .

(٢) ١٩٠ ك الأعراف ٧ .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه التحية .

الثالثة : أنها لا تصح على الله .

— حملت الثالثة فجاءها فقال : إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة فهيَّبها فأطاعا .

وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » ثم أخبارهم على ثلاثة أقسام فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضا ، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله « فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم » .

وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث ، وأما الحق فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله : ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ ثم قال : فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ الآية ، ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم .

— تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ٢ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

الرابعة : العلة فى ذلك .

الخامسة : أن التحية تصح لله .

باب قول : اللهم اغفر لى إن شئت

فى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا يقولن أحدكم : «اللهم اغفر لى إن شئت اللهم ارحمنى إن شئت ، ليعزم المسألة ؛ فإنه أمكن له وللمسلم ويعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شىء أعطاه »[١] .

فيه مسائل :

الأولـى : النهى عن الاستثناء .

الثانيـة : بيان العلة .

الثالثـة : قوله : ليعزم المسألة لا مكره له .

الرابعة : عظم الرغبة .

---

(١) حديث صحيح .

باب لا يقول : عبدى وأمتى

فى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يقولن أحدكم أطعم ربك وضىء ربك ، وليقل سيدى ومولاى ، ولا يقل أحدكم : عبدى وأمتى ، وليقل : فتاى وفتاتى وغلامى »[1] .

فيه مسسائل :

الأولى : النهى عن قول أطعم ربك .

الثانية : النهى عن قول عبدى وأمتى .

الثالثة : التعلم بقول فتاى وفتاتى .

الرابعة : العلم الثانى سيدى ومولاى .

الخامسة : التنبه للمراد : وهو تحقق التوحيد حتى باللفظ .

---

(١) متفق عليه .

باب لا يرد من سأل بالله .

عن ابن عمر : قال رسول الله ﷺ : « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم بالله فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافئتموه » [1] .

فيه مسائل :

الأولى : إعانة من استعاذ بالله .

الثانية : إعطاء من سأل بالله .

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

الخامسة : أن يرى مكافأة .

---

(١) رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح .

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة .

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يسأل بوجه الله إلا الجنة » [١] .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عمن يسأل بوجه الله إلا الجنة ؛ لأنهاغاية المطلوب .

الثانية : إثبات الصفات للوجه .

---

(١) رواه أبو داود .

باب ما جاء فى لو

وقول الله تعالى : ﴿ يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا ﴾[1] وقوله : ﴿ الذين قالوا لإخوانهم اقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا ﴾ [2] .

فى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول ﷺ قال : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ، ولا تعجزن ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان» [3] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين .

الثانية : التصريح عن قوله لو .

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

---

(١) ١٥٤ م آل عمران ٣ .

(٢) ١٦٨ م آل عمران ٣ .

(٣) ورد فى صحيح البخارى ومسلم وسنن ابن ماجه .

الرابعـة : الإرشاد إلى كلام الحسن .

الخامسـة : الأمر على الحرص بما ينفعك مع الاستعانة بالله .

السادسة : النهى عن العجز .

باب النهى عن سب الريح .

عن ابن كعب أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسب الريح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إن نسألك من خير هذه الريح ، وخير ما أرسلت به ، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أرسلت به [١] .

فيه مسائل :

الأولى : النهى عن سب الريح .

الثانية : الإرشاد إلى الكلام الحسن .

الثالثة : الارتسام إلى أنها مأمورة .

الرابعة : أنها قد تكون تأمر بخير ، وقد تكون تأمر بشر .

---

(١) صححه الترمذى .

باب قول الله تعالى :

﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر شيء قل إن الأمر كله لله ﴾ [1] الآية

وقوله : ﴿ الظانين بالله ظن السوء عليه دائرة السوء ﴾ [2] الآية .

قال ابن القيم في الآية الأولى : فمن ظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيحتمل ، وفيه بظنهم إنما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمه ، ففسر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء ؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمه وحمده ووعده الصادق ، فمن ظن أنه يريد الباطل على الحق أدلة مستقرة يضمحل منها الحق أو إنكار أن يكون ما جريه القضاء وقدره ، وإنكار أن يكون قدره الحكمة بأنه يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن تلك المسألة مجردة وذلك بظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ، وأكثر الناس

---

(١) ١٥٤ م آل عمران ٣ .

(٢) ٦ م الفتح ٤٨ .

يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم ، وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف هذا الأمر وعرف الله وعرف أسماءه وصفاته وموجب حكمه وحمده الصادق فلتبين اللبيب الناصح لنفسه ويتب إلى الله ويستغفره من ظنه بقوله : ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على الحق والقدر ، ويلا مبرر له ، وأنه ينبغي أن يكون كذا وكذا فمستقل ، ومستكثر ، وتقيس نفسك هل أنت مسالم ، فإن نبا منها نتج من ذى عظيمة ، وإلا فإني لا أخالك ناجٍ .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصى .

الرابعة : أنه لا يسلم منه إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته .

باب ما جاء فى منكرى القدر

قال ابن عمر : والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم مثل أُحُد ذهباً ثم أنفقه فى سبيل الله ما قبله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم استدل بقول النبى ﷺ : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

وعن عبادة ابن الصامت أنه قال لابنه : يا بنى إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس منى » ، وفى رواية لأحمد : « إن أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له اكتب ؛ فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة »(٢) .

وفى رواية لابن وهب قال رسول الله ﷺ : « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » ، وفى المسند والسنة عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى

---

(١) رواه مسلم .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد باب الإيمان .

ابن كعب ، فقلت في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله يذهب من قلبي ؛ فقال : لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا ؛ لكنت من أهل النار ، قال فأتيت عبد الله بن مسعود ، وحذيفة ابن اليمان وزيد بن ثابت فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ»(١).

فيه مسائل :

الأولى : بيان فرض الإيمان .

الثانية : بيان كيفية الإيمان .

الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الإخبار بأن لا أحد يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .

السادسة : أنه جرى بالمقادير .

السابعة : براءته ﷺ ممن لا يؤمن به .

---

(١) حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه .

الثامنـة : عادة السلف فى إزالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : أن العلماء أجابـوا بما يزيـل الشبهة وذلك نسبــوه إلى الرسول فقط.

باب ما جاء في المصورين

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله : « ومن أظلم من ذهب يخلق كخلقى فليخلق ذرة أو يخلق حبة أو يخلق شعيرة » (١) .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله » (٢) .

وعن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور فى النار يجعل له بكل صورة صورها نفساً يعذب بها فى جهنم » (٣) .

ولهما عنه مرفوعاً : « من صور صورة فى الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » (٤) .

وعن أبى الهياج قال : قال لى علىّ : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه

---

(١) أخرجاه فى الصحيحين .

(٢) فى الصحيحين .

(٣) البخارى ومسلم أيضا .

(٤) فى الصحيحين .

رسول الله ﷺ ؟ ألا تدعو صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا ساويته [١] .

فيه مسائل :

الأولــى : التغليظ الشديد فى المصورين .

الثانيــة : التنبيه على عجزهم بقوله فليخلق ذرة .

الثالثــة : التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً .

الرابعــة : أن الله يخلق بعدد كل صورة نفس فيعذب بها فى جهنم .

الخامسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ .

السادسة : طمسها إذا وجدت .

---

(١) فى صحيح مسلم .

باب ما جاء فى كثرة الحلف

وقول الله : ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ (١)

عن أبى هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الحلف منفق للسلعة ممحق للكسب » (٢) .

وعن سليمان أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه » (٣) .

وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « خيار أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » قال عمران : فلا أدرى بعد قرنه مرتين أو ثلاثة ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن » (٤) .

---

(١) ٨٩ م المائدة ٥ .

(٢) أخرجاه فى الصحيحين .

(٣) رواه الطبرانى بسند صحيح .

(٤) متفق عليه .

وفيه عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : « خيار أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم عينه ، ويمينه شهادته » قال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الإيمان .

الثانية : الإخبار بأن الحلف منفق للسلعة ممحق للكسب .

الثالثة : الوعيد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشترى إلا بيمينه .

الرابعة : التنبية على أن الذنب يعظم مع قلة الدعاء .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر بعد ما يحدث بعدهم .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

باب ما جاء فى ذمة الله وذمة نبيه

وقوله : ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾ [1] الآية .

عن بريدة قال : كان رسول الله ﷺ إذا أمَّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً فقال : « اغز بسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم ، ثم ادعهم إلى التحويل من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن لا يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكن لهم فى الغنيمة والفىء شىء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية فإن هم أجابوك ، فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون

---

(1) ٩١ ك النحل ١٦ .

من أن تخرقوا ذمة الله وذمة نبيه ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزل لهم على حكم الله ، ولكن انزل لهم على حكمك ، فإنك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أو لا ، [1] .

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

الثانية : الإرشاد إلى أولياء الأمرين خطر .

الثالثة : قوله لهم : اغزوا باسم الله فى سبيل الله .

الرابعة : قوله : قاتلوا من كفر بالله .

الخامسة : قوله : استعن بالله وقاتلهم ، الفرق بين حكم الله وحكم العلماء .

السادسة : أن الصحابى يحكم عند الحاجة بحكم لا يدرى أيصيب به حكم الله أم لا .

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

باب ما جاء فى الإقسام على الله

عن جندب ابن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ قال : « رجل والله لا يغفر الله لفلان ؛ فقال الله عز وجل : من ذا الذى يقال علىّ ألا أغفر لفلان ، إنى قد غفرت له وأحبطت عملك » [1] .

وفى حديث أبى هريرة أن القائل عابد تكلم كلمة أوبقته دنياه وآخرته » .

فيه مسائل :

الأولـــى : التحذير من التآلى[2] على الله .

الثانيـــة : كون النار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله .

الثالثـــة : الجنة مثل ذلك .

الرابعـــة : فيه شاهد لقوله تعالى : « إن الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله – إلخ ..

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسبب هو أكره الأمور .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أى الحلف والإقسام على الله .

باب لا يستشفع بالله على خلقه .

عن جبير ابن مطعم قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله هلكت الأنفس وجاع العيال وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك فإننا نستشفع بالله عليك وبك على الله ؛ فقال النبى ﷺ : « سبحان الله سبحان الله فمازال يسبح حتى عرف ذلك فى وجهه أصحابه ، ثم قال : ويحك أتدرى ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد » (١) وذكر الحديث .

فيه مسائل :

الأولى : إنكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيراً عرفوه في وجهه أصحابه .

الثالثة : أنه لم ينكر قوله : نستشفع بك على الله .

الرابعة : معنى سبحان الله .

الخامسة : أن الصحابة يسألونه الاستشفاع .

---

(١) رواه أبو داود فى السنن .

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ

حمى التوحيد وسده طرق الشرك .

عن عبد الله ابن الشخير قال : انطلقت فى وفد من بنى عامر إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : أنت سيدنا ، فقال : « السيد هو الله تبارك وتعالى » ، قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ، فقال : قولوا : نقول لكم أو بعض قولكم ولا يسخرنكم الشيطان » (١) .

وعن أنس أن ناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال : « يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان، إن محمداً عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل » (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : تحذيره الناس عن الغلو .

الثانية : ما ينبغى أن يقول ما يقول من يقول له ذلك .

---

(١) رواه أبو داود بسند جيد .

(٢) رواه النسائى بسند جيد .

الثالثـة : قوله : لا يستهوينكم الشيطان مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة : قوله : ما أحب أن ترفعونى فـوق منزلتى التى أنزلنـــى اللـه فيهـا .

باب ما جاء في قول الله تعالى :

﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ (1) الآية .

عن ابن مسعود قال : جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد : إنا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع والأراضين على أصبع ، والشجر على أصبع والماء على أصبع والثرا على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ؛ فيقول : أنا الملك ؛ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ : ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ﴾ الآية .

وفي رواية المسلم : « والجبال والشجر على أصبع ثم يهزهنّ فيقول : أنا الملك أنا الله » (2) .

وفي رواية للبخاري : « يجعل السماوات على أصبع والماء والرّى على

---

(1) ٩١ ك الأنعام ٦ .

(2) صحيح مسلم .

أصبع وسائر الخلق على أصبع » [1] .

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : « يطوى الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ويقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؛ ثم يطوى الأراضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله ، ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون » [2] ؟

ورواه عن ابن عباس قال : « ما السماوات السبع والأراضون السبع فى كف الرحمن إلا كخردلة فى كف أحدكم » [3] .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس ثنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثنى أبى قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السماوات السبع فى الكرسى إلا كدرهم سبعه ألفت فى ترس قال : فقال أبو ذر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد ألقت بين ظهرى فلاة من الأرض ، وعن ابن مسعود قال : « بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام ، وبين الكرسى

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) صحيح مسلم .

والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم » (١) .

قاله الحافظ الذهبى قال : وله طرق ، وعن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ : « هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا الله ورسوله أعلم .

قال بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بنى آدم » (٢) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : والأرض جميعاً قبضته .

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود فى زمن النبى ﷺ لم ينكروها ولم ينالوها .

الثالثة : أن الحبر لما ذكرها للنبى ﷺ ضحك وصدقه .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٢) أخرجه أبو داود وغيره .

الرابعة : وقوع الضحك الكثير من رسول الله ﷺ عنـد ذكـر الحبر هـذا العلم العظيم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين ، وأن السمـاوات فى اليـد اليـمنى والأراضين فى الآخرى .

السادسة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

السابعة : عظم الكرسى بالنسبة للسماوات .

الثامنة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسى .

التاسعة : أن الكرسى غير العرش .

العاشرة : كم بين كل سماء وسماء .

الحادية عشر : كم بين السماء السابعة والكرسى .

الثانية عشر : كشف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فقد تأملت هذه الرسالة المشتملة على نقل كلام العلماء ، وفيها ما استدلوا له به من الأحكام المستنبطة والحكم والفوائد المستخرجة من الآيات العظيمة والأحاديث الشريفة مع ما داخلها من تعزيزات منكرها الزائغ عن الدين ، والعمل على ما اعتقده من تكفير المسلمين بافترائه وجهله ، عامله الله تعالى بعد له . وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه .

كتب الفقير إلى رحمة الله تعالى

حسن بن عمر العقلي الحنبلي

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله أخبرني غير واحد من أن أسد ابن موسى كتب إلى أسد ابن الفرات :

.. اعلم يا أخي إنما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من ايضانك الناس وحسن حالك كما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدعة ، وكثرت ذكرك لهم وطعنك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم ؛ فإذا ذلهم الله بيدك ، وصاروا مستبشرين ، فأبشر أخي بثواب ذلك ، واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد .

أين يقع هذا العمل من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحيا شيئاً من سنتي كنت أنا وهو كهاتين ، وضم بين إصبعيه ، وقال : « أيما داع دعا إلى هدى فاتبعه عليه كان له أجر من تبعه إلى يوم القيامة » .

فمتى يدركك أجر هذا الشيء من عمله ، وذكر أيضاً أن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً لله يذب عنها ، وينطق بعلاماتها ؛ فاغتنم يا أخي هذا الفضل ، وكن من أهله ، فإن النبي ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه وقال : « لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من كذا وكذا .

وأعظ القول فيه فاغتنم ذلك وادعو إلى السنة حتى يكون لك ألفة وجماعة يقومون معك إن حدث بك حدث ؛ فيكونون أئمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء من الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية

وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر فتكون خلفاً لنبيك ﷺ ، فإنك لا تلقى الله بعمل شبهة وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ وجليس ؛ إنه جاء فى الأثر ، من جالس صاحب بدعة نزعه من العصمة ووكل إلى مسه ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى فى هدم الإسلام ، وجاء ما من إله يعبد من دون الله البعض إلى الله من حب هوى ، وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع ، وأن الله لا يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ولا فريضة ولا تطوع ، وكلما ازدادوا اجتهاداً وصوماً وصلاة ، ازداد الله منهم بعداً ، فارفض مجالسهم ، وذلهم وأبعدهم ، كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله وأئمة الهدى بعده – انتهى كلام أسد .

واعلم رحمك الله ، وما يأتى من كلام أمثاله من السلف من معاداة أهل البدع والضلالة لا تخرج من الملة ، لكنهم شددوا فى ذلك وحذروا عنه لأمرين –

الأمر الأول : غلظ الله البدعة فى نفسها فهى عندهم أجل من الكبائر، ويعاملون أهلها بأغلظ مما يعاملون به أهل الكبائر كما تجد قلوب الناس اليوم أن الرفض عندهم ، ولو كان عالماً عابداً أشد دينا من السنىّ المجاهر بالكبائر.

الأمر الثانى : أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع فمثال البدعة التى شددوا فيها مثال تشديد النبى ﷺ على من عبد الله عند قبر رجل صالح خوفاً من وقوع الشرك الصريح الذى يصر المسلم مرتداً به ، فمن هذا فهم الفرق بين البدع ، وبين ما نحن فيه من

الكلام فى الردة ، ومجاهدة أهلها والنفاق الأكبر ومجاهدة أهله ، وهذا هو الذى أنزلت فيه الآيات المحكمات ومثل قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذله على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ (٢) الآية .

وقال ابن الوضاح فى كتاب « البدع والحوادث » بعد حديث ذكره : سيقع فى هذه فتنة الكفر وفتنة الضلالة ، قال رحمه الله : إن فتنة الكفر هى الردة يحل فيها السبى والأموال ، وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبى والأموال ؛ وهذا الذى نحن فيه فتنة الضلالة لا يحل فيها السبى ولا الأموال – انتهى كلامه .

وقال رحمه الله أيضا : أخبر أسد أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال ابن مسعود : إن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنها ، وينطق بعلاماتها ، فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله .

قال ابن المبارك : وكنا بالله ، ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف : لأن أرد رجلاً عن رؤية سيئة أحب إلى من أن أعتكف شهراً .

---

(١) سورة المائدة « م » من الآية « ٥٤ » .

(٢) سورة التحريم « م » من الآية « ٩ » .

أخبرنا أسد عن ابن إسحاق عن الأوزاعي قال : كان بعض أهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صياماً ولا صدقة ، ولا جهاداً ولا حجاً ولا صرفاً ولا عدلاً ، وكانت أسلافكم تشهد عليهم ألسنتهم ، وتشمئز قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم .

قال : ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون ما كان لأحد أن يهتك عنهم ستراً ، ولا يظهر منهم عورة الله أو لا يأخذ بها . وأما إذا جهروا ، فنشر العلم حياة ، والبلاغ عن رسول الله ﷺ يعتصم له على مضرة محدثهم ، روى بإسناده : قال : جاء رجل إلى حذيفة ، وأبو موسى الأشعرى قاعد فقال : رأيت رجلاً ضرب بسيفه غضباً لله حتى قتل ، أفى الجنة أم فى النار ؟ قال أبو موسى : فى الجنة ؛ فقال حذيفة : استفهم الرجل وأفهمه ما تقول حتى فعل ذلك ثلاث مرات فلما كان فى الثالثة قال : والله لاستفهمه ؛ فدعا به حذيفة فقال : رويدك إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو فى الجنة ، وإن لم يصب الحق فهو فى النار ، ثم قال : والذى نفسى بيدى ليدخلن النار فى مثل الذى سألت عنه أكثر من كذا وكذا ، ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة ؛ فإنه يمرض قلبك ، ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثورى قال : من جالس صاحب بدعة لا يسلم من أحد ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره ، أو إما أن يقع فى قلبه شيء فينزل به ، وإما أن يقول : والله ما أبالى ما تكلموه ، فمن أمن الله على دينه طرفة عين سكبه إياه .

ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال : مات ابن صاحب بدعة [1] ، فقد أعان على هدم الإسلام .

أخبرنا أسد قال : أخبرنا حماد ابن زيد عن أيوب قال : قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون ، قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذا الألباب : أخبرنا أسد أخبرنا زيد عن محمد بن طلحة قال : قال إبراهيم : لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم ، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم .

أخبرنا أسد بالإسناد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « المرء على دين خليله ». فلينظر أحدكم إلى من يخالل » [2] .

أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل محمد بن سيرين يوماً على رجل ، فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لأزيد على أن أقرأها ثم خرج فوضع أصبعيه في أذنيه ، ثم قال : أخرج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتي ، فقال : يا أبا بكر إني لأزيد على أن أقرأ ، ثم أخرج . قال : فقال : بإزاره يشير عليه ،وتهيأ للقيام ؛ فأقبلنا على الرجل فقلنا قد خرج عليك الآخر ، أفيحل لك أن تخرج رجلاً من بيته ؟ قال فخرج فقلنا : يا أبا بكر ما عليك لو قرأ عليك آية ثم خرج فقال :

(١) كلمة غير واضحة في المخطوط .

(٢) متفق عليه .

إني والله لو ظننت أن قلبي يشت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ، ولكن خفت أن يلقى فى قلبى شيئاً أجهد أن أخرجه من قلبى فلا أستطيع .

أخبرنا أسد قال : أخبرنا حمزة عن سودة قال : سمعت عبد الله بن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو شر منه فذكرت هذا لبعض أصحابنا فقال الصديق فى حديث عن النبى ﷺ : « يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم فوقه » .

أخبرنا موسى عن حماد بن زيد عن أيوب قال : كان رجل ذى رأى فرجع عنه فأتيت محمداً فأخبرنا به فقلت : أشعرت أن فلاناً ترك رؤياه التى كان يراها ، فقال : انظروا إلى ما يحتوى آخر الحديث الشد عليه من أوله : يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه .

ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاه بيضاً فى كفه فوضعها فى كفه ثم قال : إن هذا الدين قد اتضاءت هذه ثم أخذ كفاً من تراب فجعل يزره على الحصات حتى واراها ثم قال : والذى نفسى بيده ليجيئن أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصوات .

أخبر محمد بن محمد ابن سعيد بإسناده عن أبى الدرداء قال : لو خرج رسول الله ﷺ اليوم ما عرف شيئاً مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة .

قال الأوزاعى : فكيف لو كان اليوم يعنى الراوى عن الأوزاعى فكيف لو

أدرك الأوزاعى هذا الزمان [1] .

أخبرنا عن سلمان بإسناده عن على أنه قال : « تعلموا العلم تعتزوا به وتكونون من أهله ؛ فإنه سيأتى بعدكم زمان ينكر الحق تسعة أعشارهم .

أخبرنا بن يحيى بإسناده عن أبى مالك عن أبيه أنه قال : لا أعرف شيئاً مما أدركت الناس عليه إلا [2] بالصلاة . حدثنى إبراهيم ابن محمد بإسناده عن أنس قال : كا أعرف شيئاً منكم كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ إلا قولكم : لا إله إلا الله .

أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال : لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ، ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً ، ثم قال : ووضع يده على خده ثم قال : ألا هذه الصلاة ، ثم قال : والله لمن عاش فى هذا المنكر ، ولم يدرك السلف الصالح فرأى مبتدعاً يدعو إلى بدعه ، وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك ، وجعل قلبه يحيى إلى ذكر هذا السلف الصالح ، وسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض آجراً عظيماً ، فكذلك فكونوا إن شاء الله .

---

(١) ونحن بدورنا نقول : فكيف لو أن هذا السلف الصالح أدرك زماننا الذى نعيش فيه ووجدوا فيه هذه الحياة المنحرفة التى تغطيها الضلالة من كل جانب ؟!! بالطبع لكان لهم رأى آخر .

(٢) كلمة غير واضحة .

حدثنا عبدالله بن محمد بإسناده عن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلاً نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم هذه القبلة .

أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الورد قالت : دخل أبو الدرداء مغضباً ، فقلت له : ما أغضبك ؟ فقال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمدٍ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً ، وفى لفظ لو أن رجلاً تعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئاً مما كان عليه .

قال مالك : وبلغنى عن أبى هريرة تلى قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾[1] الآية . وقال : والذى نفسى بيده إن الناس يخرجون من دينهم أفواجاً .

قف وتأمل إذا كان هذا فى زمن التابعين يحصل أو أواخر الصحابة فكيف يقر المسلم المكفرات وتشكل عليه ، ولا يستدل بها على الباطل ، ثم روى ابن وضاح عن أبى أبيه بإسناده قال : أبو ثعلبة الخشنى ، فقلت : يا أبا ثعلبة ، كيف تصنع بهذه الآية ؟ قلت . قوله تعالى : ﴿ لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾ [2] ، قلت : أما والله لقد سألت عنها من هو خير منى ، سألت عنها رسول الله ﷺ قال : « بل تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر حتى إذا رأيت شيئاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك

---

(١) سورة النصر الآية رقم «١» .

(٢) سورة المائدة آية رقم « ١٠٥ » .

بنفسك ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فهنا مثل قبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله : أجر خمسين رجلٍ منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم » (١) .

ثم روى بإسناده عن عبدالله بن عمرو أن النبى ﷺ قال : « طوبى للغرباء . قالوا : يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال : ناس صالحون قليلاً فى الناس سوء كثيراً من يبغضهم أكثر من يحبهم » (٢) .

أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافرى قال : قال رسول الله ﷺ : « طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله حين يترك ، ويعملون بالسنة حين تطفى » (٣) .

أخبرنا أسد بإسناده عن سالم بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً فطوبى للغرباء حين يفسد الناس » (٤) .

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه أهل السنن ، وانظر رواياته المختلفة فى الجامع الكبير .

(٤) أسد بن الفرات ، انظر ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان

أخبرنا أسد بإسناده أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ، قيل : ومن الغرباء يارسول الله ؟ قال : الذين يصلحون عند فساد الناس » [1] .

هذا آخر ما نقله من كتاب البدع والحوادث للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله .

قال المؤلف : تأمل رحمك الله أحاديث العربية وبعضها فى الصحيح مع كثرتها وشهرتها ، وتأمل إجماع العلماء كلهم إن قد وقع فى زمن طويل حتى قال ابن القيم : الإسلام فى زماننا غريب منه فى أول ظهوره . فتأمل جيدا لعلك أن تسلم من الهوة الكبيرة التى هلك فيها أكثر الناس ، وهى الاقتداء بالأكثر منها ، أقله ما أقله .

ونختتم ذلك بالحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم فى صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبى بعثه الله تعالى فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره – وفى رواية – يهتدون بهديه ويستنون بسنته ، ثم إنهم تخلق من بعدهم خلف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » [2] . انتهى

(١) السابق .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه بروايات مختلفة .

ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقى الدين رسالة كتبها وهو فى السجن إلى بعض إخوانه الذين أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن أحببت أن أذكرها لعظم منافعها .

« قال : الحمد لله نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد وصلت الورقة التى فيها رسالة الشيخين الناسكين القدوتين أيدهم الله وسائر الإخوان بروح منه ، وكتب فى قلوبهم الإيمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما ينصر به من السلطان والعلم والحجة بالبيان والبرهان ؛ وسلطان الدرة والنصرة بالسنان والأعوان ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه الغالبين لمن ناوههم من الأقران ، ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر واليقين ، والله محقق ذلك ومنجز وعده فى السر والعلن ، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن لكن بما اقتضته حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذى يميز به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان إذ دل كتابه على أنه لابد من الفتنة لكل من ادعى الإيمان والعقوبة فقال : ﴿ الم * أحسب الناس أن يتركوا أن

يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون ﴾ (١) .

فأنكر سبحانه على من يظن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، أو أن مدعى الإيمان يتركون بلا فتنة تميز من الصادق والكاذب ، وأخبر فى كتابه أن الصدق بالإيمان لا يكون بالجهاد فى سبيله فقال تعالى :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا – إلى قوله – إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (٢) .

فأخبر سبحانه بخسران المنقلب على عقبه ووجهه عند الفتنة الذى يعبد الله فيها على حرف : وهو الجانب والطرف الذى لا يستقر من هو عليه بل لايثبت على الإيمان لا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا فقال تعالى :

﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ﴾ (٣) .

---

(١) سورة العنكبوت «م» من « ١ : ٤ » .

(٢) سورة الحجرات «م» من « ١٣ : ١٥ » .

(٣) سورة الحج «م» من الآية رقم « ١١ » .

وقال تعالى :

﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والصابرين﴾ (١) .

وأخبر سبحانه أنه تعالى عند وجود المرتدين فلابد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين ؛ فقال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ (٢) .

وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى: ﴿ وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قلبله الرسل أفا إن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين – إلى قوله – والله يحب المحسنين ﴾ (٣) .

---

(١) سورة آل عمران «م» « ١٤٢ » .

(٢) سورة التحريم «م» آية رقم « ٩ » .

(٣) سورة آل عمران «م» من الآية « ١٤٤ : ١٤٨ » .

فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى من القضاء خير له كما قال النبى ﷺ : « لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء فشكر الله كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له » [1] .

والصبار الشكور هو المؤمن الذى ذكر الله فى موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر ؛ فهو شر حال ، وكل واحد من السراء والضراء فى حقه تقضى به إلى تيج المال ، فكيف إذا كان ذلك فى الأمور العظيمة التى هى من محن الأنبياء والصديقين ، وفيها تثبيت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان ، فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ، والله المسئول أن يثبتكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويتم عليكم نعمه الظاهرة والباطنة ، وينصر دينه وكتابه وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم فى كتابه المبين . انتهى ما نقلته من كلام أبى العباس رحمه الله .

---

(١) متفق عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم رحمك الله أن الإسلام هو حديث جبرائيل عليه السلام حيث أتى النبى ﷺ فقال : فما الإسلام ؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ – وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت قال : صدقت يامحمد . فقال : أخبرنى عن الإيمان والإحسان ؛ فأخبره ، قال : صدقت يا محمد .

فالواجب عن من نصح نفسه أن يعرف معنى هذا الأصل الذى لابد لكل إنسان معرفته حتى يصير مسلماً ، فكيف يكون مسلماً من ليس معه من هذا المقدار شعرة ؟! فإن لم يأت به كاملاً ، ولم يقربه ، ولم يعمل به ، ولم يصدق به ، فليس به بمسلم .

فيا أخى لا تغتر بأقاويل الناس ، من جهل معنى هذا الحديث ، فإن كثيراً من الناس لا يفهمه ، ولو كان بيننا شائعاً ذائعاً لشرحه رسول الله ﷺ شرحاً ليس فيه إشكال على من أراد الله به خيراً ، وأما من قال : إنه إذا قال الإنسان : لا إله إلا الله فهو مسلم من غير عمل فهذا أكبر المسبة لله ورسوله ؛ لأنه كذَّب الله وكذَّب رسوله وكذب جبرائيل ، وكان ممن قال الله فى حقه هذه الآية : ﴿ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ (١) ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الأنعام ١١٦ .

(٢) سورة الأنعام ١٤٩ .

والهداية بيد الله ، ليس بيد من زعم أنه من العلماء وأما الذى لا بد للإنسان من معرفته معنى شهادة ألاَّ إله إلا الله : فإن معنى شهادة ألاَّ إله إلا الله : فهى : نفى وإثبات فمعنى قولك : لا إله : أنك تنفى كل معبود من دون الله ، وأنك لا تصلى إلا لله ، ولا تذبح إلا لله ، ولا تدعو إلا لله ، ولا تنذر إلا لله ، ولا تتوكل إلا على الله ، ولا تخاف إلا الله ، ولا ترجو إلا الله ، ولا تعبد إلا الله ، ولا نستعين إلا بالله ، ولا تنيب إلا لله ، وكذلك التبرك والالتجاء وكل هذا ذكره الله فى كتابه العزيز ، فدليل الصلاة والذبح فقوله عز وجل : ﴿فصل لربك وانحر ﴾ (١) ، وأما دليل الدعوة فقوله : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً ﴾ (٢) ، وأما دليل الزكاة فقوله : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ (٣) ، وأما دليل النذر فقوله ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ﴾ (٤) .

وأما دليل التوكل فقوله : ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ (٥) .

وأما دليل الخوف فقوله : ﴿ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ (٦).

وأما دليل الرجاء فقوله : ﴿ فمن كان يرجر لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الكوثر ، ٢ ، . (٢) سورة الجن آية ، ١٨ ، . (٣) سورة البقرة ، ٤٣ ، .

(٤) سورة البقرة ، ٢٧٠ ، . (٥) سورة المائدة ، ٢٣ ، . (٦) سورة آل عمران ، ١٧٥ ، .

(٧) سورة الكهف آية ، ١١٠ ، .

وأما دليل العبادة والاستعانة فقوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (١) .

فهذه الكلمة كل التوحيد ، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وأما معنى قولك : إلا الله . فهذا تثبيت أثبته لله لا يشاركه في ذلك لا نبى مرسل ، ولا ملك مقرب ، فمن دعا ملكاً أو نبياً أو رجلاً صالحاً أو جنياً أو إنسياً أو شجراً أو حجراً أو مكاناً من الأمكنة ، أو التجأ إلى قبة أو إلى قبر يريد بما فعل جلب نفع أو دفع ضر ؛ فقد اتخذ إلهاً من دون الله ، واتخذ إلهه هواه فهذا هو الشرك الأكبر الذى يخلد صاحبه فى النار ، وهذا هو معنى قول الله : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه أ فأنت تكون عليه وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ (٢) .

وأما معنى قولك : محمد رسول الله : فمحمد عبدٌ لا يُعْبَد ، رسول لا يكذب ، ولا يعصى ، وتعد قوله على قول العالمين جملة .

أرسله الله بشيراً ونذيراً ، يبشر من أطاع الله بالجنة ، وينذر من عصى الله بالنار، والدليل عليه أنه رسول الله قوله تعالى: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ فى سورة الأحزاب، وقوله :﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولا كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً ﴾

---

(١) سورة الفاتحة ، ٥ ، .

(٢) سورة الفرقان ، ٤٣ ، ٤٤ ، .

فى سورة المزمل ؛ فظهر دينه ﷺ حتى ملأ الآفاق ، فإن من استن بسنته أو دعا بدعوته عاوده الناس ، ولم ينكر هذا إلا مشرك أو كافر أو معاند أو جاهل كما قال ورقة بن نوفل : والله يا محمد لم يأت أحد بمثل ما أتيت به إلا عودى .

ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر والأشجار والأحجار شهدت بنبوته ، وغير ذلك من الحجج الظواهر والآيات البواهر التى لم يأت بها جميع الموجودات ، فهذا دليل على أنه رسول الله ﷺ ، وأما غيره من دعاة النبوة مثل مسيلمة والعنسى والمختار ، فقطع الله دابرهم واضمحل دينهم ، والحمد لله رب العالمين .

وأما دليل الصيام : فقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (١) .

وأما دليل الحج فقوله : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين ﴾ (٢) .

فهذا معنى قولك : لا إله إلا الله .

---

(١) سورة البقرة ، ١٨٣ ، .

(٢) سورة آل عمران من الآية ، ٩٧ ، .

وأما الإيمان فستة أصول من لوازم الإسلام ، فلو تأتى بالإسلام كله ، ولا تؤمن بستة هذه الأصول لم تكن مسلماً .

والأول : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر من الخير والشر .

فالإيمان بالله نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان .

وتعلم أنه هو الذى خلقك واختص عبادتك له .

والثانى : الإيمان بالملائكة كلهم وتعلم خواصهم الذى ذكر الله من كتابه، وهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزائيل ، وحملت العرش الثمانية ، والفتانان وسؤالهم ، وهم منكر ونكير ، ورقيب وعتيد ورضوان خازن الجنة ، ومالك خاز النار ، وعليها تسعة عشر ، وتعلم بما فيهم من الخلقة والعظمة والقوة .

الثالث : تؤمن بالكتب التى أنزلت على الأنبياء منهم إدريس وصحف إبراهيم وموسى والتوارة والإنجيل والزبور والفرقان ، وغيرهما .

وكل هذه الكتب متضمنة التوحيد ، وكل منها مرسلة بعبادة الله وحده والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ [1] .

---

(١) سورة النحل آية ، ٣٦ ، .

الرابع : الإيمان بالرسل أولهم نوح وآخرهم محمد ﷺ ودينهم واحد وهو التوحيد وهو قول الله : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ (١) .

الخامس : الإيمان باليوم الآخر .

والسادس : الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره . فالإيمان بالله تصدقه فيما وعد من الخير وما توعد من الشر .

وأما دليل الإيمان بالله وملائكته والكتب والرسل فقوله : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ .

فهذا الإسلام الكامل ﴿ ومن يبتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢) .

وأما دليل القدر فقوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (٣) .

---

(١) المؤمنون آية « ٣٢ » .

(٢) سورة آل عمران آية رقم « ٨٥ » .

(٣) سورة التوبة آية رقم « ٥١ » .

فهذا الإيمان بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن يخطئك ، وما أخطأك لم يكن يصيبك ، وتعلم أن الخير والشر كله من الله تقديراً ، ولا يظلم ربك أحداً ، وله سبحانه فيه حكمة .

فهذا معنى شهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ .

أما الإحسان فأصلان ، وهما صلاح العمل ، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهو قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ (١) .

فإن حفظت هذا وعملت به فما أكبرها عليك من سعادة ، وليس لك من هذا شيء كله إلا بالموالاة والمعاداة ، توالى أهل التوحيد ، وتعادى أهل الشرك وتبدى لهم العداوة والبغضاء أبداً حتى يؤمنوا بالله وحده كقول إبراهيم لأبيه وقومه : ﴿ إنا برءاء ومنكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ (٢) .

فإذا علمت أنه واحد فعرف أنه هو المعبود .

والله هو ولى التوفيق والله الهادى والله أعلم .

---

(١) سورة الحديد آية رقم ، ٤ ، .

(٢) سورة الممتحنة جزء الآية رقم ، ٤ ، .

الخـــاتـــمة

وبعد

فإن العقيدة الإسلامية مثلها مثل الشجرة الطيبة التى لا ينقطع ثمرها ، فهى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، صيفاً وشتاءً ليلاً ونهاراً ، دنيا وآخرة ، والمؤمن كذلك لا يزال يرفع عمل صالح فى كل وقت وحين .

ولهذا كثر فى القرآن الكريم اقتران الإيمان بالعمل الصالح ؛ لأنه ثمرة من ثماره ، وأثر من آثاره ، وما أصدق قول الله سبحانه :

﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها * ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴾ .

[إبراهيم ٢٤ ، ٢٥]

وفى ظلال العقيدة تتوافر عناصر الارتقاء المادى والروحى ، ويجد الإنسان عناية الله وولايته وكرامته ما يبلغه ذروة الكمال الذى أراده الله له .

وإذا كان سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى ، هو ضعف العقيدة كان من الضرورى – ونحن نعمل على إعادة مجد أمتنا – أن نسعى جاهدين

فى غرس العقيدة فى نفوسنا ، وأن نترسم الخطة التى رسمها الرسول – ﷺ – فى تعهدها بالتربية والتنمية حتى بلغ غايتها من القوة ، وتصل إلى النهاية من اليقين الذى يدفعنا إلى مجد الحياة ، ويرفعنا إلى أسمى درجات العز والشرف .

وإن معرفة الله هى أسمى المعارف وأجلها ، وهى الأساس الذى تقوم عليه الحياة الروحية كلها .

فمنها تفرعت المعرفة بالأنبياء والرسل ، وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم ، وصفاتهم ، والحاجة إلى رسالاتهم ، وما يلحق بذلك من المعجزة والولاية ، والكرامة ، والكتب السماوية .

وعن طريق المعرفة بالله تشعب المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة من الملائكة والجن والروح .

وعنها أيضاً انبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة ، وما تنتهى إليه من الحياة البرزخية ، والحياة الأخروية : من البعث ، والحساب ، والثواب ، والعقاب، والجنة ، والنار .

ولهذا قدمت لكم هذا الكتاب الذى ذكر فيه مصنفه أقوال العلماء وعقيدتهم فى الله تبارك وتعالى ، وقد تبين لنا أنها منبثقة من الكتاب ، ومن أقوال رسول الله – ﷺ – لا زيف فيها – ولا تحريف ، ولا تبديل ولا تعطيل ولاتشبيه ولاتمثيل ولا تكييف بل كانت آراء واضحة جلية لا لبس فيها ولا

غموض ، تشد المتأمل الواعى إليها الذى أراد الله تبارك وتعالى له الهداية ، فلا يتردد ولا يتحير ، ولا تتشعب به الأفكار فتؤدى به إلى الضلال .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

د محمد زينهم محمد عزب

محمد سيد عبد الغفار

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- فتح البارى ، شرح صحيح البخارى ، .

٣- شرح صحيح مسلم بشرح النووى .

٤- سنن أبى داود .

٥- سنن النسائى .

٦- سنن بن ماجة .

٧- سنن الدار قطنى .

٨- سنن البيهقى .

٩- سنن الدارمى .

١٠- الجامع الكبير ، والجامع الصغير للإمام السيوطى .

١١- سنن الإمام الترمذى .

١٢- نير الأوطار للإمام الشوكانى .

١٣- رياض الصالحين .

١٤- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

١٥- تفسير الطبرى .

١٦- تفسير القرطبى .

١٧- تفسير الفخر الرازى .

١٨- محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل مكتبة الوعى العربى ، إبراهيم خليل أحمد ، ، فيلبس سابقا ، .

١٩- الإيمان لأبى بكر بن أبى شيبة ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى نشر دار الأرقم بالكويت .

٢٠- ابن أبى المعز الدمشقى : شرح العقيدة الطحاوية تحقيق شعيب الأرنؤوط .

٢١- شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان الصوفى ، رسالة ماجستير بدار العلوم .

٢٢- الشرح والإبانة على أصول أهل السنة والديانة لابن بطة العكبرى، تحقيق د/ رضا نعسان مصطفى، سنة ١٩٨٤ م . الفيصلية بمكة.

٢٣- الاحتجاج بالقدر . لابن تيمية . طبعة أنصار السنة .

٢٤- التوحيد لابن تيمية ، تحقيق د/ محمد السيد الجليند نشر مؤسسة علوم القرآن .

٢٥- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية نشرة المطبعة المدينة بمصر .

٢٦- الحسنة والسيئة لابن تيمية ، رسالة ضمن مجموع شذرات البلاتين جمع الشيخ حامد الفقى .

٢٧- درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ،لابن تيمية ، تحقيق د/ محمد رشاد سالم ط جامعة الإمام - بالرياض.

٢٨- الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ، طبعة الهند .

٢٩- رسالة العبودية - ابن تيمية - المكتب الإسلامى .

٣٠- ابن تيمية : العقيدة الواسطية وشرحها للأستاذ محمد خليل هراس وتوزيع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣١- الفتاوى - لابن تيمية - طبعة الرياض .

٣٢- الفرقان - لابن تيمية - طبعة مصر .

٣٣- معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ،لابن تيمية ، طبع السلفية .

٣٤- منهاج السنة ، لابن تيمية ، طبعة بولاق .

٣٥- نقض المنطق - ابن تيمية - ط أنصار السنة المحمدية بمصر ، دار الجيل بلبنان .

٣٦- الوفاء بأحوال المصطفى - لابن الجوزى - تحقيق مصطفى عبد الواحد . ط دار الكتب الحديثة .

٣٧- الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسى نشر دار الندوة .

٣٨- التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة ، تعليق محمد خليل هراس .

٣٩- تلخيص كتاب الخطابة لابن رشد تحقيق د/ محمد سليم سالم نشر الهيئة المصرية .

٤٠- محمد بن عبد الوهاب : أصول الإيمان نشر مكتبة المعارف بالرياض .

٤١- أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى - بيروت دار الكتب العلمية .

٤٢- الفتوحات المكية لابن عربى . تحقيق د/ عثمان يحيى .

٤٣- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم .

٤٤- زاد المعاد « لابن القيم » .

٤٥- شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل « لابن القيم» .

٤٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين « لابن القيم »

٤٧- مشكل الحديث « لابن فورك » .

٤٨- « أبو بكر الطيب الباقلانى » تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ط مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت سنة ١٩٨٧م.

٤٩- خلق أفعال العباد « للبخارى » تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة دار المعارف السعودية .

٥٠- دلائل النبوة « لابن قتيبة » .

٥١- دلائل النبوة « أبو نعيم » .

٥٢- الأسماء والصفات « للبيهقى » .

٥٣- البعث والنشور ، للبيهقى ، .

٥٤- تفسير البغوى .

٥٥- مجموع الرسائل للشيخ حسن البنا .

٥٦- دلائل النبوة ، للبيقى ، .

٥٧ - شفاء العليل للجوينى .

٥٨- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب ، الترجمان ، تحقيق د/ محمود حماية . ط : المعارف .

٥٩- مفاتيح الغيب ، الفخر الرازى ، بيروت .

٦٠- شرح أسماء الله الحسنى ، الفخر الرازى ، ط / دار الكتاب العربى

٦١- إفحام اليهود ، السموأل بن يحيى المغربى ، تحقيق د/ محمد عبدالله الشرقاوى .

٦٢- العقائد الإسلامية ، سيد سابق ، .

٦٣- معنى لا إله إلا الله ، للزركش ، تحقيق : على محى الدين القرة داغى . نشر الإصلاح .

٦٤- العلو للعلى الغفار ، للذهبى ، اختصار الشيخ ناصر الدين الألبانى .

٦٥- الدر المنظم فى الاسم الأعظم « للسيوطى » .

٦٦- عقيدة المسلم « الشيخ محمد متولى الشعراوى ».

٦٧- التحف فى مذاهب السلف « للشوكانى » .

٦٨- تحفة الذاكرين « للشوكانى » .

٦٩- الله « كتاب فى نشأة العقيدة الإسلامية » للعقاد .

٧٠- إحياء علوم الدين للغزالى .

٧١- الإيمان والحياة د/ يوسف القرضاوى .

٧٢- خصائص التصوير الإسلامى / سيد قطب .

٧٣- فى ظلال القرآن الكريم / سيد قطب .

٧٤- المنقذ من الضلال / أبو حامد الغزالى .

٧٥- خلق المسلم « الشيخ محمد الغزالى » .

٧٦- عقيدة المسلم « الشيخ محمد الغزالى » .

٧٧- إظهار الحق « رحمة الله الهندى » .

٧٨- سقوط الحضارة ترجمة « لولسون كولن .

٧٩- التسهيل فى علوم التنزيل ، ابن جزى الكلبى ، .

فهرس المخطوط